منشورات العقبة مدينة الثقافة الأردنية 2016
دراسات







أ.د محمد محاسنة ◆ د. فايز عتـــوم

المدخل إلى تاريخ مدينة السلام


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المدخل إلى تاريخ مدينة السلام

المدخل إلى تاريخ مدينة السلام

تأليف

الأستاذ الدكتور
محمد حسين محاسنة
أستاذ التاريخ الإسلامي
جامعة مؤتة سابقاً

الدكتور
فايز علي عتوم
جامعة إربد الأهلية

٢٠١٦

إصدارات:

العقبة مدينة الثقافة الأردنية

2016

• المدخل إلى تاريخ مدينة السلام
• أ. د محمد حسين محاسنة، د. فايز علي عتوم

• الناشر: وزارة الثقافة
شارع صبحي القطب
المتفرع من شارع وصفي التل
ص. ب ٦١٤٠ – عمان - الأردن
تلفون: ٥٦٩٦٢١٨/٥٦٩٩٠٥٤
فاكس: ٥٦٩٦٥٩٨

Email: info@culture.gov.jo

• الطباعة: مطبعة السفير هاتف ٤٦٥٧٠١٥
• الإخراج الفني: سمير اليوسف هاتف ٠٧٩٩٦٧٧٥٦٩
• رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٣٨٦٩/ ٨ / ٢٠١٦)
• ردمك: ٩٧٨-٩٩٥٧-٩٤-٢٤٩-٦

المقدمة

مدينة السلام هو أحد الأسماء التي أطلقت على مدينة القدس، لذلك سيكون حديثنا في هذا الكتاب عن مدينة القدس، وهي من أعظم المدن الإسلامية بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، وسميت القدس لمكانتها وقدسيتها في الإسلام، وهي تحوي ثالث أعظم مساجد الإسلام، وأحد المساجد التي تشدّ إليها الرحال لقوله صلى الله عليه وسلم : لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا؛ أي المسجد النبوي، والمسجد الأقصى، ولهذا فإنها تحتل مكانة هامة وقيمةً دينية كبيرة عند المسلمين .

وكانت القدس القبلة الأولى للمسلمين، فقد كانت قبلة أبينا إبراهيم عليه السّلام، ثم قبلة المسلمين في الفترة الأولى من عهد النبوة، وظل النبي محمد صلى الله عليه وسلم يتوجه إليها في صلاته حتى بعد الهجرة النبوية إلى أن أمره الله سبحانه وتعالى بالتوجه إلى البيت الحرام في السنة الثانية للهجرة.

ولما فتحت مدينة القدس على يد المسلمين أولاها عمر بن الخطاب والخلفاء من بعده أهميّة كبيرة واهتموا بمبانيها الإسلامية وغير الإسلامية، وأقاموا فيها مباني دينية جديدة وأصلحوا الكثير من المباني السابقة، فأقام الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان مسجد قبة الصخرة، وبنى ابنه الوليد المسجد الأقصى المبارك، ثم أعاد بناءه على هيئة جديدة الخليفة العباسي المهدي.

ولما دخلها الفرنج أفسدوا فيها ومحوا معالمها وبقيت تعاني إلى أن أعاد تطهيرها وتعميرها وإصلاح ما خرب منها السلطان صلاح الدين الأيوبي، فأعاد لها ألقها وصورتها الإسلامية المشرقة.

وجاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على تاريخ المدينة المقدسة والمراحل التي مرّت عليها عبر العصور المختلفة.

واشتملت هذه الدراسة على مقدمة وخاتمة وسبعة فصول إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع؛ فتضمن الفصل الأول جغرافية المدينة المقدسة، والفصل الثاني تاريخ المدينة في العصور القديمة والذي تضمن بناء المدينة وتشكيل شخصيتها الأولى العربية الكنعانية، وعلاقة سيدنا إبراهيم عليه السلام بفلسطين والقدس.

واشتمل الفصل الثالث على بحث تاريخ المدينة في العصر الحديدي وظهور بني إسرائيل الذين هم بنو النبي يعقوب عليه السلام (الأسباط)، ثم ظهور نبي الله موسى عليه السلام الذي خرج ببني إسرائيل الذين آمنوا بدعوته وعبر بهم باتجاه فلسطين، وتضمن الفصل بيان عصيان بني إسرائيل لنبي الله في الطريق فعاقبهم الله على عصيانهم بأن تاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة، ومات موسى عليه السلام قبل أن يدخل بهم إلى فلسطين فتولى قيادتهم يوشع بن نون، وتضمن هذا الفصل تاريخ بني إسرائيل بعد دخولهم فلسطين إلى أن تولى الملك عليهم النبي داود عليه السلام ودخوله مدينة القدس واتخاذها عاصمة وتأسيسه دولة لهم في فلسطين وخلافة ابنه سليمان عليه السلام إلى أن انقسمت دولة بني إسرائيل بعد سليمان إلى دولتين، كما اشتمل الفصل على بيان تعرض المدينة المقدسة للغزو من قبل شعوب متعددة منها الفراعنة والآشوريون والبابليون والفرس واليونان ثم الرومان، ومع هذا فقد حافظت المدينة على معظم مواصفاتها العربية إلى أن تمكن العرب المسلمون من تحريرها وإعادة الشخصية العربية الخالصة لها وصبغها بصبغة إسلامية.

واشتمل الفصل الرابع على بحث تاريخ المدينة خلال العصور الإسلامية المختلفة بدءاً من إسراء النبي محمد صلى الله عليه وسلم إليها ومعراجه منها إلى سدرة المنتهى؛ فأكّد ارتباطها بالبيت الحرام وعزّز أهميتها الإسلامية، ثم تحريرها في عهد عمر بن الخطاب من السيطرة البيزنطية، وأحوال المدينة في صدر الإسلام إبان حكم الخلفاء

الراشدين، وحكم بني أمية للمدينة وما أضيف إليها من أبنية في عهد هم وتأكيد الهوية العربية الإسلامية لها في العصر العباسي، وما تعرّضت له من غزو أوروبي في فترة الحروب الصليبية، وتحريرها بعد ذلك على يد صلاح الدين الأيوبي.

وتناول الفصل الخامس الحكم العثماني لمدينة البيت المقدس، وقد أطلقوا عليها اسم القدس الشريف، وبيان اهتمام سلاطين آل عثمان بها وبحرمها الشريف، وظهور الخطر الصهيوني على المدينة الذي صارت تدعمه دول أوروبا لكي تتخلص من اليهود وتدفع بهم إلى خارج أوروبا.

وخصص الفصل السادس لبيان التغيرات التي طرأت على مدينة القدس منذ الحرب العالمية الأولى، عندما تعاونت الدول الاستعمارية على إنشاء وطن لليهود في فلسطين والقدس، وبدأ شبح الخطر الصهيوني يلاحق المدينة ويهددها إلى أن تمكن اليهود من احتلالها وسيطروا عليها بمساعدة الدول الاستعمارية الغربية سنة ١٩٦٧م، فبدأت المدينة تعاني من الهيمنة الصهيونية، وتعرضت لأعمال التدمير والتخريب ومصادرة الأراضي والبيوت وتهجير السكان، وحرمانهم من كثير من حقوقهم المشروعة وفي طليعتها حق العبادة والصلاة في المسجد الأقصى المبارك، وتضمنت أعمال الصهيونية فيها حرق المسجد الأقصى المبارك سنة ١٩٦٩م.

أما الفصل السابع والأخير فقد تناول البحث في عمليات الإعمار الهاشمي لمدينة القدس وتبني الهاشميين حمايتها وحماية مقدساتها من اعتداءات الاحتلال الصهيوني والدفاع عنها في جميع المحافل الدولية ،كما قاموا على إعادة إعمارها مرات عديدة حتى وهي تحت الاحتلال الصهيوني، وصيانة المباني الإسلامية فيها وعلى وجه الخصوص المباني الواقعة في ساحة الحرم القدسي وفي طليعتها مسجد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك.

الفصل الأول

جغرافية مدينة السلام القدس

- أسماء المدينة
- موقع مدينة القدس
- مصادر المياه
- أبواب مدينة السلام

أ- أبواب المدينة

ب- أبواب الحرم القدسي

أسماء المدينة:

القدس أول أسماء مدينة السلام وأكثرها شهرة ، ولم يفارقها طوال تاريخها حتى مع وجود الأسماء الأخرى ظلّ أهلها الكنعانيون العرب والمسلمون من بعدهم ينعتونها بهذا الاسم، والقدس لغة من قَدُسَ؛ أي طَهُرَ، والقُدْس؛ الطُهر، أي تنزيه الله تعالى[1]، والتقديس؛ التعظيم والتطهير[2]، والقدوس؛ المنزّه عن النقائص والموصوف بصفات الكمال وهو الله جلّ جلاله[3] قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[4]، والله عزّوجل هو المتقدّس القدّوس المُقدّس، والقدس الطهارة، والقدّوس: صفة من صفات الله تعالى[5]، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[6].

وفي كتاب الأنس الجليل: أنّ القدس هي الطهارة والبركة، ومعنى بيت المقدس: هو المكان الذي يُتطهّر به من الذنوب، كما يعني المكان المرتفع المنزّه عن الشرك، والبيت المقدّس بضم الميم وفتح الدال المشدّدة؛ أي المطهّر، وتطهيره إخلاؤه من الأصنام[7].

(١) ابن منظور؛ جمال الدين محمد بن مكرم(ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ص٣،دار، بيروت ٢٠٠٠م، ج١٢، ص ٣٩ – ٤٠.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل(ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة ١٩٩٨م، ج١، ص٦٩.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٣٦٣.

(٤) سورة الجمعة، الآية ١.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٤٠.

(٦) سورة الحشر، الآية ٢٣.

(٧) العُليمي؛ مجير الدين الحنبلي(ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان أبو تبانه، مكتبة دنديس، عمان ١٩٩٩م، ج١، ص٧٠.

منظر عام لمدينة القدس ويبدو الحرم القدسي (المسجد الأقصى)



الحرم القدسي الشريف يتوسطه مسجد قبة الصخرة المشرّفة



جانب من أسوار القدس

والقدس معناها؛ البركة والأرض المقدّسة والمطهّرة المباركة؛ وهي الشام، ومنها البيت المقدّس[1]، وعُرفت مدينة القدس بهذا الاسم منذ بداية تاريخها عندما أقيمت فيها أماكن مقدّسة للعبادة[2].

وعند ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) أنّ المقدّس في اللغة: المنزّه، وأشار إلى رأي المفسّرين في قوله تعالى "ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك" قال الزجّاج: معنى نقدّس لك: أي نطهّر أنفسنا لك، والبيت المقدّس: المطهّر الذي يُتطهّر به من الذنوب[3].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٠، محمد حسين محاسنة، حقيقة القدس، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان ٢٠٠٤م، ص ١٥.

(٢) سيدو فرج راشد، القدس عربية إسلامية، دار المريخ للنشر، ص٢٨.

(٣) ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ج٥، ص١٦٦، السيوطي: شمس الدين (ت ٨٨٠هـ/١٤٧٦م)، إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م، ج١، ص٩٤.

وأطلق على مدينة القدس أسماء كثيرة غير هذا الاسم، وإن كان معظمها مشتقٌّ من هذا الاسم أو يؤدي نفس المعنى أو قريباً منه، فيذكر أن أول اسم أطلق على المدينة كان اسم بانيها أو ملكها (سالم)، وقيل: إنما أطلق عليها بُناتها من الكنعانيين اسم (مدينة السلام)، واشتقوه من اسم بانيها الملك سالم(شالم أو شاليم)[1].

ثم قامت الأمم القديمة بتحريف هذا الاسم؛ فالأكاديون أضافوا إليها مقطعاً وسموها:(أور سالم)[2] لتعني مدينة سالم أو مدينة السلام، لأن : أور كلمة سومرية تعني : مدينة، وسالم أو شالم تعني : السلام، وبِجَمع المقطعين تكون أور وسالم أو أور شالم تعني مدينة السلام، وقيل إنما سالم هو إله السلام عند الكنعانيين[3].

ورد اسم القدس (أورسالم أو سالم) في الكتابات الكنعانية التي يرجع تاريخها إلى القرن (١٥ ق.م)[4]، وهناك من أشار إلى أن هذه التسمية ترجع إلى فترة تسبق قدوم العبرانيين إلى فلسطين بألفي سنة[5] تقريباً، وهناك من يرى أن سالم هذا الذي سُميت به هو اسم لإله وثني كان يعبده سكان فلسطين هو إله القوافل[6]، وكان هذا الإله يؤمّن لهم سلامة قوافلهم في حلّها وترحالها.

والملك الذي نُسِبت إليه المدينة هو سام بن نوح، وكان يلقب بـ: (مُلكي صادق)[7]، وقد ورد اسمه في التوراة[8]، وهو يعني ملك الصدق[9].

---

(١) مصطفى مراد الدبّاغ، بلادنا فلسطين، رابطة الجامعيين، الخليل ١٩٧٥م، ج٩قسم٢،ص٢٢.
(٢) مصطفى الدبّاغ، بلادنا فلسطين، ج٩، قسم٢، ص٢٣، شفيق جاسر، تاريخ القدس، ص١٧.
(٣) فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت ج١،ص٧٢، سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، بغداد ١٩٧٩م، ص١٠٤.
(٤) أسماء فاعور، فلسين والمزاعم اليهودية، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٥م، ص٦.
(٥) انظر: مصطفى الدبّاغ، بلادنا فلسطين، ج٩، قسم٢، ص٣٠، سليمان الصمادي، الرعاية الهاشمية للمقدسات الإسلامية، المطابع العسكرية، عمان ١٩٩٧م، ٤٦.
(٦) سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، ص ٢٧.
(٧) الكتاب المقدّس/ التوراة، سفر التكوين، الإصحاح ١٤/١٨– ١٩، العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص٧٢.
(٨) الكتاب المقدس/ الإصحاح ١٤/ ١٨.
(٩) العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص ٧٢.

وفي كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل أن سام بن نوح هو(ملكي صادق) نزل بأرض بيت المقدس، وأقام يتعبّد في كهف حتى اشتهر أمره، وسمع به ملوك بلاد الشام المجاورون للقدس، فحضر إليه (١٢) إثنا عشر ملكاً، واتفقوا معه على أن يقوم ببناء بيت المقدس، وجمعوا له المال اللازم لبناء المدينة، فاختطّها وعمّرها وسمّاها: سالم أو شالم، وتعني: مدينة السلام[١]، وأقام في وسط المدينة مكاناً لعبادة الله في المكان الذي فيه المسجد الأقصى المبارك.

وبعد انتهاء عمارة المدينة اتفق ملوك الشام على أن يكون ملكي صادق(سام) ملكاً عليهم، وأطلقوا عليه كنية: (أبو الملوك)، وكان هؤلاء الملوك جميعاً تحت طاعته[٢].

وسميت مدينة القدس باسم يبوس نسبة إلى اليبوسيين، واليبوسيون فرع من القبائل الكنعانية التي استوطنت فلسطين، وهاجروا إليها من جزيرة العرب بحدود سنة ٣٠٠٠ ق.م؛ وهم سكان القدس الأصليين[٣]، وقد ورد اسم يبوس في التوراة باسم مدينة اليبوسيين[٤]، وبقيت القدس تحمل اسم يبوس منذ نهاية الألف الثالثة ق.م حتى استولى عليها النبي داود عليه السلام سنة ٩٩٦ق.م[٥].

واختار اليبوسيون مدينة القدس لتكون على تلّ مرتفع، وبدأوا بناءها منذ سنة ٣٠٠٠ ق.م على تل الظهور في القدس(تل أوفل)[٦].

---

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص ٧٢، وانظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين،ج٩ قسم٢، ص٢٦.

(٢) العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص٧٢.

(٣) أسماء فاعور، فلسطين والمزاعم اليهودية، ص ٥، عبلة المهتدي، القدس تاريخ وحضارة، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان ٢٠١٢، ص ١٥.

(٤) الكتاب المقدس، سفر يشوع، الإصحاح ١٥ / ٨، ٦٣، سفر القضاة الأول/ ٢١، سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، ص ٢٧.

(٥) انظر: عبلة المهتدي، القدس، ص٣٠، خالد محمد غازي، القدس – سيرة مدينة، دراسات وشهادات، دار الهدى ١٩٩٨م، ص١٣،

.Kathleen Kenyon, Jerusalem Excavating 3000 years Of History, London 1967, p 19

(٦) أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨١م، ص ٧٢١، سليمان الصمادي، الرعاية الهاشمية للمقدسات، ص ٤٥.

وأطلق الفراعنة على القدس اسم بابيتي أو بابتي، وهو تحريف لاسم يبوس الكنعاني[1].

وورد اسم القدس في النصوص المصرية القديمة المعروفة بـ:(نصوص اللعنة)، التي تعود إلى (١٩ق.م)، وظهرت القدس فيها باسم: (أوشاميم Aushamem) أو أورشاليموم[2].

ومعنى روشاليموم: شاليم وضع الأساس، وحسب فيليب حتي: فإن أوروسالم الكنعانية معناها: دع سالم يؤسس[3].

ونصوص اللعنة هي نصوص تاريخية مكتوبة باللغة المصرية القديمة (الهيراطيقية)؛ فقد كان من عادة المصريين القدماء كتابة أسماء البلدان والمدن والحكام من أعداء مصر على الأواني، ثم تحطيمها في طقوس سحرية على أمل أن يقود ذلك إلى سقوط أعدائهم، فوجد ضمن هذه النصوص أسماء (١٩ مدينة) كنعانية كان من بينها مدينة روشاليمو، وأحد هذه النصوص كانت تضم عبارات تلعن روشاليمو[4]، ويبدو أن تسميتها بنصوص اللعنة ناتج عن وجود عبارات في هذه النصوص تلعن أعداء مصر.

ثم يظهر اسم القدس في رسائل تل العمارنة؛ فقد ورد اسم أورشليم الكنعاني (أربع مرات) في الرسالة التي بعث بها عبدخيبا حاكم القدس إلى أمنحوتب الرابع(أخناتون) في بداية القرن (١٤ ق.م)[5].

---

(١) أسماء فاعور، فلسطين والمزاعم اليهودية، ص ٥.

(٢) كارمن أرمسترنج، القدس/مترجم، سطور ١٩٩٩م، ص٢٧.

(٣) انظر: فيليب حتي، تاريخ سوريا ،ج١، ص٧٣، خالد عبدالرحمن العك، تاريخ القدس العربي القديم، مؤسسة النوري، دمشق ١٩٨٦م، ص ٦٩.

(٤) انظر: كارمن أرمسترنج، القدس ص٢٧، الموسوعة الفلسطينية/ط١، ١٩٨٤م، مجلد٣، ص٥١٠، محمد حسين محاسنة، حقيقة القدس، ص١٦-١٧.

(٥) انظر: عبلة المهتدي، القدس تاريخ وحضارة، ص ١٥.

وذكرت القدس في كتاب العهد القديم (التوراة) باسم: يروشلايم[1]، وهي أورشليم الصيغة العربية للاسم الأرامي أوروسالم، ولما دخلها داود عليه السلام جعلها مقراً لحكمه، فنُسبت إليه وسميت : مدينة داود[2].

وورد اسم القدس في العهد الآشوري باسم (أورسليمو)[3]، أما اليونان فقد سموها (هيروسوليما (٥) Hierosolyma)، وبعد أن احتلها الرومان أطلق عليها الإمبراطور الروماني هادريان اسم: (إيليا كابيتولينا)[4]، ومعنى إيلياء: بيت الله المقدّس؛ أي المطهّر من الذنوب[5]؛ يقول الفرزدق[6]:

وبيتان بيت الله نحن بُناته
وقصرٌ بأعلى إيلياء مُشرّفُ

وقيل إنما سُميت إيلياء باسم بانيها وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهو أخو دمشق وحمص والأردن وفلسطين، وقد ذكرها بعض شعراء العرب في قصائدهم فقال أحدهم[7]:

فلو أن طيراً كُلّفت مثل سيره
إلى واسط من إيلياء لكَلّتِ
سما بالمهارى من فلستين بعدما
دنا الفيء من شمس النهار فوَلّتِ

(١) الكتاب المقدس، سفر يشوع، الإصحاح العاشر/١، وانظر مصفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢، ص ٢٤.
(٢) الكتاب المقدس/ التوراة، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ٩/٥.
(٣) سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، ص٢٨.
(٤) لي سترانج، فلسطين في العهد الإسلامي، ص٩٦.
(٥) العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص٦٩ — ٧٠.
(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ٢٩٣.
(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ٢٩٣- ٢٩٤.

ولما قدم المسلمون إلى مدينة القدس فاتحين كانت تسمى (إيلياء)، فظهر اسمها في كتاب الأمان الذي أعطاه عمر بن الخطاب لأهل القدس(العهدة العمرية) باسم إيلياء[1]، إلاّ أن المسلمين أطلقوا عليها بعد ذلك اسم القدس، ويذكر الشريف الإدريسي أن القدس مدينة جليلة قديمة البناء كانت تسمى إيلياء[2].

وفي معجم البلدان رواية عن كعب قال: لاتسموا بيت المقدس إيلياء، ولكن سموه باسمه، فإن إيلياء امرأة بنت المدينة[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: البيت المقدس بنته الأنبياء، وسكنته الأنبياء، ما فيه موضع شبر إلاّ وقد صلى فيه نبي أو أقام فيه ملك[4]، وقال اليعقوبي: إن بيت المقدس فيها آثار الأنبياء عليهم السلام[5].

ثم أطلق المسلمون على مدينة القدس اسم بيت المقدس[6]، والبيت المقدّس[7]، إلاّ أنه غلب اسم القدس، فكان الأكثر انتشاراً وتداولاً بين الناس، فغالبية المسلمين يسمونها القدس لقدسيتها ومكانتها الدينية عند أصحاب الديانات السماوية.

وللقدس أسماء أخرى سميت بها أو ذكرت دالّة عليها، ففي القرآن الكريم جاءت في سورة الإسراء باسم المسجد الأقصى ، وهو المسجد الذي يتوسط المدينة، وكان أول بيت أقيم في القدس لعبادة الله تعالى، يقول الله سبحانه في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي

---

(١) الطبري؛ محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م، ج٣، ص٦٠٧، ٦٠٩.

(٢) الإدريسي؛ الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي(ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م)، نزهة المشتاق فب اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٩م، ج١، ص ٣٥٨.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٦٧.

(٤) ابن الفقيه؛ أحمد بن محمد الهمذاني(ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م)، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م، ص ٩٣، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ١٦٧.

(٥) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب(ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، كتاب البلدان، دار إحياء التراث ١٩٨٨م، ص ٨٩.

(٦) انظر: اليعقوبي، البلدان، ص٨٩، ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٩١، ابن خرداذبة(ت ٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م، ص٧٥.

(٧) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٩١، ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٥، العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٤.

أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[١].

وفي سورة التين وردت القدس أو مسجدها (المسجد الأقصى) باسم الزيتون في قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ • وَطُورِ سِينِينَ﴾[٢]، قال المفسرون : التين : دمشق، والزيتون: القدس أو مسجد بيت المقدس[٣].

وعند ابن الفقيه: أن التين هو الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون هو الجبل الذي عليه بيت المقدس[٤].

وبالعودة إلى الأسماء التي أطلقت على مدينة القدس منذ بداية التاريخ المقدسي ومقارنتها نجد بأن العرب الكنعانيين هم الذين أعطوا المدينة جُلّ أسمائها أو كلّها، واستمرت المدينة تحمل أسماءها العربية الكنعانية، وكل ما كان يحدث عندما كانت المدينة تُسمى بأسماء جديدة هو تغيير لبعض الأحرف أو تحريف للاسم من الاسم الكنعاني ليتوافق مع لغة القادمين الجدد.

وكانت أسماء المدينة الكنعانية موجودة قبل قدوم بني إسرائيل إلى فلسطين بأكثر من ١٥٠٠عام، وحتى بعد قدوم بني إسرائيل، فإن أسماء المدينة السابقة لم تندثر وإنما بقي أهل المدينة من الكنعانيين واليبوسيين يستخدمون هذه الأسماء، والاسم الذي اشتقه اليهود وسموا المدينة به إنما كان هو اسمها الكنعاني مع تحويل السين إلى شين ليناسب لغة اليهود، وكذلك الأسماء التي أطلقتها الأمم الأخرى على المدينة كالبابليين واليونان هي أيضاً مشتقةً من أسماء المدينة العربية الكنعانية .

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١.

(٢) سورة التين، الآية ١-٢.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٥٢٩.

(٤) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١٠١.



المسجد الأقصى المبارك

موقع مدينة القدس:

تقع مدينة القدس في فلسطين وتحتل القلب من فلسطين؛ أي إنها تتوسط فلسطين. وتستطيع أن تدرك أهمية مدينة القدس عندما تعرف أن فلسطين تحتل موقعاً متوسطاً من الوطن العربي؛ أي إنها تقع في قلب الوطن العربي الذي هو بدوره يتوسط العالم.

وكانت فلسطين تشكل معبراً يربط ما بين قارتي آسيا وافريقيا من جهة كما تربط بين جناحي الوطن العربي في آسيا وإفريقيا، وكانت فلسطين في القديم مركزاً للاتصال بين مراكز الحضارات العالمية القديمة في كل من مصر القديمة وبلاد الرافدين (العراق القديم).

وفلكياً تقع مدينة بيت المقدس على خط طول ٣٥ شرقي خط غرينتشن وعلى درجة عرض ٣١ شمالاً، وتبعد مسافة تقارب الخمسين كيلو متراً إلى الشرق من ساحل البحر

الأبيض المتوسط، وترتفع حوالي ٨٥٠ متراً فوق سطح البحر[١].

وجاء بناء المدينة على مرتفع حصين يعرف بتل أوفل(تلال الظهور) المطلة على قرية سلوان[٢]، والمدينة محاطة بالأودية من ثلاث جهات؛ من الشرق والغرب والجنوب، فوادي قدرون من الشرق، ويسميه العرب وادي سلوان أو وادي ستي مريم(وادي النار)، وسماه ابن الفقيه(ت٢٦٨هـ/٨٩٩م) وادي جهنم[٣]، والوادي من الغرب، وهذا الوادي هو الذي سمّاه يوسيفوس(القرن الأول الميلادي) تيربيون أو صانعوا الجبن[٤]، ومن الجنوب يوجد وادي هنوم أو وادي الربابة ثم أطلق عليه فيما بعد وادي الروث أو وادي الزبل لأن الناس كانوا يلقون فيه الزبل أو روث الحيوانات والنفايات المختلفة خاصة الحجارة والطوب[٥].

---

(١) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، رابطة الجامعيين، الخليل ١٩٧٥م، ج٩،قسم ٢، ص١٣.

(٢) انظر: محمود العابدي، قدسنا، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٢م، ٩، محمد محاسنة وآخرون، تاريخ مدينة القدس، دار حنين، عمان ٢٠٠٢م، ص ٢٢.

(٣) انظر: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م، ص ٩٧.

(٤) انظر: العابدي، قدسنانن ص٩.

(٥) محمد محاسنة وآخرون، تاريخ مدينة القدس، ص ٢٣.

وادي قدرون إلى الشرق من القدس



وادي قدرون / صورة قديمة

مصادر المياه

يذكر المؤرخون أن المياه العذبة تخرج من تحت صخرة بيت المقدس[1]، وأن ماء بيت المقدس فيه خير ونفع لشاربه[2]، وكانت مياه المدينة على نوعين:

١- مياه الآبار الجمع: التي تحفر لتجمع فيها مياه الأمطار إلى وقت الحاجة.

٢- مياه العيون والأودية: وهذه موجودة حول مدينة القدس وفي الأودية المحيطة بها.

وكانت آبار مدينة القدس في العصر الإسلامي كثيرة جداً، فكان في الحرم والمنطقة القريبة منه ما يزيد على ثلاثين بئراً كان بعضها معطلاً لا تجتمع فيه المياه؛ وبعضها الآخر تتجمع فيه كميات كبيرة جداً من المياه يستقى منها أهل المدينة وجميع زوارها[3]، ومن هذه الآبار: بئر الورقة، وبئر السبيل، وبئر باب الغوانمة، وبئر قايتباي، وبئر الزيتونة وغيرها[4].

وكان أهل القدس في العصور القديمة يعتمدون على مياه الأمطار حتى في توفير حاجاتهم من مياه الشرب، وكانوا يجمعون المياه في آبار يحفرونها، ومع مرور الوقت وازدياد عدد سكان المدينة زادت الحاجة إلى كميات أكبر من المياه، وصار السكان يعتمدون على مياه العيون القريبة من المدينة خاصة بعد أن صاروا يتعرضون لأخطار المهاجمين أو المحاصرين لمدينتهم.

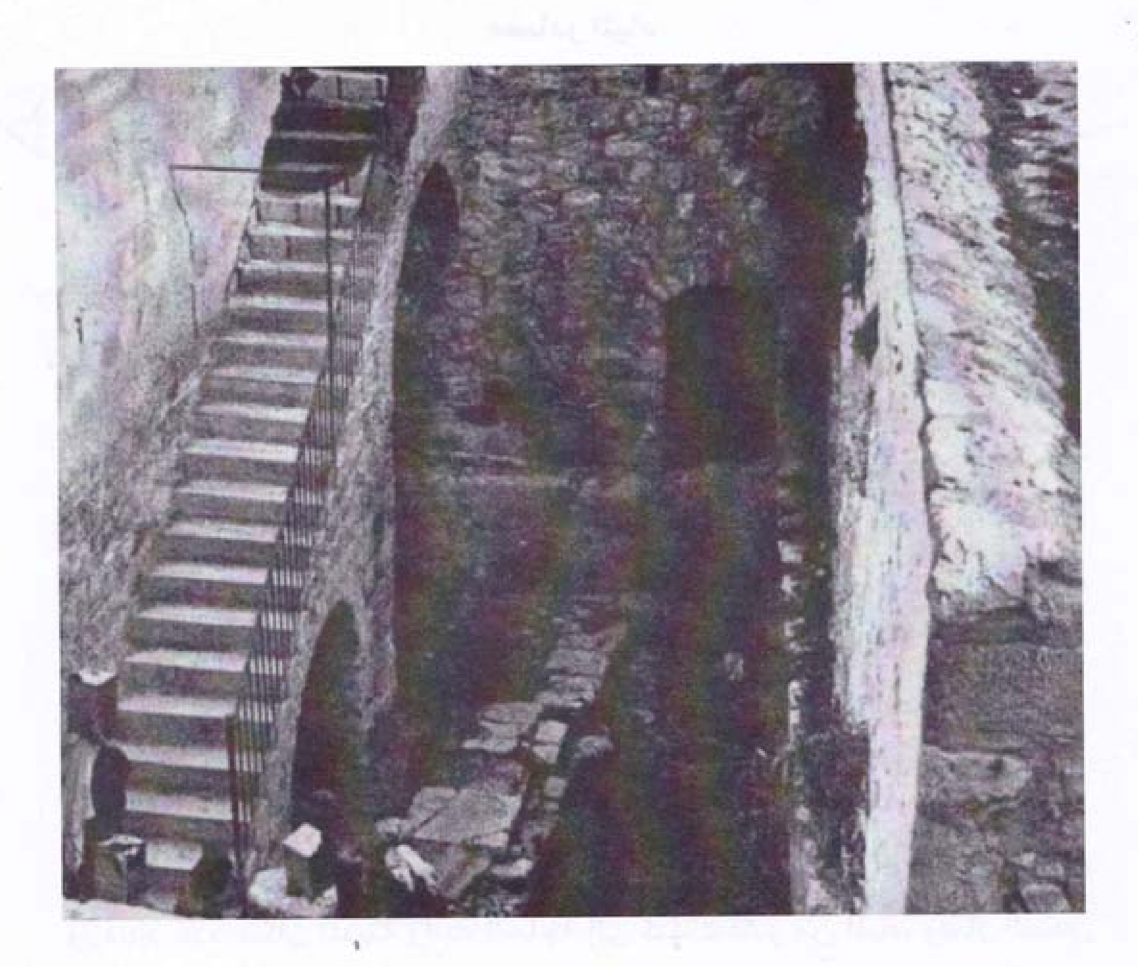
---

(١) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٩٣، العليمي، الأنس الجليل، ج١ ص٣٥٢ ص٩٣.

(٢) انظر: العليمي، الأنس الجليل، ج١ص٣٥٢.

(٣) عارف العارف، تاريخ الحرم القدسي، دار الأيتام الإسلامية ١٩٤٧م، ص٩٤.

(٤) عارف العارف، تاريخ الحرم، ص٩٤-٩٥.



الدرج المؤدي إلى بركة سلوان

ويوجد في مدينة القدس نبع مشهور في أسفل الظهور (الظهرة) هو (عين أم الدرج)، ويذكر مصطفى مراد الدَباغ أن هذه العين كانت النبع الوحيد الموجود في القدس القديمة[1]، وسميت عين أم الدرج لأنها نبع منخفض يتم النزول إليها بواسطة درجات إلى الكهف عند منتصف وادي جهنم ، وكان أهل القدس من العرب الكنعانيين عام ٢٠٠٠ق.م هم الذين قاموا ببناء نفق تحت الأرض في الصخر يوصل ما بين المدينة وهذه العين لتسهيل وصول السقاة إليها، وأرادوا توفير الماء للمدينة في حال تعرضها لحصار الأعداء حتى يكون أهلها قادرين على مواجهة الحصار مدّة طويلة.

(١) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢ ص١٤

وكان هذا النبع يعرف أيضاً باسم (نبع العذراء)[1]، وله أسماء أخرى منها:

أ. **عين ستنا مريم.**

ب. **عين روجل،وجيحون؛ أي نبع متدفق.**

ومن آبار القدس بئر أيوب، يقال بأن الذي حفرها هو النبي أيوب عليه السلام، ومنه حملت اسمها، ولا يوجد فيها نبع وإنما يأتيها الماء رشحاً من عين أم الدرج.

وتوجد مصادر أخرى للمياه في مدينة القدس، فهناك برك كانت موجودة منذ زمن بعيد كان يستقي منها أهل مدينة القدس منها:

١- **بركة سلوان:** وتوجد في قبلة المسجد[2] إلى الجنوب من عين أم الدرج وعلى مسافة قريبة منها، ذكرها ياقوت الحموي فقال بأنها نضاخة يُتبرك بها وهي عين عذبة كانت موجودة في صدر الإسلام وتسقي جناناً عظيمة، وقفها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه على ضعفاء بيت المقدس[3].

٢- **البركة الحمراء:** ويقال لها البركة التحتانية إلى الجنوب الشرقي من بركة سلوان وسمّاها يوسيفوس في القرن الأول الميلادي باسم بحيرة سليمان[4].

(١) الموسوعة الفلسطينية، مجلد٣ ص٥١٠.
(٢) ابن الفقية، مختصر كتاب البلدان، ص٩٧.
(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص٢٤١
(٤) شفيق جاسر، تاريخ القدس، ص٣١.

أبواب مدينة السلام

كانت مدينة القدس منذ فجر تاريخها محط أنظار الأمم والشعوب يفِدون إليها من كل حدب وصوب ويأتون إليها من كل البلاد زواراً وغزاةً وطلاب علم، فلما بنيت المدينة جعلوا لها سوراً لحمايتها، وكان في سورها عدد من الأبواب تؤدي إلى المدينة، ومع مرور الوقت كان يزداد عدد هذه الأبواب أو ينقص حسب حاجة أهل المدينة إليها، ففي أيام الشدة والحروب كانت تغلق بعض هذه الأبواب زيادة في تحصينها ومنعتها أمام الغزاة، وكان حكام المدينة وأهلها يخصصون مجموعات من الجند لحراستها من فوق الأبراج والأسوار، خاصة في المناطق القريبة من الأبواب التي يخشى دخول الأعداء منها، وكانت السلطة الحاكمة في المدينة تحدّد ساعة معينة في الليل يمنع بعدها دخول أحد من الناس إلى المدينة، وأغلقت الأبواب خوفاً من تسلل الجواسيس واللصوص وقطاع الطرق .

ولم يكن لمدينة من المدن أبواباً مثلما كان لمدينة القدس، فكثرة زوارها وحجّاجها ومن يؤمها من طلاب العلم والتجار وغيرهم كان سبباً في كثرة الأبواب المؤدية إليها. وكانت الأبواب في القدس على نوعين هما: أبواب المدينة وأبواب الحرم.

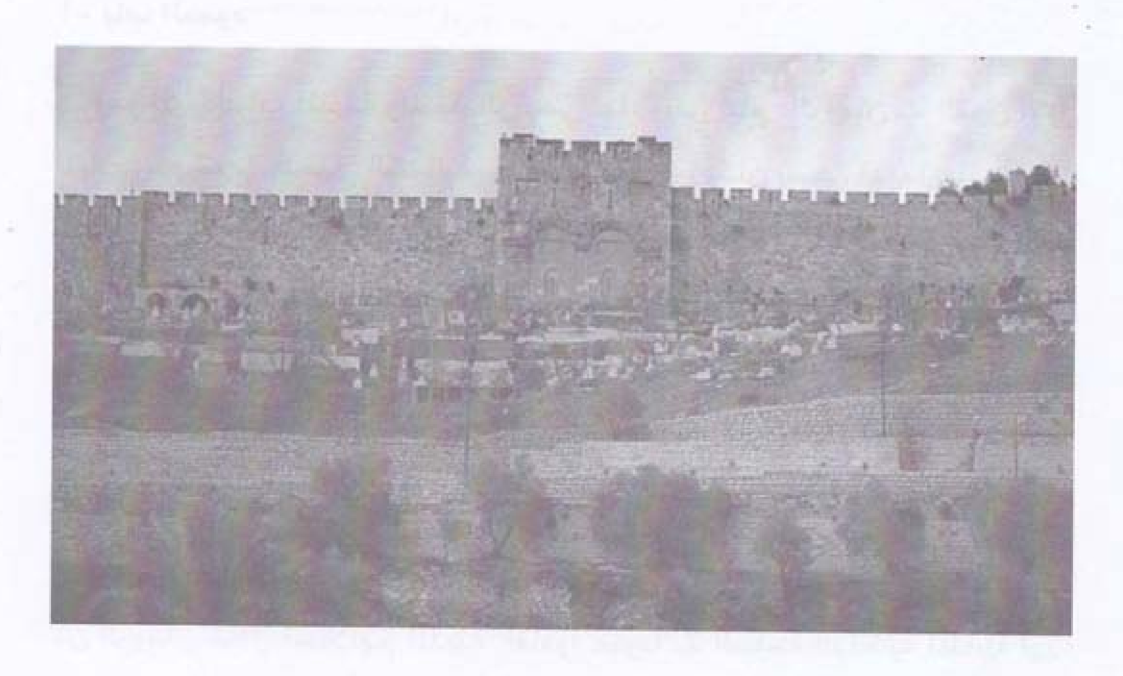
أ- أبواب المدينة :

وردت الإشارة إلى هذه الأبواب عند الكتاب والمؤرخين، فتحدث عنها المقدسي (ت القرن ٤هـ/١٠م) وناصر خسروا (ت القرن ٥هـ/١١م) والعليمي (ت القرن ١٠هـ/ ١٦م) وغيرهم، فذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم أن للمدينة ثمانية أبواب هي: باب صهيون وباب التيه وباب البلاط وباب أريحا، وباب العمود وباب محراب داود[1] .

وكانت أبواب المدينة عرضة للتغيّر والتبدّل من وقت لآخر تفتح وتغلق حسب حاجة المدينة، ومن هذه الأبواب:

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٦٧.



أسوار مدينة القدس

جانب من سور مدينة القدس

١- باب العمود

وهو أكبر أبواب المدينة والمنفذ الرئيسي لها، وبُني أيام الرومان في القرن الأول الميلادي، ويقع في الجهة الشمالية من سور المدينة، وكان يسمى قديماً باسم باب دمشق[١] لأنه كان مخرج القوافل المتجهة من القدس إلى مدينة دمشق، وعرف أيضاً بباب النصر أو طريق الانتصار، لأنه كان يستخدم لعبور الجماعات الفاتحة أو المنتصرة التي تدخل مدينة القدس سواءً أكانت فاتحة كالمسلمين أو محتلة كالرومان والإفرنج وغيرهم، وسمي أيضاً باب نابلس وهو اسم أطلقه عليه أهل الخليل لأنه مبنيٌّ من جهة نابلس أو في الاتجاه المؤدي إليها، بينما أطلق عليه الإفرنج اسم (باب ستيفن)[٢].

أما تسمية (باب العمود) فهي الأكثر شيوعاً وتداولاً بين الناس، وسمي باب العمود لأن الرومان خلال احتلالهم المدينة أقاموا عموداً في الساحة الداخلية المقابلة لهذا الباب، وجعلوا عليها تمثالاً من الجرانيت الأسود يمثل الإمبراطور أدريانوس (هادريان) احتفاءً بزيارته للمدينة المقدّسة.

ويتكون الباب من مدخل وعقد يقوم فوقه برج صغير من الحجر، وفوق الباب نقش تذكاري يخلد اسم السلطان سليمان القانوني الذي قام بتجديده وإعادة بنائه سنة ٩٤٤هـ/١٣٥٧م[٣].

٢- باب الساهرة

وهو من الأبواب الشمالية لمدينة القدس، ويقع إلى الشرق من باب العمود وعلى بعد ٥٠٠ متر تقريباً بين بابي العمود والأسباط، وورد ذكره عند المقدسي باسم (باب جب

---

(١) انظر: رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ص٣٤٤، محمد هاشم غوشة: بوابات القدس، مؤسسة عبد الحميد شومان،عمان ١٩٩٢م، ص٢٢، زهير غنايم ومحمود عواد، القدس / اللجنة الملكية لشؤون القدس، عمان ٢٠٠٢م، ص٣٣.

(٢) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص٣٤٤.

(٣) ن، م، ص٣٤٤.

إرميا)[1]، ويطلق عليه أهل القدس اسم (باب الزهراء)، وسمي باب الغنم، لأنه كانت تقام فيه سوق أسبوعية للغنم، وكان البعض يسميه باب الورد، كما أطلق عليه البعض اسم باب هيرودس.

ويتكون الباب من مدخل وعقد مدبب وبينهما نقش حجري يظهر فيه اسم السلطان سليمان القانوني وألقابه وتاريخ تجديد بناء الباب في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وأغلق الباب ثلاث مرات في العصر الحديث ثم أعيد فتحه سنة ١٩١٧م[2].

٣- باب الأسباط

ويعرف أيضاً بباب ستي مريم، ويقع شمال شرق الحرم، ويتكون من مدخل كبير وعقد حجري مدبب، وبينهما نقش باللغة العربية يذكر قيام السلطان العثماني سليمان القانوني بإصلاحه سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م[3]، وهو أقرب مدخل للحرم القدسي الشريف من الجهة الشرقية[4]، وكان يسمى باب الأسود لوجود أسدين منحوتين على جانبي الباب يرمزان لشعار الظاهر بيبرس، وهذا يدل على أن الظاهر بيبرس كان له دور في بناء هذا الباب أو ترميمه، كما سمي باب الغنم، لأنه كان مخرج الأغنام ومدخلها من مدينة القدس وإليها، وباب الأردن لأنه يؤدي إلى جهة الأردن في الشرق[5].

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم: ص١٦٧، رائف نجم: وآخرون، كنوز القدس، ص٣٤٧، محمد غوشة، بوابات القدس، ص٦٥.

(٢) محمد غوشة، بوابات القدس، ص٦٥-٦٦.

(٣) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص٣٥٢ .

(٤) محمد غوشة، بوابات القدس، ص٦١.

(٥) محمد غوشة، بوابات القدس، ص٦٢.

باب الساهرة

باب الأسباط

٤- باب الرحمة (الباب الذهبي)

وهو أقدم أبواب المدينة المقدسة، ويعود تاريخه إلى زمن هيرود الكبير، وقيل بل إلى عصر عيسى عليه السلام الذي اعتاد أن يدخل المسجد الأقصى في أحد الشعانين من هذا الباب، ولم يكن الباب يفتح إلا في هذا اليوم[١].

ويقع هذا الباب في الجهة الشرقية من مدينة القدس، وكان يقال له باب التوبة، وسمي بذلك لأن الله سبحانه وتعالى قبل توبة النبي داود عنده[٢]، وكان قديماً يسمى باب الحُكم أو باب القضاء[٣].

٥- باب المغاربة

ويقع في الجهة الجنوبية الشرقية لمدينة القدس، وسمي كذلك لأنه يجاور جامع المغاربة أو مقام المغاربة[٤]، وينتهي إلى حارة المغاربة، ويطلق عليه أيضاً اسم (باب النبي) أو (باب البراق)[٥]، وهناك من أطلق عليه اسم (باب الدباغة) لأنه كان يؤدي إلى سوق الدباغة، وباب سلوان[٦] لأنه يؤدي إلى قرية سلوان، وسمي باب القمامة (القيامة) لأنه يؤدي إلى كنيسة القيامة.

ويتكون الباب من مدخل وعقد حجري مدبب ويغطي فتحة المدخل مصراعان من الخشب القوي[٧].

(١) محمد غوشة، بوابات القدس، ص١٠٩.
(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٥١، ٧٠، ناصر خسرو، سفرنامة، ص٦٠، العليمي، الأنس الجليل، ج٢، ص٥١.
(٣) محمد غوشة، بوابات القدس، ص١٠٩.
(٤) السيوطي، اتحاف الأخصا، ج١، ص٢٠٥، محمد غوشة، بوابات القدس، ص١٠٥.
(٥) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص١٧٨.
(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٦٧، زهير غنايم ومحمود عواد، القدس، ص٣٤.
(٧) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص١٧٨.



باب المغاربة



منظر آخر لباب المغاربة

٦- باب النبي داود

ويعتبر المدخل الجنوبي الغربي لمدينة القدس، ويقع إلى الغرب من باب المغاربة وإلى الجنوب من باب الخليل، ولعله سمي بهذا الاسم لأنه أقرب مخرج من المدينة يؤدي إلى مقام النبي داود فوق جبل صُهيون[1]، ويعرف أيضاً باسم (باب صهيون) نسبة إلى جبل صهيون الذي يوجد عليه الباب، كما يعرف بباب المحراب، وهو باب كبير يتكون من مدخل وعقد حجري مدبب، وللباب مصراعان من الخشب المصفح بالنحاس وعلى جانبيه نافذتان يعلوهما قوسان صغيران، ويتميز هذا الباب بأنه تظهر فيه مميزات العمارة العسكرية من حيث الضخامة والارتفاع والأبراج التي كانت تستعمل للمراقبة

(١) محمد غوشة، بوابات القدس، ص٥١.

ورمي السهام أو صب الماء والزيت المغلي على الأعداء[1]، وتم تجديد بنائه زمن السلطان سليمان القانوني ٩٤٧هـ/١٥٤١م.

٧- باب الخليل

وورد ذكره عند المقدسي باسم (باب محراب داود)[2]، ويسمى باب يافا، وعرف بباب الخليل لأنه يؤدي إلى مدينة الخليل أو مُقام من جهة الخليل، وعرف باسم (بوابة بيت لحم) لأنه يؤدي إلى بيت لحم أيضاً، وباب المحراب وباب الحجاج وباب حِبرون وباب لُد وباب شهداء الحقل وباب الأصدقاء[3].

يعود إنشاء هذا الباب إلى القرن الأول الميلادي في زمن هيرود، ويتكون من مدخل وعقد حجري مدبب، وبينهما نقش تذكاري يشير إلى إعادة بناء هذا الباب سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨-١٥٣٩م في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني[4]، وفوق الباب سور وأبراج مسننه مستطيلة الشكل، وهو مبنى من الحجر الوردي الكالح.

٨- باب الجديد

ويقع هذا الباب إلى الشمال من باب الخليل، وبينه وبين باب العمود، وهو أحدث أبواب المدينة لذلك سُمي الباب الجديد، ويسمى أيضاً باب عبد الحميد لأنه فتح بأمر من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة ١٨٨٧م لتسهيل الدخول إلى المدينة أمام أهل القرى المجاورة لها من الجهة الشمالية الغربية[5]، وهو باب متوسط الحجم تعلوه ثلاثة أبراج مستطيلة الشكل.

---

(١) رائف نجم وآخرون ، كنوز القدس، ص٣٥٦.

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم، ص١٦٧.

(٣) محمد غوشة، بوابات القدس، ص٣٩.

(٤) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص ٣٥٤ .

(٥) محمد غوشة، بوابات القدس، ص٣٧.

ب- أبواب الحرم القدسي

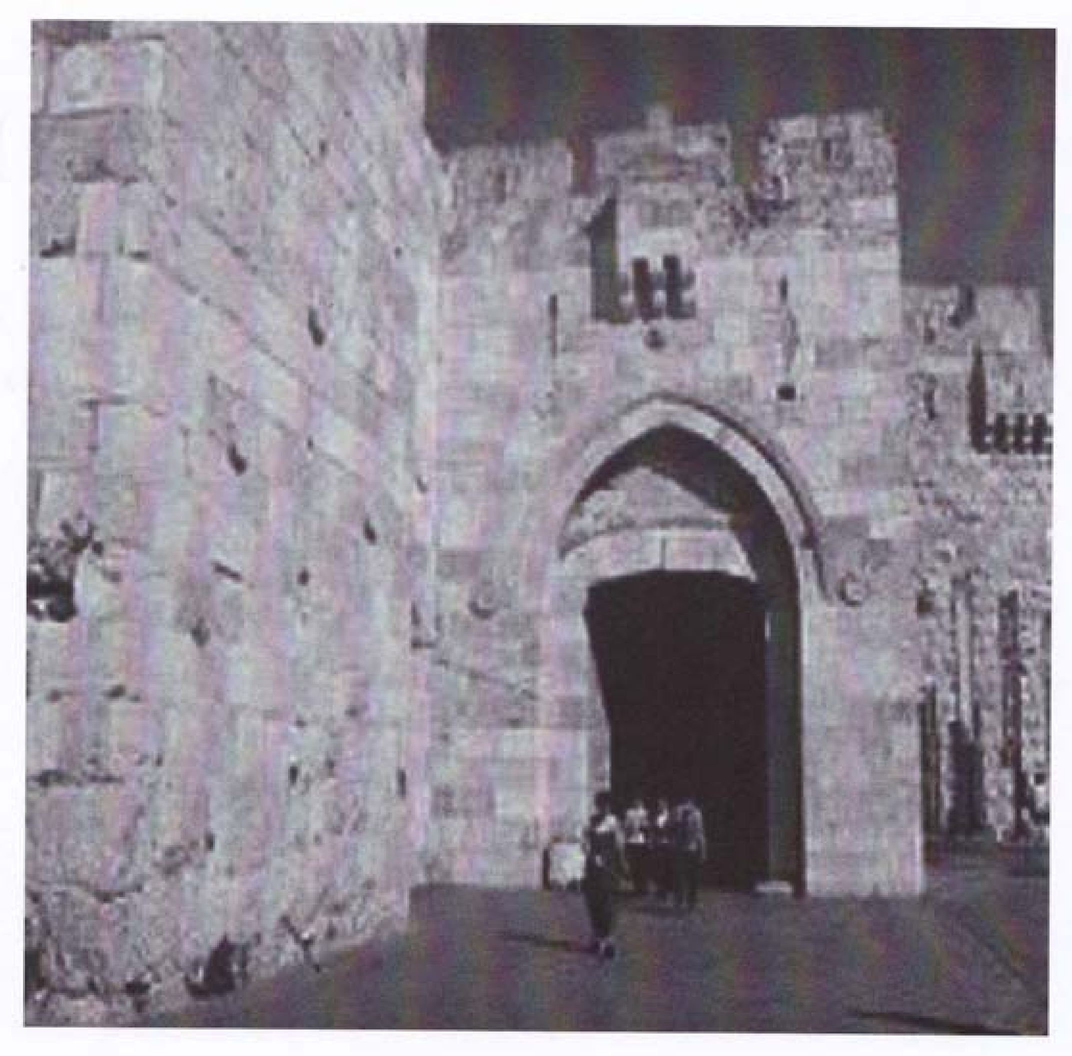
ويخلط الكثيرون بين أبواب الحرم القدسي الشريف وأبواب المدينة المقدسة، فأبواب المدينة هي التي تسمح بالدخول إلى المدينة والخروج منها وهي موجودة في جدارن السور الذي يحيط بالمدينة، أما أبواب الحرم القدسي فهي الأبواب الموجودة في أسوار الحرم القدسي التي يتم الدخول منها إلى ساحة الحرم الذي كان يعرف باسم المسجد الأقصى، لوجود المسجد الأقصى في الزاوية الجنوبية الغربية منه.

وتحدث المقدسي عن أبواب الحرم، فذكر أنه يتم الدخول إلى المسجد من ثلاثة عشر موضعاً بعشرين باباً هي: باب حطة، وبابي النبي صلى الله عليه وسلم، وأبواب محراب مريم، وبابي الرحمة، وباب بركة بني إسرائيل، وأبواب الأسباط، وأبواب الهاشميين، وباب الوليد، وباب إبراهيم، وباب أم خالد، وباب داود[١].

وحملت بعض هذه الأبواب أسماء الأبواب التي تقابلها أو تؤدي إليها من أبواب المدينة، مثل باب الأسباط وباب المغاربة، وفي الجهة الشرقية جاءت أبواب المدينة في كثير من الأحيان لتشكل أبواباً للحرم القدسي، لأن سور الحرم في هذه الجهة هو نفسه سور المدينة، لهذا تتكرر أسماء الأبواب المؤدية إلى المدينة مع بعض أسماء أبواب الحرم القدسي الشريف، ومن أبواب الحرم القدسي:

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٧٠.



الباب الجديد

١ - باب الغوانمة

ويقع في آخر الجهة الغربية من الشمال، وبالقرب من منارة الغوانمة، وكان يسمى قديماً (باب الخليل)[(١)]، وأما في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي فكان يسمى (باب الوليد)[(٢)]، ولعل هذه التسمية أقدم من ذلك وربما تعود إلى عهد بني أمية فينسب الباب إلى الوليد بن عبد الملك الذي كان له اهتمام كبير بالمسجد الأقصى والقدس.

(١) السيوطي، إتحاف الأخصا، ج١، ص٢٠٤، العليمي، الأنس الجليل، ج٢، ص٧٢.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٧٠.

وورد ذكر هذا الباب عند كل من السيوطي وابن فضل الله العمري، ويصعد إليه من الحرم الشريف بعشر درجات، وطوله أربعة أذرع وعرضه ثلاثة أذرع[١].

ويتكون الباب من مدخل صغير تم تجديد بنائه في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م في الوقت الذي قام فيه ببناء الرواق الغربي للحرم القدسي[٢].

٢- باب العتم

وهو المدخل الشمالي للحرم القدسي، ويقع بين باب حطة وباب الغوانمة، ويعتبر من الأبواب القديمة في مدينة القدس، وهو الباب الذي دخل منه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عند زيارته للمدينة [٣]، وسمي باب العتم لأن الطريق المؤدية إليه طريق مظلمة لذلك حمل اسم (باب الظلام)[٤].

وكان لهذا الباب أسماء عديدة أطلقت عليه في العصور المختلفة منها (باب المجاهدين) وسمي كذالك لمجاورته قبور المجاهدين التي تنتشر على الطريق المؤدية إلى الباب، وهي قبور المجاهدين الذين استشهدوا إبان تحرير صلاح الدين الأيوبي لمدينة القدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م من أيدي الإفرنج.

وعرف الباب باسم (باب شرف الأنبياء)، و(الدوادارية) وهو اسم اشتهر به في العصر المملوكي[٥]، ثم أطلق عليه اسم (باب الملك فيصل) بعد تبرع الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود بعمارة المسجد الاقصى المبارك، وتم تجديد هذا الباب في العهد الأيوبي أيام الملك المعظم عيسى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م.

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٧٠.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج١، ص١٦٠.

(٣) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص ١٧٢.

(٤) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص ١٣٢.

(٥) السيوطي، إتحاف الأخِصّا،ج١،ص٢٠٤، العليمي، الأنس الجليل، ج٢،ص٧١.

٣- باب حطة

وهو من الأبواب الشمالية للحرم القدسي الشريف، ويعتبر من أقدم أبواب الحرم القدسي، ويقع بين باب الأسباط وباب العتم، ويتكون من مدخل عالي الارتفاع يغطيه مصراعان من الخشب القوي، وأرضيته مفروشة بالبلاط الحجري[١]، وجددت عمارته في عهد الملك المعظم سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م كما هو مثبت في أعلى الباب.

٤- باب الأسباط

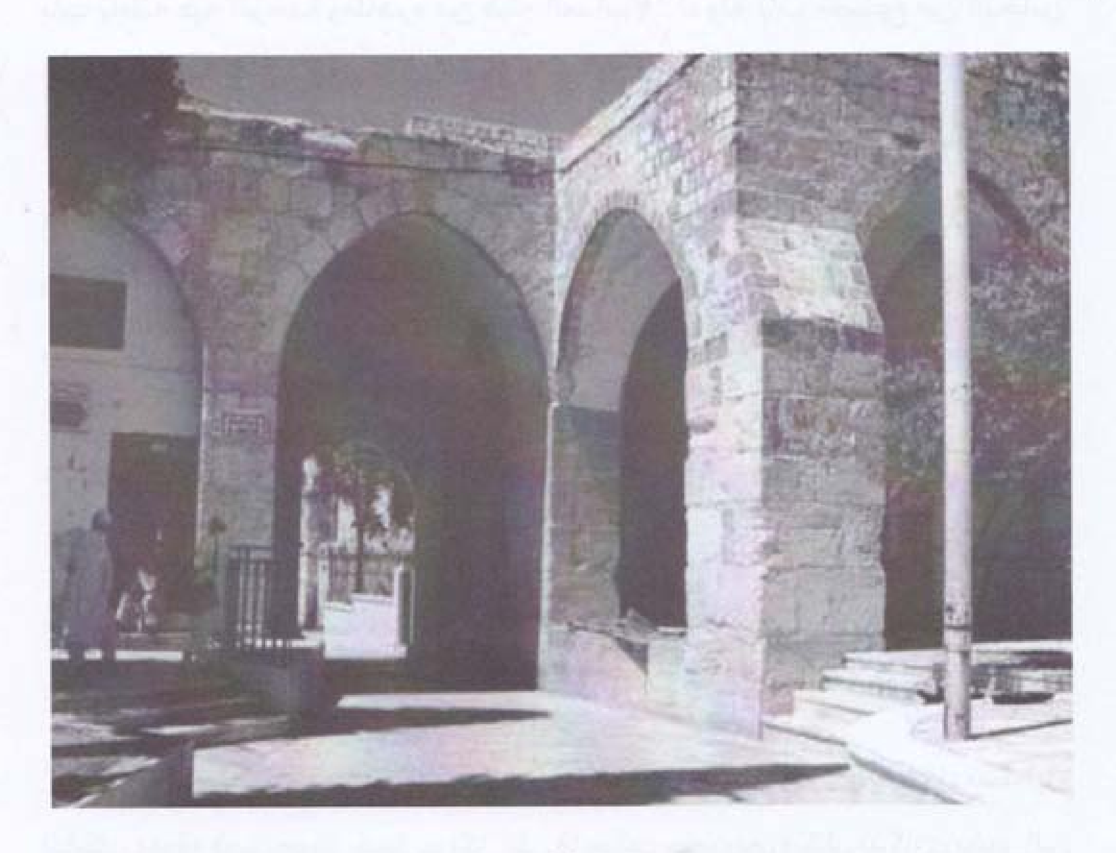
وهو باب آخر غير الأسباط الموجود في سور المدينة، وهذا باب للحرم القدسي فبعد الدخول إلى المدينة من باب الأسباط الرئيسي ينتهي الداخل إلى هذا الباب إذا رغب في الدخول إلى الحرم، وهو باب قديم لعله بني مع بناء باب الأسباط الرئيسي الموجود في سور المدينة، وذلك للتشابه بينهما، حيث جاء بناؤهما على نفس الطراز[٢].

ويرجح أن بناء الباب الأول يعود إلى زمن هيرود، وبني معه هذا الباب، ثم أعيد بناؤه أيام المماليك زمن السلطان الظاهر بيبرس، ثم أغلق وأعيد فتحه وتجديد عمارته مرة أخرى في العهد العثماني سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م.

---

(١) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص١٣٦.

(٢) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص٣٨٤، محمد غوشة، بوابات القدس، ص٧٩.



باب الأسباط

٥- باب الرحمة :

ويقع باب الرحمة في الجائط الشرقي من الحرم القدسي الشريف[١]، وعلى بعد ٢٠٠ متر تقريباً جنوب باب الاسباط، وهو من اقدم أبواب الحرم، ويقال بأنة يعود إلى عهد النبي عيسى عليه السلام، وهناك من يرى أنه يعود إلى أيام الإمبراطور الروماني هادريان (القرن٢م)[٢].

ويرى العليمي أن هذا الباب هو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج٢، ص٦٨.

(٢) محمد غوشة، بوابات القدس، ص١٠٨.

بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[١]، وله باب مصنوع من النحاس الأصفر المنقوش.

وفي العصر الفاطمي بني فوق باب الرحمة مقرٌّ أو بيتٌ للصوفية، ثم بنى نصر بن إبراهيم المقدسي مدرسة أو زاوية فوق برج الباب سميت بالناصرية والزاوية الغزالية نسبة إلى أبي حامد الغزالي، وأعيد ترميم هذه الزاوية في عهد الملك المعظم عيسى ووقفها لقراء القرآن الكريم[٢].

٦- باب المغاربة

وهو أقرب مدخل مفتوح للمسجد الأقصى من ناحية الغرب، ويقع بالقرب من جامع المغاربة، كما يؤدي إلى حارة كانت تعرف بحارة المغاربة[٣]، ثم سكنها اليهود وصارت تعرف بحارة اليهود[٤].

ويختلف هذا الباب عن بقية الأبواب من حيث مميزاته المعمارية، فهو مدخل مستطيل الشكل، وفوقه قوس مفرز جميل يرتكز على قاعدتين حجريتين ونقش تذكاري يشير إلى تجديد البناء في زمن السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م[٥].

ويطلق على هذا الباب اسم (باب سلوان) وباب الدباغة، وكان الإفرنج يسمونه باب المغاربة أو باب القمامة، وعند العليمي أن هذا الباب هو الذي يسمى باب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الباب اليماني الذي دخل منه النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج[٦].

---

(١) سورة الحديد، الآية ١٣.

(٢) محمد غوشة، بوابات القدس،ص ١١٠.

(٣) العليمي، الأنس الجليل،ج٢، ص٧٢.

(٤) محمد غوشة، بوابات القدس، ص١٠٥.

(٥) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص٣٥٩.

(٦) العليمي، الأنس الجليل، ج٢،ص٧٢-٧٣.

٧- باب السلسلة وباب السكينة

وهما بابان رئيسيان من أبواب الحرم القدسي الشريف، أحدهما مفتوح وهو باب السلسلة، والآخر مغلق وهو باب السكينة أو الباب المغلق ويعرف أيضاً بباب السحرة، وقديماً كان يطلق عليه اسم (باب داود) و (باب السلام)، ويذكر العليمي أن هذين البابين هما عمدة أبواب المسجد الأقصى[١].

وأنشى هذان البابان في فترة مبكرة من العصر الإسلامي، وأعيد تجديدهما في العصر الأيوبي، ويقعان في الجهة الغربية من الحرم القدسي الشريف بين بابي المغاربة والمطهرة، فالشمالي منهما باب السكينة، والجنوبي باب السلسلة، ولهما بابان مزخرفان واجهتهما من النحاس الدمشقي اللامع المطعّم بالذهب، وارتفاع كل باب منهما ٣٠ قدماً وعرضه ١٦ قدماً[٢].

٨- باب المطهرة

هو باب قديم كان يعرف بباب المتوضّأ، ويقع في الجهة الغربية من الحرم القدسي بين باب السلسلة وباب القطانين، وسمي باب المطهرة لقربه من مكان وضوء المصلين الذي يعرف بالمطهرة، وهو باب متوسط الحجم يتكون من مدخل حجري معقود مدبب، والباب يتكون من مصراعين من الخشب القوي[٣].

وجددت عمارة هذا الباب أيام المماليك على يد الأمير علاء الدين البصير سنة ٦٦٥- هـ/ ١٢٦٦م مع تجديدات أخرى أجراها لمنطقة الحرم القدسي[٤]، وللباب عدة أسماء منها باب المتوضّأ وباب الساقية أو باب السقاية.

---

(١) ن . م ..، ج٢، ص ٧٣.

(٢) محمد غوشة ، بوابات القدس، ص ٩٩.

(٣) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص١٤٢.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٣، ص٣٥٧.

٩- باب القطانين

وهو أحد الأبواب الغربية للحرم القدسي، وموقعة بين الحديد والسلسة، وسمي باب القطانين لأنه ينتهي إلى سوق القطانين[١]، وهو من الأبواب القديمة، وتم تجديد بنائه في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٧هـ /١٣٣٦م على يد الأمير سيف الدين تنكز الناصري، ويؤكد ذلك النقش التذكاري الموجود على الباب[٢].

١٠- باب الحديد

من الأبواب الغربية للحرم القدسي، ويقع بين بابي الناضر والقطانين، ويسمى أيضاً باب أرغون نسبة إلى الأمير أرغون الكاملي نائب الملك في الشام[٣] الذي قام بترميمه وتجديد عمارته في منتصف القرن ٨هـ/١٤م، وأرغون كلمة تركية معناها (الحديد)، ويتكون الباب من مدخل وعقد حجري مدبب، ولكنة يخلو من العناصر المعمارية .

١١- باب الناظر

وهو أيضاً باب قديم وأحد المداخل الغربية للحرم القدسي، وموقعه بين باب الغوانمة وباب الحديد، وهو باب ضخم محكم البناء وله مصراعان من الأبواب الخشبية المصفحة بالنحاس[٤].

ويذكر العليمي في الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل أن هذا الباب هو المكان الذي ربط به جبريل علية السلام البراق ليلة الإسراء والمعراج، وتم تجديد عمارته في عهد الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م[٥]، وكان يعرف بباب ميكائيل، وسمي باب البصير أو باب علاء الدين البصير لأنه بجوار رباط علاء الدين البصير، كما

---

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج٢، ص٧٢.

(٢) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص١٩٣، محمد غوشة، بوابات القدس، ص٩٣.

(٣) العليمي ، الأنس الجليل ، ج٢ ، ص٧٢.

(٤) رائف نجم وآخرون ، كنوز القدس ، ص١١٨ .

(٥) العليمي ، الأنس الجليل ، ج٢ ، ص٧٢.

سمي باب الحبس لأنة في العهد العثماني كان يؤدي إلى الحبس (السجن)، وسمي باب النذير، وباب الحبل، وباب المجلس وهو آخر الأسماء التي أطلقت عليه نسبة إلى المجلس الإسلامي الأعلى[1].

وتوجد أبواب أخرى في مدينة القدس، تعود لعصور مختلفة، منها: باب أريحا وباب الخضر والباب الهاشمي والباب الوحيد (المفرد) وباب عبدالملك وباب الحجاج وباب البائكة وباب الحصان وباب الواد.

(١) رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، ص١١٨، محمد غوشة، بوابات القدس، ص٨٨.

الفصل الثاني

مدينة السلام في العصور القديمة

أ - عصور ما قبل التاريخ:

١. العصر الحجري القديم ويمتد من(١٥٠٠٠٠-١٢٠٠٠ق.م).

٢. العصر الحجري الوسيط ويمتد من(١٢٠٠٠-٧٠٠٠ق.م).

٣. العصر الحجري الحديث ويمتد من (٧٠٠٠-٤٠٠٠ق.م).

ب. العصور التاريخية :

١. العصر الحجري المعدني (النحاسي)ويمتد من (٤٠٠٠-٣٠٠٠ق.م).

٢. العصور البرونزية ٣٠٠٠ - ١٥٥٠ق.م

أ. العصر البرونزي القديم (٣٠٠٠-٢٠٠٠ق.م):

ب. العصر البرونزي الوسيط (٢٠٠٠-١٥٥٠ق.م):

- إبراهيم عليه السلام

- قصة إبراهيم والنمرود في العراق

- هجرة إبراهيم إلى فلسطين ومصر

ج. العصر البرونزي الحديث(١٥٥٠-١٢٠٠ق.م):

مدينة السلام في العصور القديمة

قسم العلماء حياة الإنسان على سطح الأرض إلى قسمين هما:

أ- عصور ما قبل التاريخ.

ب- العصور التاريخية.

واعتبر العلماء الكتابة هي الفاصل بين العصرين، حيث بدأ الإنسان بمعرفة الكتابة في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد؛ أي بحدود عام ٣٢٠٠ ق.م، كما قُسمت تاريخياً إلى عصور حملت اسم المادة التي استخدمها الإنسان في حياته في ذلك العصر، أو المادة التي صنع منها أدواته : كالحجارة والفخار والمعادن وغير ذلك، أو حسب العنصر الذي كانت له السيادة في فترة أو في عصر من العصور.

وتقسم عصور ما قبل التاريخ إلى ثلاثة أقسام هي:

١. العصر الحجري القديم ويمتد من(١٥٠٠٠٠-١٢٠٠٠ق.م).

٢. العصر الحجري الوسيط ويمتد من(١٢٠٠٠-٧٠٠٠ق.م).

٣. العصر الحجري الحديث ويمتد من (٧٠٠٠-٤٠٠٠ق.م).

وأجريت حفريات أثرية في فلسطين دلت على أن فلسطين مرت بهذه العصور، أو عاش فيها الإنسان وأنتج حضارة متقدمة بين حضارات تلك العصور[١]، وسنشير إلى بعض ملامح هذه العصور.

---

(١) انظر: فيليب جتي، تاريخ سوريا، ج١ ص١٤، ٢١، ٢٤، عزمي أبو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة، مؤسسة باكير للدراسات الثقافية، الزرقاء- الأردن ١٩٩٣م، ص١٣.

١- العصر الحجري القديم ويمتد من (١٥٠٠٠٠-١٢٠٠٠ق.م)

سكنت فلسطين في هذه الفترة قبائل بدائية، وكانت حياة الإنسان في جميع البلاد كذلك، وكان الإنسان في تلك الفترة جامعاً للطعام، لذلك أمضى حياته متنقلاً بين الغابات، يأوي إلى الكهوف والمغاور لحماية نفسه من الأخطار والأمطار.

وعُرف الإنسان الذي عاش في فلسطين باسم إنسان جبل الكرمل (إنسان فلسطين)، وهو ينتمي إلى جماعة الإنسان العاقل، إما إلى جنس إنسان (نيا ندرتال)نسبة إلى وادي في منطقة الراين[١]، أو إلى إنسان (كرومانيون أو كروماجنون) نسبة إلى مغارة بفرنسا[٢]، وهو الأرجح.

واستخدم الإنسان أدواته من الحجر كالفؤوس الحجرية والسواطير والمطارق والبلطات وغيرها، وعَرف إنسان فلسطين النار في هذه المرحلة، بدليل عثور المنقبين على بقايا النار في مغارة الطابون التي يعود تاريخها إلى عام (١٥٠٠٠ق.م).

٢- العصر الحجري الوسيط (١٢٠٠٠-٧٠٠٠ق.م)

وتشير الدراسات التي أجراها علماء الآثار في فلسطين إلى أن إنسان فلسطين بدأ بالتحول التدريجي نحو الاستقرار، مع بقائه متنقلاً وجامعاً للطعام، كما بدأ بتربية الحيوانات واستئناسها، وتدجين الكلب[٣].

توجه الإنسان لإنتاج الطعام، فمارس الزراعة، وخاصة زراعة الحبوب كالقمح والشعير، وهو أول من قام بذلك، وأصبحت أدواته الحجرية أصغر حجماً وأكثر تهذيباً

---

(١) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص١٠.

(٢) فرانكن، القدس في العصر البرونزي/ ضمن كتاب القدس في التاريخ/ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية عمان ١٩٩٢م ص٣٤، عزمي أبو عليان، القدس، ص١٤.

(٣) سامي سعيد الأحمد تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد ١٩٧٩م، ص٥٨.

من ذي قبل، كالمناجل الصوانية ذات المقابض الخشبية، وهي التي وصفها أولبرايت بالآلات الهلالية المميزة للحضارة النطوفية[1].

وتعتبر الحضارة النطوفية أهم ما يميز هذا العصر في فلسطين؛ وهي حضارة فلسطينية تنسب إلى وادي نطوف في شمال غرب القدس[2]، وتوجد مواقع في أريحا تعود إلى هذا العصر تؤكّد صفة الانتقال الفعلي والاستقرار؛ وهي تعود إلى الألف التاسعة قبل الميلاد، أما إنتاج الطعام فقد بدأ في الألف الثامنة قبل الميلاد.

وفي مدينة أريحا نشأت أقدم الحضارات العالمية، فقد عرفت بناء المنازل من الحجر والطين، وزراعة الأرض وتربية الحيوانات، وصناعة الأدوات الحجرية من صحون وسكاكين ومناجل ورؤوس رماح غير أنها لم تعرف صناعة الفخار[3].

٣- العصر الحجري الحديث ٧٠٠٠-٤٠٠٠ق.م

تميز هذا العصر بأنه بدأ يظهر فيه المجتمع القروي المستقر في فلسطين، وأساسه العمل بالزراعة، كما صار شعور الإنسان يتجه نحو الارتباط بالأرض المزروعة مما أدى إلى ظهور الشعور بالوطنية، فلا يستطيع ترك الأرض التي قدم جهداً في زراعتها فهو بحاجة إلى ما تنتجه الأرض، لذلك بنى المنازل قرب الأرض المزروعة واستقر فيها، وقسم هذا العصر إلى فترتين:

- الأولى تمتد من ٧٠٠٠-٥٠٠٠ق.م

لم تعرف صناعة الفخار، ووجدت فيها منازل دائرية مبنية من الآجر ولها سقوف مدببة وأرضيات من الطين المدكوك بالإضافة إلى منازل مستطيلة ولها حيطان مبلطة

---

(١) وليم أولبرايت، آثار فلسطين، ترجمة زكي إسكندر ومحمد عبد القادر، القاهرة ١٩٧١م، ص٦١، حسين حمادة، آثار فلسطين حرب الهياكل التوراتية اليهودية ووثائق الاستكشافات الأثرية العلمية، دار قتيبة، دمشق١٩٨٣م، ص٩٨.

(٢) سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم ، ص٥٧.

(٣) انظر: فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج١،ص١٥-٢٠، الدباغ، بلادنا فلسطين، قسم٢ ص٣٥٧-٣٦٠، حسين حمادة، آثار فلسطين ص٨٩-٩٩.

بالجص كما عرفت صناعة التماثيل البشرية والحيوانية، وأهم مواقع هذه الفترة مدينة أريحا[1].

- والثانية تمتد من ٥٠٠٠-٤٠٠٠ق.م:

وفيها بدأ الإنسان الفلسطيني بصناعة الفخار العادي والملون، وأشارت كاثلين كينون وهي من أشهر المنقبين عن الآثار في الأردن إلى أن فخار أريحا كان مخلوطاً بالتبن، وربما استخدم التبن لزيادة التماسك، وعمل سكان فلسطين في هذه الفترة على تحصين القرى بالأسوار والأبراج التي بنيت من الحجارة لحماية أهلها من الأخطار خاصة بعد ظهور التسللات السامية التي بدأت بالظهور في هذه الفترة[2].

ويذكر أولبرايت أن أريحا كانت في الألفين السابعة والسادسة قبل الميلاد محاطة بأسوار من الحجر[3]، وكانت فيها معابد أيضاً، وهي أول مدن العالم التي تمتعت بهاتين الميزتين، وبهذا تكون أريحا أقدم مدن العالم على الإطلاق، كما وجدت في أريحا تماثيل دينية تدل على رموز كنعانية ومنها ما يشير إلى آلهة الخصب.

ومن مواقع هذه الفترة أيضاً موقع أبو غوش بالقرب مدينة القدس، ومنها مواقع قرب منابع نهر الأردن في سهل مرج بن عامر[4]، وعرفت حضارة فلسطين في العصر الحجري الحديث باسم (الحضارة الطاحونية)نسبة إلى وادي طاحونة جنوب بيت لحم[5].

وانتشرت في العصر الحجري الحديث الدولمينات في فلسطين والأردن؛ وهي عبارة عن مبانٍ تتكون من قطع ضخمة من الحجر مقامة بجانب بعضها بعضاً لتكوين جدران غرفة أو مجموعة من الغرف، ثم وضعت فوقها قطع ضخمة أخرى لتكوين السقف،

---

(١) أولبرايت، آثار فلسكين:ص٦٣-٦٤ ،سامي سعيد الأحمد ،تاريخ فلسطين القديم ص٦١.

(٢) عزمي أو عليان،القدس،ص١٧.

(٣) أولبرايت، آثار فلسطين ص٦٣.

(٤) انظر: سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، ص٦٣، فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان، ج١ ص٢١-٢٣، الدباغ ، بلادنا فلسطين، ج١ قسم ٢ ص٣٦٢- ٦٤، الموسوعة الفلسطينية، ج١ص٣٦٢.

(٥) سامي سعيد الأحمد ، تاريخ فلسطين القديم، ص٦٥.

وغالباً ما كان المبنى مطموراً في كومة من التراب أو الحجارة، كما انتشرت أيضاً مبانٍ على شكل دوائر حجرية مرصوصة إلى بعضها بعضاً، وكانت تشكل لأغراض دينية[1]، ويطلق عليها بعض أهالي شرق الأردن اسم الأديرة لشكلها الدائري.

ب- العصور التاريخية :

١- العصر الحجري المعدني (النحاسي) ٤٠٠٠-٣٠٠٠ق م

وأهم ما يميز هذا العصر في فلسطين هو معرفة الإنسان للنحاس واستخدامه في حياته اليومية مع استمرار استخدامه للأدوات الحجرية والفخارية، وعرف الإنسان الكتابة في هذا العصر، وكانت البدايات الأولى لاستخدام الكتابة بحدود سنة ٣٢٠٠ق.م.

وسكان فلسطين في هذه الفترة ينتمون إلى عرق حوض البحر المتوسط، وأهم أحداث هذا العصر هو الهجرات السامية التي تحركت من الجزيرة العربية صوب فلسطين وبلاد الشام وبلاد الرافدين، وأهمها الهجرات الأمورية الكنعانية التي استقرت في فلسطين وبنت فيها المدن وأقامت حضارة متطورة.

٢- العصور البرونزية ٣٠٠٠-١٢٠٠ق.م.

وفي هذا العصر تأكّدت الهوية العربية الكنعانية لفلسطين ومدينة القدس وبدأ بناء المدن الكنعانية، والعصور البرونزية تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي : البرونزي القديم والمتوسط والحديث.

١- العصر البرونزي القديم (٣٠٠٠-٢٠٠٠ق.م):

وشهد قيام الهجرات لآمورية والكنعانية إلى سوريا وفلسطين وبناء المدن الكنعانية في أرض كنعان (فلسطين).

---

(١) أولبرايت، آثار فلسطين، ص٦٥-٦٦.

٢- العصر البرونزي الوسيط (٢٠٠٠-١٥٥٠ق.م):

شهد ظهور الجماعات الغازية لفلسطين كالحوريين والهكسوس، وخضوع فلسطين لحكم الفراعنة المصريين [١]، كما شهد هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى فلسطين.

٣- العصر البرونزي الحديث(١٥٥٠-١٢٠٠ق.م :

وتميز بقدوم شعوب غازية لفلسطين من البحر المتوسط، وفي مقدمتها البليسيت (الفلسطينيون)، فأقاموا في أرض كنعان وانصهروا مع أهلها حتى سميت أرض كنعان باسمهم وأطلق عليها فلسطين.

وفيما يلي سيتم إلقاء الضوء على أهم أحداث العصر البرونزي الوسيط الذي شهد ظهور نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام ونبوته ورسالته إلى قومه وإلى النمرود حاكم العراق الذي طغى وتجبر في الأرض، وما كان من قصّته مع نبي الله إبراهيم عليه السلام [٢].

إبراهيم الخليل عليه السلام

هو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام [٣].

ولد إبراهيم عليه السلام في بابل من أرض العراق في منطقة السواد في قرية أور وقيل كان مولده بِحران ونقله أبوه إلى بابل [٤].

---

(١) بعض المؤرخين يعيد بداية السيطرة الفرعونية على مصر إلى العصر البرونزي القديم ٢٤٠٠ق.م (انظر: فليب حتي، تاريخ سوريا، ج١،ص١٣٦).

(٢) انظر: الطبري، الرسل والملوك، ج١، ص ٢٣٣- ٢٣٧، اليعقوبي، التاريخ، ج١، ص ٤٨- ٥٤، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٥٢ وما بعدها، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٥٣ - ٥٧، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ١٥- ١٧، البداية والنهاية، ج١، ص ١٣٤- ١٤٠، العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج١،ص٩٦- ١١٥، الكتاب المقدس/ التوراة، سفر التكوين، الإصحاحات ١١،١٤، ١٧،١٨، ١٩، ٢٠،٢٢، ٢٤،، إبراهيم الشريقي، أرض كنعان، ص٧١-٧٣.

(٣) الطبري، الرسل والملوك، ج١، ص٢٣٣، ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥٣.

(٤) قيل إن إبراهيم ولد بالوس من أرض الأهواز وقيل بكوتى (انظر ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥٣).

وعندما قرب مولد إبراهيم عليه السلام قال أصحاب النجوم للنمرود : إنا نجد في علمنا أن غلاماً يولد في قريتك يقال له إبراهيم، يفارق دينكم ويكسر أصنامكم في شهر كذا سنة كذا، فلما دخلت السنة التي وصفت للنمرود بعث إلى كل امرأة حُبلى في قريته فحبسها عنده، إلا ما كان من أم إبراهيم إمرأة آزر فإنه لم يعلم بحبلها فقد كانت إمرأة حدثة لا يظهر الحمل على بطنها وكان يأمر أن يذبح كل غلام يولد[1] في تلك السنة، ولما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت من بيتها ليلاً إلى مغارة كانت قريبة منها، فولدت إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه، ثم سدّت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها، وكانت تطالعه في المغارة لتنظر ماذا فعل فتجده حيّاً يمص أصابعه .

وكان آزر قد سألها عن حملها فقالت ولدت غلاماً فمات فصدّقها، وذكروا أن اليوم كان على إبراهيم كالشهر والشهر كالسنة، ولم يمكث إبراهيم في المغارة إلا ١٥ شهراً حتى سأل أمّه أن تخرجه من المغارة.

أخرجته أمه من المغارة عِشاءً؛ أي ليلاً فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض[2] والكواكب والنجوم وقال : إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني ربي ما لي إلهٌ غيره، ثم نظر في السماء فرأى كوكباً فقال : هذا ربي، ثم أتبعه ينظر إليه حتى غاب ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾[3] ثم طلع القمر فرآه بازغاً فقال : هذا ربي ثم أتبعه ببصره حتى غاب فقال: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِني رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾[4]، فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس قال هذا ربي هذا أكبر وتابعها حتى غابت : ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ • إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[5].

---

(١) الطبري، الرسل والملوك، ج١، ٢٣٤.

(٢) الطبري، الرسل والملوك، ج١، ص ٢٣٥، ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ٥٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٧٦.

(٤) سورة الأنعام ، الآية ٧٧.

(٥)سورة الأنعام : آيات ٧٨ — ٧٩.

ثم أخبرت أم إبراهيم آزر بأنه ولده إبراهيم، وجاءت به ففرح به فرحاً عظيماً، وكان آزر يصنع أصناماً لقومه ويعطيها إبراهيم ليبيعها فيذهب بها عليه السلام ويقول : من يشتري ما يضرّه ولا ينفعه ! فلا يشتريها أحد، فإذا بارت ذهب بها إلى النهر وصوب رأسها في الماء ويقول اشربي؛ استهزاء بها[1].

قصة إبراهيم والنمرود

لما كبر إبراهيم عليه السلام بعثه الله سبحانه وتعالى رسولاً وعلّمه دينه، فدعا قومه لنبذ عبادة الأصنام وأن تكون عبادتهم لله تعالى، فلما أبوا ذلك عاب عليهم آلهتهم وذمّها[2].

بدأت دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه، وكان قومه يقولون له : أبوك علّمنا هذه العبادة[3]، لأن أباه آزر هو الذي كان يصنع الأصنام التي كانوا يعبدونها[4]، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا • إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا • يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا • يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا • يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[5].

ولم يقبل أبوه الدعوة لعبادة الله، بل طلب منه البقاء على دين آبائه وعبادة الأصنام حتى لا يعرّض نفسه للعقاب، قال: ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[6].

---

(١) الطبري، الرسل والملوك، ج١، ٢٣٥، ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥٥.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٤٨.
(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج١، ص٤٨.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥٥.
(٥) سورة مريم، الآيات ٤١ — ٤٥.
(٦) سورة مريم، الآية ٤٦.

ثم جاءت دعوة إبراهيم لقومه لنبذ عبادة الأصنام والأوثان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ • إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ • قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ • قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ • قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ • وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ • فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[١].

فأبى قومه قبول دعوته، وأخذ إبراهيم يتحين الفرصة ليثبت لهم ضعف الأصنام التي يعبدونها، فلما كان أحد الأعياد عندهم وخرجوا لعيدهم تخلّف إبراهيم عن الخروج معهم، وذهب إلى الأصنام ومعه فأس، فوجدهم قد وضعوا الطعام للأصنام المصفوفة إلى جانب بعضها لتأكل هذا الطعام، فأخذ في تكسيرها وأبقى أكبر هذه الأصنام، ثم ربط الفأس بيده وتركها، فلما رجع قومه إلى الأصنام هالهم ما وجدوه من تكسيرها فأخبروا ملكهم نمرود بما حدث[٢].

وأخذوا يبحثون عن الشخص الذي أقدم على هذا العمل الخطير، فقيل لهم إنه فتىً اسمه إبراهيم كان يذكر الآلهة بسوء ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ • قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ • قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ • قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ • قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[٣].

فلما بلغ نمرود وأشراف قومه هذا العمل، ووجه الاتهام إلى إبراهيم، طلبوا إحضاره على مشهد من الناس، فلما جاءوا به واجتمع له قومه عند مليكهم نمرود وسألوه إن كان حطّم الأصنام، قال لهم: بل فعله كبيرهم هذا لأنه لم يرضَ عن عبادتهم لهذه الأصنام الصغيرة وهو أكبر منها فحطّمها[٤].

---

(١) سورة الأنبياء: الآيات ٥١ – ٥٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥٥، العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص١٠٢ – ١٠٣.

(٣) سورة الأنبياء: الآيات ٥٩ – ٦٣.

(٤) انظر: ابن الأثير، ج١، ص٥٥.

ثم اتفقوا على الانتصار لآلهتهم، فأجمعوا على قتل إبراهيم وحرقه بالنار، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ • قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ • وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ • وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

ولما قَرَّروا تنفيذ إحراقه حبسوه في بيت وبنوا له ما يشبه الحظيرة العالية، كان ارتفاعها ثلاثين ذراعاً وعرضها عشرين ذراعاً، وملأوها بالحطب وأوقدوا فيه النار ليطرحوه فيها، فلم يتمكنوا من الاقتراب منها لشدّة الحرّ، فجاء إبليس وعلمهم عمل المنجنيق[2]، وقيل بل أشار عليهم رجل من أعراب فارس وأعراب فارس هم الكرد[3]، أشار عليهم بذلك رجل يقال له هيزن[4] (هينون) وهو الذي صنع المنجنيق، ثم جاؤوا بإبراهيم عليه السلام وقيّدوه ورفعوه على رأس البنيان، ثم وضعوه في المنجنيق مقيّداً وألقوه في النار[5].

ولما قرروا إلقاءه في النار صاحت السماوات والأرض والملائكة : يا رب ليس في أرضك من يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته، قال الله تعالى : إن استغاث بشيء منكم فانصروه وإلّا فاتركوه[6].

وتلقاه جبريل عليه السلام وهو في الهواء وسأله ألك حاجة يا إبراهيم؟ فرد عليه إبراهيم قائلاً : أما إليك فلا، وأما إلى ربي فنعم.

وكانت النار التي ألقوا فيها إبراهيم شديدة الحرارة حتى كانت الطير تمر فوقها فتحترق من وهجها، وعندما ألقي فيها إبراهيم رفع رأسه إلى السماء وقال : (اللهم أنت الواحد في السماء وأنت الواحد في الأرض، ليس أحد يعبدك فيها غيري، حسبي الله

---

(١) سورة الأنبياء: الآيات ٦٨ – ٧١.
(٢) انظر العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص١٠٤.
(٣) الطبري، الرسل والملوك، ج١، ص٢٤٠.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥٦.
(٥) العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص١٠٤.
(٦) الطبري، الرسل، ج١، ص٢٤٢، ابن الأثير، ج١، ص٥٦.

ونعم الوكيل)[١]، فأمر الله جبريل أن ينادي في النار فناداها : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، ثم بعث ملك الظل في صورة إبراهيم فقعد فيها إلى جانبه يؤانسه[٢].

وبعد أيام أراد نمرود أن يعرف ماذا حدث لإبراهيم في النار، وكان متيقناً أن النار قد أكلت إبراهيم، فلما نظر إليها وجد بعضها حرق بعضاً وإبراهيم جالس وبجانبه رجل، فقال ابنوا لي صرحاً لأنظر إلى إبراهيم، فلما بنوا له رأى إبراهيم جالساً وإلى جانبه رجل في صورته، فناداه نمرود : يا إبراهيم إن إلهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار كبير، هل تستطيع الخروج منها؟ قال إبراهيم : نعم، قال : أتخشى البقاء فيها؟ قال إبراهيم : لا، فقام إبراهيم وخرج منها، فسأله عن الذي كان معه، فقال : هذا ملك الظل أرسله ربّي إليَّ ليؤانسني، قال النمرود : فإني مقرِّب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من قدرته وعزّته؛ وقام نمرود وقرَّب أربعة آلاف بقرة وكفّ عن إبراهيم ، فقال له إبراهيم: إذن لا يقبل الله منك ما دمت على شيء من دينك، قال نمرود : يا إبراهيم لا أستطيع ترك ملكي[٣].

ثم سلّط الله على نمرود ذباباً من البعوض فدخلت بعوضه في منخره ومكثت ٤٠٠ سنة، عذبه الله بها، فكان يضرب رأسه بالمرزبة من شدّة الألم حتى مات[٤].

هجرة إبراهيم إلى فلسطين ومصر

إن الظروف والأحوال التي مرّ بها إبراهيم عليه السلام في أور وملاحقة نمرود وقومه لإبراهيم، وعدم إيمانهم بدعوته دفعت به إلى الرحيل إلى مكان آخر يدعو فيه لتوحيد الله وعبادته، فخرج هو ومن معه إلى حرّان (حاران)، وعند اليعقوبي أن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم أن يترك بلاد نمرود إلى الأرض المقدسة (بلاد الشام)[٥]،

---

(١) الطبري، الرسل، ج١، ص٢٤٢، ابن الأثير، ج١، ص٥٦.
(٢) الطبري، الرسل، ج١، ص٢٤٢.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥٦.
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص١٤٠ – ١٤١.
(٥) اليعقوبي: التاريخ، ج١، ص٤٨ – ٤٩.

قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

وانتهت رحلة إبراهيم أول الأمر إلى حرّان، فتذكر التوراة أنه أخذ معه أباه تارح وابن أخيه لوطاً، وسارة امرأة إبراهيم وهي ابنة عمه هاران الذي تنسب إليه حرّان[2] وكانت رحلته إلى أرض كنعان، ومات تارح (آزر) في حرّان[3]، وهذا يعني أنهم مرّوا في رحلتهم قبل وصول أرض كنعان إلى حرّان في الجزيرة الفراتية.

ووسع الله على إبراهيم ولوط فكثرت أموالهما وماشيتهما، وارتحل لوط إلى سدوم وعمورة(عاموراء)[4]، وسكن هناك، فأتاه ملك تلك البلاد فقاتله وأخذ ماله، مما دفع إبراهيم عليه السلام لنجدة ابن أخيه لوط عليه السلام واستنقذ ماله[5]، وأقام في أرض كنعان(فلسطين)، وتتحدث التوراة عن ملك القدس (ملكي صادق) فتذكر أنه في هذه الأثناء كان كاهناً لله العلي[6]، في الوقت الذي وصل فيه إبراهيم إلى أرض كنعان بحدود سنة (١٩٠٠ق.م).

وكان الكنعانيون عند قدوم إبراهيم عليه السلام يسكنون فلسطين ولهم فيها ملك موحد لله عابد له في هذه الأرض هو ملكي صادق ملك القدس، الذي يقول عنه العليمي في الأنس الجليل أنه سام بن نوح عليه السلام[7]، ولذلك فإن أهلها الكنعانيين الذين سكنوها وعمروها كان وجودهم فيها في وقت مبكر جداً لم يظهر فيه العبرانيون ولا اليهود، وإنما جاء ظهورهم متأخراً أكثر من ألف عام على ذلك الوقت.

وكانت أسباب هجرة إبراهيم عليه السلام من حرّان إلى فلسطين إضافة إلى ما ذكر من نجدته لابن أخيه لوط، أن المنطقة التي كان يقيم فيها تعرّضت للجفاف والجدب،

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص ١٤١.

(٣) الكتاب المقدس: سفر التكوين / الإصحاح١١.

(٤) مدينتين من مدائن قوم لوط (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٧١) وهما مكان البحر الميت اليوم.

(٥) اليعقوبي: التاريخ، ج١، ص٤٩.

(٦) الكتاب المقدس: سفر التكوين / الإصحاح ١٤.

(٧) العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص٧٢.

وتوقف سقوط الأمطار مما جعلها عرضة لزحف الجراد الذي أدى إلى انتشار الجوع وهلاك الكثير من الناس والدواب[١].

ومرّ إبراهيم عليه السلام في رحلته على قرية مورة قرب نابلس وأقام فيها بعض الوقت، ثم انتقل إلى الخليل (أربع – حبرون)، وأقام فيها مدّة ثم إلى بئر السبع وأقام فيها زمناً قبل أن يذهب إلى مصر[٢]، وكان عمر إبراهيم عندما هاجر إلى فلسطين حوالي (٧٥ عاماً) وهاجر إلى مصر وعمره (٨٣ عاماً) تقريباً؛ أي بعد ثماني سنوات من وصوله إلى فلسطين.

وعاد إبراهيم وامرأته من مصر إلى أرض كنعان فاستقر في مدينة الخليل (حبرون)، ووصل إلى مدينة القدس، واستقر في الخليل حتى توفاه الله ودفن في مغارة المكفيلة، وهي التي دفن فيها زوجته ساره[٣]، وكانت رحلته إلى مصر بسبب الجوع والجفاف الشديد الذي أصاب بلاد الشام.

وحول رحلته إلى مصر تنسج التوراة قصة تشبه قصص الغرام الأسطورية، وتأخذ بعض كتب التاريخ بهذه الرواية وتذكر قصة متشابهة، وتجعل هذه الرواية سبب رحيل إبراهيم إلى مصر أن فرعون مصر رأى سارة وأعجب بها وبجمالها الفائق، فسأل إبراهيم عنها فقال له هي أختي، فطلبها منه وأمره أن يزينها ويرسلها له، وتوجهت سارة إلى مصر فلما دخلت على فرعون ورآها، أهوى إليها ليتناولها بيده، فأيبس الله يده ورجله، ولما تخلى عنها أطلقه الله، ثم تكرر ذلك منه حتى أطلقها ووهب لها هاجر جارية[٤].

وهذه قصة غريبة في نسجها غريبة في شكلها ونتيجتها، فتنسب إلى رسول الله إبراهيم عليه السلام التخلي عن زوجته وإرسالها إلى فرعون ليتزوج منها وهي زوجته

(١) إبراهيم الشريفي: أرض كنعان، ص٧١.
(٢) محسن محمد صالح: الطريق إلى القدس، ص٢٠.
(٣) العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص١٢١.
(٤) الكتاب المقدس، سفر التكوين /إصحاح ٢٠، ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٥٧ ـ ٥٨، العليمي: الأنس الجليل، ج١، ص١١٠.

وعلى ذمته ، ويخاف فرعون ولم يسبق له أن خاف نمرود الجبار الذي ألقاه في النار؟! فهل هذه رواية معقولة ومقبولة أمام صبر وجرأة إبراهيم التي رأيناها منه مع نمرود الجبار؟ أيخاف من فرعون ولا يخبره أن سارة زوجته، ولا يخاف من نمرود عندما أقدم على تكسير الأصنام التي يعبدها مع أن النتيجة كانت إلقاءه في النار؟ ... إنها رواية غريبة عجيبة تحار العقول في قبولها عن نبي كإبراهيم عليه السلام .

والأغرب من هذا أن فرعون يعجب من امرأة يئست من الإنجاب لكبر سنها، فسارة عندما رآها فرعون كان عمرها يقارب السبعين عاماً، فأي جمال هذا الذي تحمله امرأة السبعين عاماً والذي سيغري فرعون ليطلب تجهيزها إليه ليتزوج منها وقصره يعج بجميلات الجواري والنساء من كل مكان ؟[1].

والأمر الثالث الذي تذكره التوراة أن سارة هي أخت إبراهيم من أبيه، وأنه عندما سأله الملك أو الفرعون قال بعدما علم أنها زوجته قال له إبراهيم (هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة)[2]، وهذا اتّهام آخر لرسول الله إبراهيم أنه يتزوج من أخته لأبيه وهي من المحرمات التي لا يسمح الزواج بهن، فهل انقطعت النساء ليتزوج نبي الله بأخته؟ مع أن سارة هي ابنة عمه وليست أخته[3].

فلسطين في عهد يعقوب عليه السلام

تعرّضت فلسطين في عهد النبي يعقوب عليه السلام للجفاف والقحط الشديد، وأصابت الناس مجاعة في الوقت الذي كان فيه يوسف بن يعقوب موجوداً في مصر، وله قصّة مشهورة مع إخوته ورد ذكرها في القرآن الكريم، ونتج عنها انتقاله إلى مصر، وانتهى به الأمر أن أصبح عزيز مصر أو حفيظاً على خزائنها[4]، قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[5].

---

(١) انظر إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٧٢ – ٧٣.

(٢) الكتاب المقدس: سفر التكوين / الإصحاح٢٠ (١٢).

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٥٢.

(٤) إبراهيم الشريقي، أرض كنعان، ص ٨١، محمد حسين محاسنة، حقيقة القدس، منشورات أمانة عمان، عمان ٢٠٠٤م، ص ٧٦.

(٥) سورة يوسف، الآية ٥٥.

وهاجر يعقوب عليه السلام وبنوه إلى مصر في منتصف القرن ١٧ق.م بدعوة من النبي يوسف بن يعقوب عليهما السلام، فوهبهم الله ملك مصر، وصار لهم من الأراضي والمزارع في مناطق متعددة خاصّة منطقة القليوبية، وعيّن بعضهم في الوظائف، وهذا الأمر ألّب عليهم فراعنة مصر بعد أن تمّ طرد الهكسوس، فتعرّض بنو إسرائيل (بنو يعقوب) لمتاعب ومصاعب كثيرة، وبقي الأمر كذلك إلى أن بعث الله سبحانه وتعالى نبيّه موسى عليه السلام، وجاء أمر الله لهم بالهجرة والتوجه إلى الأرض المقدّسة (فلسطين).

أما فلسطين التي غادرها يعقوب عليه السلام وبنوه فقد انتقل حكمها إلى الحثيين، والحثيون من سكان آسيا الصغرى دخلوا بلاد الشام غزاة، وشكلوا مملكة في سوريا امتد حكمها فيما بين القرنين ١٥ – ١٣ق.م)، وسكن بعضهم المدن الفلسطينية.

ولما رفض الفراعنة دعوة موسى عليه السلام، أمره الله أن ينتقل مع من آمن معه من أتباعه المسلمين بالله؛ وهم بنو إسرائيل ذريّة يعقوب أبناء الأسباط، ومن آمن من القبط في مصر، والكهنة الذين أحضرهم فرعون لإبطال دعوة موسى فتيقنوا من صدقه وتبعوه، وبقايا الهكسوس، وتوجهوا جميعاً هاربين من فرعون وقومه إلى فلسطين، ولما أنجاهم الله من فرعون دخلوا صحراء سيناء.

ولما طلب منهم موسى عليه السلام دخول الأرض المباركة بناءً على أمر الله تعالى رفضوا الامتثال للأمر وتعللوا بوجود قوم جبارين فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ • يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ • قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة، الآيات ٢٠-٢٢.

الفصل الثالث

مدينة السلام في العصر الحديدي

- النبي موسى عليه السلام
- عبور موسى وبني إسرائيل إلى فلسطين
- احتلال فلسطين
- تأسيس المملكة العبرانية في فلسطين :
  أ- عهد القضاة
  ب- المملكة العبرانية
- انقسام المملكة العبرانية
  ١- مملكة إسرائيل
  ٢- مملكة يهوذا
- بنو إسرائيل يتعلمون الحضارة من الكنعانيين
- الشعوب الغازية للقدس :
  - الأشوريون - البابليون
  - الفرس - اليونان
  - الثورة المكابية - الرومان
- بناء الكنائس في مدينة القدس

وفي فترة العصر الحديدي الذي يمتد من ١٢٠٠ – ٣٣٢ق.م كان عبور بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وهي فترة نشاط سياسي واسع في منطقة الشرق الأدنى القديم حيث تعرضت فلسطين خلالها لغزوات كبرى منها الغزو الأشوري والبابلي والفارسي وأخيراً الغزو اليوناني .

النبي موسى عليه السلام:

هو موسى بن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إبرهيم عليه السلام[١]، وهو نبي الله ورسوله الذي كلمه وجعله من المقربين، قال تعالى :﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾[٢]، وقصة موسى مشهورة ومعروفة ورد ذكرها في القرآن الكريم.

ولد موسى عليه السلام في فترة كان فرعون يقتل فيها أطفال بني إسرائيل لأنه كان يخاف من قدوم نبي منهم يكون هلاك فرعون على يديه، لذلك فإن أم موسى عندما ولدت موسى صنعت له تابوتاً ووضعته فيه، ثم ألقته في نهر النيل، فاستقر في حوض ماء عند فرعون، فلما وجدوه أرادت امرأة فرعون أن تتخذه ولداً ولم يكن عندهم غير البنات، فبحثوا له عن المراضع فلم يقبل واحدة منهن حتى جاءوا له بامرأة عمران (أم موسى) فقبلها[٣]، قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[٤].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٤ ص٩٥، ابن كثير، البداية والنهاية ،ج١ ص٢٢٢ ،العليمي، الأنس الجليل، ج١ ص١٦٢ .

(٢) سورة مريم ، الآية ٥١.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١ ص٥٦ ، الأنس الجليل، ج١ ص١٦٦-١٦٧.

(٤) سورة القصص، الآية ١٢.

وعندما كبر موسى استغاث به رجل من بني إسرائيل على رجل من القبط، فنصر الإسرائيلي ووكز القبطي فمات، ولما وصل خبره إلى فرعون طلب موسى - وكانوا يقتلون القاتل - فترك موسى مصر وخرج إلى أرض مدين[1]، وهي بلد النبي شعيب عليه السلام، فأكرمه شعيب وطلب منه أن يعمل عنده لقاء تزويجه إحدى ابنتيه، فقبل ذلك وتزوج موسى من صافورا ابنة شعيب عليه السلام مقابل رعاية الأغنام لشعيب عشر سنوات[2]، وقد وردت هذه القصة في القرآن الكريم بقولة تعالى:

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[3].

ولما أتمَ موسى لشعيب ما عليه من الاتفاق عاد إلى مصر حيث أهله هناك، فأنزل الله سبحانه وتعالى يكلف موسى بالرسالة والذهاب إلى فرعون وأهل مصر ودعوتهم إلى توحيد الله تعالى وترك التجبر والطغيان في الأرض، والتوقف عن استعباد بني إسرائيل، وأعطاه معجزات تدعم رسالته التي كلفه بها، وهي تحويل عصاه إلى أفعى، وأن يدخل يده في جيبه تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى، وطلب من ا لله سبحانه وتعالى أن يجعل معه أخاه هارون لمساعدته لأنه أصح منه لساناً وأبلغ حجة وقولاً .

ودعا موسى فرعون مصر (رمسيس الثاني ١٣٠١-١٢٣٤ ق.م)[4] إلى توحيد الله وعبادته، فرفض فرعون مصر واستهزأ بموسى عليه السلام، وادّعى أن ما جاء به كان سحراً، ثم جمع له أعظم السحرة في بلاده. وكان السحر منتشراً آنذاك انتشاراً واسعاً، ليبطل ما جاء به موسى، ووعد السحرة بالجوائز والمنازل العالية إن أبطلوا

---

(١) مدين مدينة على بحر القلزم على بعد ست مراحل من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب (انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٥ ص٧٧).

(٢) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١ ص٩٩-١٠٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١ ص ٢٢٧ – ٢٢٩، العليمي، الأنس الجليل، ج١ ص١٧٠-١٧١.

(٣) سورة القصص، الآيات ٢٧.

(٤) ويقال بأن ذلك كان في عهد مربنتاح ابن رمسيس الثاني في الفترة من (١٢٣٤-١٢١٥ق.م) انظر: الكتاب المقدس، سفر الخروج - الإصحاح١٢ (٣٧)، فيليب حتّي، تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٢.

سحر موسى، إلا أن الله سبحانه وتعالى رد كيد فرعون وأظهر موسى على الحق وأبطل سحرهم، مما حدا بالسحرة أن يومنوا بدعوة موسى، وهذا العمل جعل فرعون يصب غضبه عليهم، لأنهم أقدموا على هذا الأمر دون إذن منه(1).

وقد وردت أخبار هذه الحادثة في كتاب الله العزيز في مواطن عديدة، قال تعالى: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي • اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى • فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(2) غير أن فرعون لم يصدق ما جاء به موسى، فكذبه ورفض قبول دعوته قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى • قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾(3).

واستشار فرعون أعوانه ماذا يفعل بهذا الساحر فأشاروا عليه أن يجمع أعظم السحرة في دولته لإبطال سحر موسى عليه السلام.

ولما جاء السحرة قالوا ألنا أجراً أو مكافأة على ما سنقوم به؛ أي هل ستُكافئنا إذا غلبناه؟ وورد ذلك في القرآن الكريم : ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ • قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ • قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ • فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ • فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ • فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ • قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ • رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ • قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(4)، وبهذا فشل فرعون في الرد على موسى عليه السلام.

هذه الأحداث دفعت موسى أن يخرج ببني إسرائيل ومن آمن معه من مصر، وكان ذلك بأمر من الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ

---

(1) حول هذا انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج1 ص236-240، العليمي، الأنس الجليل، ج1، ص 174-8/

(2) سورة طه، الآيات 42-44.

(3) سورة طه ، الآيات 56-57.

(4) سورة الشعراء ، الآيات 41-49.

بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾[1]، وخرج موسى ومعه من آمن من بني إسرائيل ومن آمن من القبط وغيرهم والسحرة الذين آمنوا بدعوة موسى، وعددهم حوالي ستة آلاف شخص تقريباً[2] وكان بين من آمن بدعوة موسى عليه السلام (آسيا) امرأة فرعون التي أقدم فرعون على قتلها، وبنو إسرائيل ونفر من القبط وجماعات قليلة من بقايا الهكسوس بالإضافة إلى السحرة الذين اقتنعوا بصحه الدعوة التي جاء بها موسى وهارون عليهما السلام.

ولما علم فرعون برحيل موسى نادى في جيشه وتبع موسى بجنود لا قبل لموسى وبني إسرائيل بها، ولما اقتربوا من بني إسرائيل خافوا أن يقتلهم فرعون وجنوده وقالوا لموسى: يا موسى قد لحقنا فرعون وجنوده فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[3].

ولما اقتربوا من البحر أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى ﴿أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾[4] وصار في البحر اثنتا عشرة طريقاً، فكان لكل سبط من الأسباط طريق، فلما أقبل فرعون ورأى البحر يابساً لحق وجنوده بموسى حتى خرج موسى ومن معه، فأخذ البحر ينضمُّ بعضه على بعض فأطبق على فرعون وجنوده[5] ولما أيقنوا بالهلاك رغب فرعون بالإيمان من أجل النجاة، إلا أن ذلك لم يكن ينفع لقوله عزّ وجل: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[6] فأغرق الله فرعون وجنوده وجعلهم عبرة للأمم التالية.

---

(١) سورة الشعراء ، الآية ٥٢.

(٢) فيليب حتي ، تاريخ سوريا ، ج١ ص١٩٤، وفي كتب التاريخ أن عددهم يزيد على ستمائة ألف، وهذا رقم غير صحيح فكل من ذكره أخذ عن التوراة التي كانت أكثر معلوماتها مبنية على الوهم لا على الدقة (انظر الكتاب المقدس / سفر الخروج. الإصحاح ١٢ (٣٧) .

(٣) سورة الشعراء ، الآية ٦٢ .

(٤) سورة الشعراء، الآية ٦٣ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج١ ص١٠٦ ، العليمي، الأنس الجليل ، ج١ ص١٨٢-١٨٣ .

(٦) سورة يونس ، الآية ٩١ .

عبور موسى وبني إسرائيل إلى فلسطين

وبعد أن نجى الله سبحانه وتعالى موسى وبني إسرائيل من فرعون وجنوده تبدأ مشكلة موسى مع بني إسرائيل ويبدأ فصل طويل من المعاناة والإجهاد فبعد أن خرج بنو إسرائيل مع موسى على أنهم آمنوا بدعوته ويفترض أن يكونوا أصحابه الذين يطيعونه فيعبدوا الله ويوحدوه ويدخلوا مع موسى من حيث أمره الله أن يتوجه بهم، إلا أنهم رفضوا الإيمان بدعوته وتجبروا وعصوا موسى .

١. فالأمر الأول هو أنهم بعد أن نجاهم الله من فرعون مروا على قوم يعبدون الأصنام، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة كتلك الأصنام، ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1]، ولم يتخلوا عن ذلك الطلب إلاّ بعد تأنيب موسى لهم على طلبهم.

٢. ثم طلبوا من موسى أن يأتيهم بالكتاب الذي وعدهم، فسأل موسى ربه ذلك، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يتطهر ويصوم ثلاثين يوماً ويأتي جبل طور سيناء، ففعل موسى ما أمره الله، واستخلف على قومه أخاه هارون، وفي غيبته أضلهم السامري الذي جاءهم بعجل له خوار فعبدوه، ولما نهاهم هارون عن عبادته أطاعه بعضهم وعصاه آخرون[2] ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾[3]، فلما رجع إليهم موسى ومعه التوراة فيها أمر الله تعالى أبوا أن يقبلوا منه وأن يعملوا بما جاء فيها.

٣. وبعث موسى اثني عشر رجلاً من بني إسرائيل إلى فلسطين ليستطلعوا خبرها، فلما عادوا أخبروا أن فيها قوماً جبارين.

ومع أن الله سبحانه وتعالى وعد موسى بأن يدخلوا هذه الأرض، إلاّ أنهم رفضوا ذلك وقالوا له بأنهم لن يدخلوها حتى يخرج منها أهلها[4]، قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٣٨ .

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١ ص١٠٧، العليمي ، الأنس الجليل، ج١ ص١٨٣- ١٨٤ .

(٣) سورة طه ، الآية ٩١ .

(٤) العليمي، الأنس الجليل، ج١ ص١٨٩-١٩٠.

الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ • قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[1].

وحاول موسى معهم وتردد عليهم ليدخلوا معه إلى الأرض المقدسة، وبيّن لهم أن الله سبحانه وتعالى سيسهل عليهم دخولها إن أطاعوا وسمعوا قوله، إلا أن خوفهم من أهل فلسطين (الكنعانيين) الذين أطلقوا عليهم اسم الجبارين جعلهم يرفضون طاعته ودخولها حتى وصل بهم الأمر أنهم طلبوا منه أن يذهب ليقاتل هو وربه حتى يخرج منها الجبارين قبل أن يدخلوا إليها، وربما كان خوفهم من حكام فلسطين؛ حيث كان يحكمها الحثيّون، ففي القرآن الكريم: ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ • قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[2].

وكانت النتيجة أن عاقبهم الله سبحانه وتعالى على هذا العصيان والتمرد بأن جعلهم يتيهون في الأرض (في صحراء سيناء) أربعين سنة قبل أن يدخلوا الأرض المقدسة[3]، ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[4].

ولما كانت الأرض قفراً قليلة النبات، تخوَّف موسى من قلة الطعام، فأنزل الله عليهم المن والسلوى[5]، قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن

---

(١) سورة المائدة، الآيات ٢١-٢٢.

(٢) سورة المائدة، الآيات ٢٤-٢٥.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية،ج١ ص٢٦٢، العليمي، الأنس الجليل،ج١، ص١٩٠، هاري في بورتر، مختصر التاريخ، ص١١٩- ١٢٠ .

(٤) سورة المائدة، الآية ٢٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل،ج١ص١١٠، والمن طعام كالصمغ طعمه كالشهد، والسلوى طائر يشبه السماني (انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١ص٩١-٩٣)، المن والسلوى هو الطعام الذي رزقه الله سبحانه وتعالى لموسى وبني إسرائيل عندما تاهوا في صحراء سيناء، فجحدوا نعمته.

طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١] وضرب موسى بعصاه الحجر فتفجر ماءً يشربون منها جميعاً، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٢].

ومع ذلك استمرت مطالب بني إسرائيل من موسى أن يدعو ربه بأن يرزقهم أطعمة كثيرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[٣].

وهذا يشير إلى أن بني إسرائيل نتيجة عصيانهم وبَطَرهم لم يقبلوا بالطعام الطيب اللذيذ، وطالبوا موسى أن يسأل الله سبحانه وتعالى أن ينبت لهم في الأرض من أنواع الطعام التي يعرفونها.

ولما كانت هذه أطعمه تتوفر في أي بلد من القثاء والفول أو الثوم والبصل والعدس، قال لهم موسى اهبطوا مصراً، أي اذهبوا إلى مصر وهي أرض فرعون أو إلى أي بلد آخر وستجدون هذه الأطعمة لأنها ليست أطعمة عزيزة كالطعام الذي منحكم الله سبحانه، لذلك جاء قوله لهم (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) توبيخاً لهم على استبدال طعام من ألذ وأطيب ما يجد الإنسان بل أطيب من كل ما يجد في هذه الأرض بطعام يتوفر في معظم البلاد، فكان ذلك بطراً منهم[٤].

توفي هارون خلال هذه الرحلة وبقي موسى مع بني إسرائيل يقودهم لدخول فلسطين وتعب موسى كثيراً من بني إسرائيل الذين عصوا ولم يطيعوا أمره ولم ينفذوا أمر الله

(١) سورة البقرة: الآية ٥٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١ص٩٧.

عز وجل حتى هلك جيل موسى وحل محلّه جيل آخر ولد في الطريق، ولم يتمكن بنو إسرائيل من دخول فلسطين (أرض كنعان) من الجنوب، فمر بهم موسى من منطقة شرقي الأردن على أرض آدوم ومؤاب، لكنهم تجنبوا هذه الممالك حتى لا يصطدموا بها، وانتهى بهم المطاف إلى مادبا شرقي الأردن .

ذكر فيليب حتي أن تاريخ بني إسرائيل الحقيقي يبدأ بخروجهم من مصر، وأن ذلك كان في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ أي بحدود سنة ١٢٣٠ ق.م، في عهد فرعون مصر مرنبتاح بن رعمسيس الثاني[١] بينما تذكر التوراة أنهم خرجوا زمن رعمسيس الثاني[٢].

وتختلف الروايات في عدد من خرج مع موسى عليه السلام من بني إسرائيل وغيرهم فتذكر التوارة أنهم كانوا (٦٠٠٠٠٠) راجل ما عدا النساء والأطفال، وكان معهم كثير من الأغراب[٣].

وتعطي كتب التاريخ نفس الرقم متأثرة برواية التوراة[٤] إلا أن هذه الرواية لا تقترب من الحقيقة لأسباب كثيرة، أهمها أنه لو توفر هذا العدد لموسى لكان بإمكانه أن يحارب به فرعون، وقد يرغمه على احترام بني إسرائيل والتوقف عن نهب أموالهم أو أن يدافعوا عن أنفسهم وهم خارجون من مصر بدل تخوفهم من أن يلحق بهم فرعون وجنوده، خاصة وأن التوارة تذكر أنهم عندما خرجوا من مصر كانوا مستعدين للقتال[٥].

وربما كانت الرواية التي تجعل عددهم أقل من هذا العدد كثيراً أكثر قبولاً، فربما كان عددهم لا يتجاوز الستة آلاف شخص[٦] وهو عدد مقبول ليتمكن من اجتياز الصحراء

(١) فيليب حتي، تاريخ سوريا،ج١ ص١٩١، إبراهيم الشريقي، أرض كنعان، ص٦٩، ١٠٣.

(٢) الكتاب المقدس، سفر الخروج/ الإصحاح ١٢ (٣٧).

(٣) الكتاب المقدّس، سفر الخروج / الإصحاح ١٢ (٣٧-٣٨).

(٤) انظر: اليعقوبي، التاريخ، ج١ ص٦١ ،المسعودي ، مروج الذهب، ج١ ص٥٧، ابن الأثير ، الكامل ،ج١ ص١٠٦، العليمي ، الأنس الجليل، ج١، ص١٨٢.

(٥) الكتاب المقدس: سفر الخروج / الإصحاح ١٣ (١٨).

(٦) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٤، محمد أديب العامري، عروبة فلسطين، ص١١٦، محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس، ص٢٤.

بحيث تتوفر لهم حاجاتهم المختلفة من الماء والطعام وغير ذلك، أما إذا وصل العدد إلى (٦٠٠ ألف) فلا يمكنه أن يتوفر لهم الماء والطعام اللازمان لاجتياز منطقة صعبة كصحراء سيناء؛ لأن العدد سيضاف إليه النساء والأطفال، وقد يصل عدد الجميع إلى أكثر من مليون شخص .

احتلال فلسطين:

توفي موسى عليه السلام قبل دخول فلسطين وكان قد استخلف يوشع بن نون على بني إسرائيل[١]، ويقال مات على جبل نبو وكان عمره (١٢٠) عاماً.

وخطط يوشع للدخول ببني إسرائيل إلى أرض كنعان بكافة الوسائل الممكنة، وكانت مدينة أريحا أول المدن التى سيدخلها بنو إسرائيل لأنها كانت أقرب مدن فلسطين إليهم.

وبعد دخولهم إلى أريحا تتحدث التوراة عما فعله بنو إسرائيل في المدينة من القتل والتنكيل والتدمير، ففي سفر يوشع أنهم قتلوا بحد السيف جميع مَنْ في المدينة من رجال ونساء وأطفال وشيوخ، حتى البقر والغنم والحمير لم تسلم منهم، وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار إلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد[٢]، وكان دخولهم أريحا بحدود سنة ١١٩٠ ق.م.

وبعد ذلك حاول بنو إسرئيل الوصول إلى مدينة القدس إلا أنهم فشلوا، وهاجموا مدينة عاي إلى الشرق من بيت إيل على طريق القدس، وتعرضوا للهزيمة أول الأمر إلاّ أن يوشع استمر يحاول دخولها لمرات عديدة حتى تمكن أخيراً من دخولها، وفعلوا فيها كما فعلوا بأريحا[٣].

---

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج١ ص١٩٧ ،الكتاب المقدس، سفر التثنية/ الإصحاح٣١(٢-٧).

(٢) الكتاب، المقدس، سفر يشوع / الإصحاح ٦(٢٤،٢١).

(٣) الكتاب المقدس، سفر يشوع / الإصحاح ٧(٤-٥)،٨ (٢٤-٢٨)، محمد أديب العامري، عروبة فلسطين، ص١٢١.

كانت القدس في هذه الفترة تعرف باسم (يبوس) نسبة إلى سكانها اليبوسيين، وهم إحدى القبائل الكنعانية، وحاكمها (عبد حيبا)، الذي كتب إلى فرعون مصر يستنجد به عندما بدأ العبرانيون بمهاجمة فلسطين، لكنّه لم يحصل على النجدة بسبب انشغال إخناتون (امنحوتب الرابع) بديانة التوحيد.

تأسيس المملكة العبرانية في فلسطين

أ. عهد القضاة

بعد وفاة يوشع اضطربت أحوال بني إسرئيل، وتفشى الفساد بينهم، واتخذوا أصناماً آلهة لهم، فتمكن الكنعانيون من استعادة بعض المدن التى احتلها العبرانيون في عهد يوشع، وتعرضوا للإذلال من قبل ملوك كنعان وشرق الأردن[١]، وهنا استنجد بنو إسرائيل بالقضاة لتخليصهم مما وصلوا إليه، وحكم القضاة بني إسرائيل من وفاة يوشع إلى أيام داود عليه السلام (أواخر القرن ١٢ والقرن ١١ ق.م).

والقضاة هم رؤساء وقادة تولوا قيادة بني إسرائيل في الحرب لدفع المعتدين عنهم، ولم يكونوا قضاة ولا ملوكاً، وكانوا إذا مات أحد القضاة لا يقيمون قاضياً مكانه إلى أن يقعوا في الشر ويتعرضوا للاستعباد والإذلال فيلجأوا إلى من يقودهم، وكان أكثر قضاتهم من سبطين هما سبط اللاويين وسبط منسي، وأشهر قضاتهم دبورة العبرانية التي تروي التوارة بأنها خلصتهم من ملك كنعان بمساعدة باراق[٢].

ومن القضاة جدعون وهو من سبط منسي، وخلّص بني إسرائيل من قبضة المديانيين الذين كانوا يغيرون عليهم فلا يبقون لهم قوتاً ولا غنمًا ولا بقرًا[٣].

واستخدم المديانيون في غزوهم لبني إسرائيل الجمل المدجن لأول مرة، وهو أسلوب

(١) انظر: الكتاب المقدس، سفر القضاة / الاصحاح ٢،٣، بورتر، مختصر التاريخ، ص١٢٤، إبراهيم الشريقي، أرض كنعان، ص١١٠-١١١.

(٢) الكتاب المقدس، سفر القضاة / الاصحاح ٥،٤، فيليب حتى، تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٥.

(٣) الكتاب المقدس، سفر القضاة / الإصحاح٧،٦.

حرب جديد ساعدهم على الانتصار[1]، ومنهم أيضاً شمشون بن ممنوح، وهو من سبط دان، وخلصهم من قبضة الفلسطينيين الذين استعبدوهم ٤٠ سنة[2].

وانتهى عهد القضاة بتولي طالوت على بني اسرائيل[3]، وهو الذي تسميه التوراة (شاؤل)[4]، وذلك سنة ١٠٢٥ ق.م وتذكر التوارة أن صموئيل الأول هو الذي اختار شاؤل ليكون ملكاً على بني اسرائيل[5] وكان يعاصر جالوت ملك الكنعانيين.

ولما طلب طالوت من بني إسرائيل المسير معه لمحاربة أعدائهم امتحنهم الله أن لا يشربوا من النهر إلا من اغترف غرفة بيده ولم يلتزم إلا عدد قليل منهم بذلك وقالوا عندما رأوا جالوت وجنوده : لا طاقة لنا بهم ووردت الإشارة إلى هذه القصة في القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[6]، وكان هذا الإمتحان الثالث لبني إسرائيل .

ولم يثبت مع طالوت غير فئة قليلة مؤمنة فنصرهم الله، وقتل داودُ جالوت بالمقلاع في هذه المعركة[7]، وكان داود صغيراً، فزوجه طالوت ابنته ثم انتهى ملك بني إسرائيل إلى داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء﴾[8]، واتخذ داود مدينة الخليل مقراً له بعد موت طالوت سنة ١٠٠٤ ق.م وعمل على توحيد بني اسرائيل الذين كانوا منقسمين على أنفسهم قبل ذلك واجتمع له الملك والنبوّة[9].

---

(١) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٦.

(٢) الكتاب المقدس، سفر القضاة / الاصحاح ١٣، ١٤، ١٥.

(٣) صموئيل أحد أنبياء إسرائيل وهو الذي اختار لهم طالوت ليكون ملكاً (انظر: ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، باريس١٩٠٣م، ج٣ص٩٨، العليمي، الأنس الجليل،ج١ ،ص٢٠٣.

(٤) الكتاب المقدس ، سفر صموئيل الأول /الإصحاح ١٠.

(٥) الكتاب المقدس، الإصحاح٩ (١٦، ١٧)، ١٠(١، ١٧-٢٤).

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٧) ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج١، ص٢٨٦، محسن صالح، الطريق إلى القدس،ص٢٧.

(٨) سورة البقرة ، الآية ٢٥١.

(٩) المقدسي ، البدء والتاريخ ،ج٣ص١٠٠-١٠١،ابن كثير البداية والنهايه،ج٢ص٩.

ب- المملكة العبرانية

يعتبر داود عليه السلام المؤسس الحقيقي لمملكة بني إسرائيل في أرض كنعان ، فقد تمكن عليه السلام من توسيع حدود الدولة التي تولى ملكها، فبدأ بتخليص بني إسرائيل من سيطرة أعدائهم وأخضع ممالك آدوم ومؤاب وعمون لحكمه[1]، كما تمكن من احتلال مدينة القدس فجعلها عاصمة له وسماها مدينة داود.

ورزق الله سبحانه وتعالى داود عليه السلام العلم والحكمة وأنزل عليه كتاباً مقدساً وهو الزبور، وكان ملكاً قوياً ومحارباً من الطراز الأول، وألان الله له الحديد فتعلم صناعة الدروع وكان أول من عملها[2] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ • أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3] وذكرت كتب التاريخ أن الله سبحانه وتعالى جعل الحديد بين يديه كالشمع أو كالعجين يشكله كما يشاء دون حاجة إلى صهره في النار، وكانت هذه إحدى المعجزات التي أعطيت لداود عليه السلام .

وتمكن بنو إسرائيل في زمن داود من السيطرة على معظم فلسطين، خاصة المناطق الجبلية، أما المناطق الساحلية فلم يتمكنوا من السيطرة عليها[4]، وامتدت مملكتهم شمالاً إلى دمشق، وأجبر ملكها على دفع الجزية، وتوفي داود بعد أن حكم مدينة القدس أربعين سنة، وامتد ملكه من ١٠٠٤ – ٩٦٣ ق.م.

ثم جاء بعده ابنه سليمان عليه السلام، وتولى ملك بني إسرائيل فيما بين عامي (٩٦٣-٩٢٣ ق.م)، فوهبه الله الملك والنبوة وكان سأل الله سبحانه أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فاستجاب له، وسخر له الإنس والجن حتى يجلس[5] وذكرت قصة سليمان في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ

(١) فيليب حتي ، تاريخ سوريا ، ج١ ص٢٠٣-٢٠٤ .
(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج١ ص١٢٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ص١٠ .
(٣) سورة سبأ : الآيات ١٠-١١ .
(٤) ظفر الإسلام خان : تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي ، دار النفائس ، بيروت ١٩٨٤م ، ص ٣٥ .
(٥) ابن ألأثير: الكامل،١ج ص١٢٨ : ابن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ،ج٣ص١٠٦.

فَهُمْ يُوزَعُونَ • حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

وعلمه الله سبحانه منطق الطير؛ أي لغة الطيور والحيوانات حتى كانت له قصة مع النملة وقصة مع الهدهد وقصة مع بلقيس ملكة سبأ، وهي بلقيس ابنة الهدهاد (أنيشرح)، التي أرسل إليها سليمان الهدهد يدعوها إلى الإسلام وانتهى الأمر بإسلامها[2]، وورد ذكر لقصة بلقيس في القرآن الكريم : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ • إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[3].

واتصف عهد سليمان بالتطور والعمران واستخراج النحاس والحديد من أرض آدوم حيث أقيم معمل لصهر المعادن، وكان أكثر عماله من الكنعانيين والفينيقيين الماهرين في هذه الصناعة، ومنهم تعلّم بنو إسرائيل استخراج المعادن وصهرها[4].

انقسام المملكة العبرانية :

بعد وفاة سليمان عليه السلام انقسمت المملكة العبرانية إلى قسمين هما : مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا .

١- مملكة إسرائيل:

وامتد حكمها فيما بين ٩٢٣- ٧١٢ ق.م وعاصمتها مدينة السامرة في الشمال، وحاولت التوسع شمالاً على حساب الأمورين، إلا أن ظهور الأشوريين أوقف توسعهم عندما قام سرجون الثاني بحملة على إسرائيل فدخل عاصمتها وسبى رجالها إلى ميديا (أشور)[5]، وبهذا زالت مملكة إسرائيل الشمالية .

(١) سورة النمل: الآيات ١٧-١٨ .

(٢) حول قصة بلقيس انظر: ابن الأثير: الكامل ، ج١ ص١٣٢-١٣٣ ، ابن كثير، البداية والنهاية،ج٢ ص١٩-٢٤ ، العليمي:الأنس الجليل،ج١ ص٢٣٠-٢٤٦ .

(٣) سورة النمل الآيات ٢٢-٢٣ .

(٤) إبراهيم الشريقي : أرض كنعان ، ص١٢٣ .

(٥) الكتاب المقدس ،سفر الملوك الثاني / الإصحاح ١٧ (٦) .

٢- مملكة يهوذا:

وامتد حكمها من ٩٢٣ -٥٨٩ ق.م، وعاصمتها مدينة القدس، تعرضت لغزو شيشاق في عهد رحبعام ودخلها سنة ٩٢٠ ق.م، وعندما غزا سرجون الثاني مملكة إسرائيل دفعت له يهوذا الجزية وبقيت عرضة لغزوات المصريين تارة والبابليين تارة أخرى إلى أن غزاها نبوخذ نصر الكلداني (البابلي) في عهد يهوياكين (٥٩٨-٥٩٧ ق.م) وأخذ الملك وعائلته ورؤساء اليهود مع حوالي عشرة آلاف من سكانها فسباهم إلى بابل، وهو ما يعرف بالسبي البابلي الأول[١].

وعين نبوخذ نصر على يهوذا ملكاً وقطع له عهداً بالولاء التام، لكنه عاد وثار على البابليين، فعاد إليه نبوخذ نصر وحاصر مدينة القدس وأخذ ملكها صدقيا أسيراً ودمر المدينة وغنم ما فيها وأخذ من اليهود أربعين ألفاً وسباهم إلى بابل، وهو ما عرف بالسبي البابلي الثاني، وكان ذلك سنة ٥٨٦ ق.م وبذلك انتهت مملكة يهوذا[٢].

- بنو اسرائيل يتعلمون الحضارة من الكنعانيين

كان بنو اسرائيل في مصر قد امتلكوا الكثير من الأراضي و أتقنوا الزراعة وعملوا فيها، إلا أن الجيل الذي برع في هذا العمل توفي خلال رحلة الضياع التي تعرّض لها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر، وكان الجيل الذي جاء بعدهم وهو جيل ولد على طريق التيه الإسرائيلي لا يتقن شيئاً ويعيش حياة بدوية متنقلاً في الصحراء؛ بيوته الخيام ولباسه من جلود الأغنام .

ولما دخلوا أرض كنعان تعلموا من أهل البلاد بناء البيوت والسكن فيها، وأقاموا في المدن الكنعانية بعد أن كانوا متنقلين، وبذلك انتقلوا من حياة الرعي إلى المدينة[٣].

وتعلم العبرانيون من الكنعانيين الزراعة والصناعات المنزلية كالغزل والنسيج،

---

(١) محسن محمد صالح ، الطريق إلى القدس، ص٣٣.
(٢) الكتاب المقدس ،سفر الملوك الثاني / الإصحاح ٢٥(١٨ – ٢١).
(٣) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج١ ص٢٢٦.

فأرض كنعان كانت أرضاً زراعية عرفت زراعة الزيتون وكروم العنب والتين والرمان، كما كانت أرض حنطة وشعير، وهذا باعتراف التوراة،[١] وكان للقمح أهمية كبيرة لأنه الغذاء الرئيسي، فعرفوا طحن الحبوب وصناعة الخبز عن طريق التنور، وعرفوا عصر الزيتون، واقتبس العبرانيون المصباح الكنعاني الذي استعمل فيه زيت الزيتون للإضاءة واستخدموه سبعة قرون قبل أن يستوردوا المصابيح من بلاد الرافدين حوالي سنة ٥٠٠ق.م[٢].

وتعلموا صناعة الثياب، وكانت ثيابهم وحليّهم وخزفهم تتبع الأساليب والأزياء الكنعانية، فكانوا ينسجون الملابس من الصوف والكتان، حيث كان يزرع الكتان في مناطق من فلسطين خاصة في أريحا، قبل قدوم العبرانيين إليها[٣].

ومن الأمور التي تعلمها بنو إسرائيل في أرض كنعان طقوس العبادة والطواف والعزف على الآلات الموسيقية والغناء والاحتفال بالأعياد والرقص أمام تابوت العهد، وهي أمور كان يستخدمها الكنعانيون في طقوسهم، ثم اقتبسها العبرانيون عنهم[٤]، وصاروا يرقصون أمام تابوت العهد.

فطقوس الهيكل تستدعي العزف على الآلات الموسيقية ،حيث كانوا يغنون على أنغام الصنوج والرباب والقيثارات[٥]، وكانت الأغاني ترافق الموسيقى، ومن أقدم الأغاني أغنية دبورة التي تذكر انتصاراً لبني إسرائيل على الكنعانيين[٦].

وتعلم العبرانيون اللغة الكنعانية، ثم اشتقوا لغتهم منها ومن لغات أخرى هي الأرامية والسريانية الكلدانية[٧]، فالأسفار الأولى من التوارة كتبت باللغة الأرامية.

---

(١) ن. م ،ج١، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.
(٢) إبراهيم الشريقي ، أرض كنعان، ص١١٢ .
(٣) الكتاب المقد س ، سفر التثنية / الإصحاح ٨ (٨) .
(٤) إبراهيم الشريقي ، أرض كنعان،ص١١٣.
(٥) الكتاب المقدّس، سفر الأيام الأول/ الاصحاح ٢٥(١،٦).
(٦) الكتاب المقدس، سفر القضاة / الاصحاح ٥(٢، ٣١)، فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج٢، ص٢٢٤.
(٧) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص١١٣.

الأشوريون:

بدا الغزو الأشوري منذ عهد ملكهم شلما نصر الثالث (٨٥٩ – ٨٢٤ ق . م) وقاموا بغزوها عدة مرات[١]، وحدث تفاهم بين الملك الأشوري تيجلات بيلاصر الثالث خليفة شلما نصر وبين احاز بن يوثام ملك يهوذا على أن يقوم الأشوريون بضرب اسرائيل والقضاء عليها في الشمال لقاء كميات كبيرة من الذهب والفضة[٢]، إلا أن أكثر محاولات الأشوريون لم تكن ناجحة.

أما أكبر العمليات الموجهة ضد إسرائيل فكانت على يد سرجون الأشوري الذي دمر حصون السامرة واستولى عليها سنة ٧٢١ ق.م، فقضى على ممكلة إسرائيل ورحل أهلها من اليهود إلى الخابور وحران وميديا[٣].

وبعد ذلك استهدفت تحركات الأشوريين في فلسطين مدينة القدس؛ فقام كل من سرجون وسنحاريب من بعده بعدد من الحملات العسكرية على يهوذا وأجبروها على دفع الجزية وأخضعوا عدداً كبيراً من مدن فلسطين[٤].

البابليون:

وصل الكلدانيون إلى حكم بابل سنة ٦١٢ ق.م، فحلوا محل الأشوريين، واتّبع يهوياقيم ملك يهوذا سياسة معادية للدولة البابلية (الكلدانية) ،وتحالف مع نخاو ملك مصر ضد البابليين، وكان الفراعنة سيطروا على مملكة يهوذا بعد معركة مجدو سنة ٦٠٨ ق.م فقرر نابو بيلا صر ملك بابل استعادة المناطق التي استولى عليها فرعون مصر، فارسل ابنه نبوخذ نصر على رأس جيش كبير تمكن من إلحاق الهزيمة بالمصريين سنة

(١) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨١م، ٥٨٥، أسماء فاعور، فلسطين، ص٣٦.

(٢) الكتاب المقدس، سفر الملوك الثاني/ الإصحاح ١٦ (٧ – ٨).

(٣) إبراهيم الشريقي، أرض كنعان، ص١٣٦، أسماء فاعور، فلسطين، ص ٣٦.

(٤) الكتاب المقدس، سفر الملوك الثاني / الإصحاح ١٨، ١٩، خالد العك، تاريخ القدس، ص ٧٩.

٦٠٥ ق.م[١]، وبدأ نجم الدولة البابلية في الصعود بعد ذلك.

ثم قام البابليون بغزو القدس وحاصرها نبوخذ نصر، فمات ملكها يهوياقيم وخلفه ابنه يهوياكين الذي أعلن الاستسلام لمملكة بابل، وعمد نبوخذ نصر إلى ترحيل عدد كبير من اليهود إلى بابل؛ وهو ما عُرف في التاريخ باسم السبي الأول[٢] لهم على يد البابليين سنة ٥٩٧ ق . م.

عين نبوخذ نصر (صدقيا) ليكون ملكاً على يهوذا وقطع عليه العهد بالولاء، فلما خان عهده للبابليين قام الملك البابلي نبوخذ نصر بتجريد حملة عسكرية لتأديب يهوذا وملكها صدقيا، فتمكن من دخول المدينة، وتدّعي التوراة أنه حطم الهيكل المزعوم في القدس، وسبى اليهود ومرة أخرى إلى بابل[٣] سنة ٥٨٦ ق.م، فقضى بذلك على مملكة يهوذا، وبذلك يكون اليهود قد تعرضو للسبي مرتين إلى بابل، وكلاهما على يد نبوخذ نصر.

الفرس:

بدأ ظهور الفرس على المسرح الدولي في القرن ٦ ق.م، وبعد سيطرة ملكها كورش على ليديا في آسيا الصغرى سنة ٥٣٩ ق.م تحرك إلى العراق، فتمكن من تدمير مملكة بابل سنة ٥٣٨ ق.م لتزول الدولة البابلية وتحل محلها الدولة الفارسية كقوة عظمى في الشرق القديم، وهنا يذكر فيليب حتى أن العصر السامي انتهى وبدأ عصر جديد وهو العصر الهندو أوروبي، وانتهى دور الإمبراطريات السامية[٤].

وحظي اليهود في زمن الفرس باهتمام كبير خاصة من قبل كورش الذي أصدر أمراً يسمح فيه بعودة كل الأجناس التي كانت بالمنفى إلى البلاد التي كانوا يعيشون فيها بما في ذلك اليهود، فسمح لهم بالعودة إلى فلسطين، فعادت منهم أعداد كبيرة وبقيت

---

(١) إبراهيم الشريقي، أرض كنعان، ص ١٣٨.

(٢) انظر: الكتاب المقدّس، سفر الملوك الثاني / الإصحاح ٢٤.

(٣) الكتاب المقدّس، سفر الملوك الثاني / الإصحاح ٢٥، أسماء فاعور، فلسطين، ص٤٠.

(٤) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص ٢٣٩.

أعداد أخرى في بابل، لأنه خيرهم بين العودة أو البقاء فبقى أكثر الأغنياء في العراق[1].

استهدف كورش من السماح لليهود بالعودة إلى فلسطين أن يكونوا أدلاءه بالمسالك المؤدية إلى فلسطين لمعرفتهم بها، ليسهل عليه دخولها ووقوفهم معه في حروبه ضد مصر، وفرض على من لم يشاركه في الحرب ضريبة ليتمكن من تجهيز الجيش والإنفاق عليه[2].

أنعم الفرس على اليهود في عهد الملك داريوس الفارسي ٥٢١ ق.م بإنعامات كثيرة لكسب دعم اليهود، فسمحو لهم بإعادة بناء الهيكل المزعوم في القدس.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن كتابة التوراة بدأت في فترة السبي البابلي، وكان الذين كتبوا التوراة قد فكروا بوسيلة لربط اليهود بمدينة القدس باعتبارها أهم مدن فلسطين التي احتلها اليهود بعد دخولهم أرض كنعان، لذلك نسجوا قصة الهيكل التي اخترعوها من أذهانهم بعد أن ابتعدوا في المنفى عن الأرض المقدسة، ولتأكيد ما زعموه فقد نسجوا قصة على نفس المبدأ نسبوا فيها إلى كورش أن الرب أوصاه ببناء الهيكل في أورشليم[3].

ولما بدأ اليهود ببناء الهيكل - حسب ادّعائهم - أخذوا في إعادة بناء أسوار مدينة القدس التي لا تتطابق، ولا يمكن لها أن تتطابق مع مواصفات الهيكل المزعوم لا بالشكل ولا بالأبعاد، ومع ذلك فإن الكثير من المؤرخين والكتاب صدّق ما ورد في التوراة من مزاعم نسجها خيال أحبار اليهود ممن سطروا التوراة، واعتبروا ذلك إعادة لبناء الهيكل المزعوم. ولمعرفة الحقيقة لا بد من العودة للتدقيق في الكتابات التوراتية التي لم تدوّن إلا بعد فترة الانقسام لمملكة اليهود، وسبيهم خارج الأرض المقدسة، ومن هناك بدأت تظهر قصة الهيكل، الذي لم يكن له وجود إلاّ في أفكار اليهود وتاريخهم، فتمكنوا من تحويله إلى قصة صدقها من لا يجيدون قراءة أفكار اليهود وتاريخهم، ووافقهم عليها من تتطلب مصلحته قبولها وتحقيقها على أرض الواقع كالفرس آنذاك وعملاء

(١) رفيق شاكر النتشة وآخرون، تاريخ مدينة القدس، دار الكرمل، عمان ١٩٨٤م، ص٣٤.
(٢) انظر: الكتاب المقدس، سفر عِزرا / الإصحاح الأول والثاني.
(٣) الكتاب المقدس، سفر عِزرا / الإصحاح الأول (١ – ٣).

الصهيونية العالمية اليوم في عالم الغرب .

ولم يقبل العرب بسياسة الفرس فأعلنوا الاحتجاج، وثاروا ضد الفرس وضد اليهود، وهاجموا عمال اليهود الذين شرعوا في تجديد الأسوار في عهد قمبيز[١] حتى لا يمنحوا اليهود شرعية بسكوتهم على ادعاء باطل، فأصدر (سمريدس) أمراً سنة ٥٢٢ ق.م بوقف عملية البناء لامتصاص نقمة الثوار[٢] الذين لا زالوا يشكلون أهل البلاد والغالبية الكبرى في أرض كنعان، ولم يتم تنفيذ مشروع اليهود إلا في عهد دارا (دار يوس) سنة ٥١٥ق.م[٣].

اليونان:

تولى الإسكندر ابن فيليب اليوناني عرش مقدونيا سنة ٣٣٦ق.م ويعرف الإسكندر في التاريخ باسم (الإسكندر الكبير) والبعض يسمية (ذو القرنين)[٤] وهو شخص غير ذي القرنين المذكور في القرآن الكريم فعصر ذلك الرجل يسبق هذا العصر بفترة طويلة، والأرجح أنه كان قريباً من فترة النبي إبراهيم الخليل عليه السلام .

وفي سنة ٣٣٤ق.م حقق الإسكندر نصراً كبيراً ضد أعداء اليونان، فهزم الفرس في معركة ايسوس (مكان الإسكندرونه حاليا) وهرب غريمه داريوس الثالث مللك الفرس، فكان هذا النصر نقطة التحول التي جعلت نجم الإسكندر يسطع بعد ذلك، لأن بلاد الشام ومصر والعراق ستفتح أبوابها ليدخلها فاتحاً ويصبح سيدها بلا منازع .

ولما تقدم الإسكندر إلى سوريا سنة ٣٣٣ق.م دعا (يهويا داع) وكان حبر اليهود دعاه إلى طاعته فرفض الطاعة لاستمراره على الولاء للفرس فأغضب الإسكندر الذي قرر تأديب اليهود[٥]، لذلك توجه إلى مدينة القدس بعد انتهائه من فتح مدينتي صور

(١) الكتاب المقدس، سفر عِزرا / الإصحاح الأول ٤(٤ – ١٦).
(٢) الكتاب المقدس، سفر عِزرا / الإصحاح الأول ٤(٢١ - ٢٤).
(٣) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص ٦١٦، أسماء فاعور، فلسطين، ص٤٣.
(٤) إبراهيم الشريقي، أرض كنعان، ص ١٤٧.
(٥) هاري بورتر، مختصر التاريخ القديم، ص ٣٣٥.

وغزة، وهما المدينتان اللتان رفضتا استقبال الإسكندر، فاضطر لمحاصرة المدينتين حتى أخضعهما لحكمة واستولى على مخازن التوابل الضخمة في مدينة غزة[1].

ويذكر المؤرخ يوسيفوس أن الحبر الأكبر في مدينة القدس تدارك الأمر، فلما علم بتوجه الإسكندر إلى مدينة القدس جمع اليهود وأمرهم فصاموا وصلوا وتصدقوا ثم خرجوا لاستقباله خارج المدينة، يتقدمهم الكهنه لابسين حللاً بيضاء معلنين ندمهم وطالبين العفو[2].

وقابله الكاهن الأكبر بالترحاب، ومضى معه حتى دخل القدس، فلما رأى الإسكندر هذا الاستقبال الحافل أكرم رئيس الكهنه وعفا عن اليهود وأعفاهم من دفع الجزية في السنة السابعة[3] وفرح اليهود كثيراً بدخول الإسكندر إلى المدينة .

بعد وفاة الإسكندر سنة ٣٢٣ق.م اقتسم قواده إمبراطوريته، فكان نصيب سلوقس شمال سوريا، وجنوب سوريا بما فيها القدس لدولة البطالمة[4]، وبقيت تحت حكمهم حتى سنة ١٩٨ق.م حينما تمكن الملك السلوقي من تحقيق انتصار كبير على البطالمة في معركة(بانيون) فانتقلت السيادة في جنوب بلاد الشام إلى الدولة السلوقية، وتبعت القدس بذلك للحكم السلوقي.

وفي عهد الملك أنطيوخوس الرابع (أبيفانيس١٧٥-١٦٣ق.م) حاول صبغ اليهود بالصبغة الهلينية، فضغط على اليهود لترك تقاليدهم وآدابهم واستبدالها بتقاليد اليونان وآدابهم وحاول إلغاء الطقوس اليهودية واستبدال إلههم (يهوه) بالإله (زيوس الاوليمبي)وعين كاهناً وثنياً في مدينة القدس وحرّم الختان فلم يوافقه على ذلك إلا قلّة قليلة من اليهود، وبدأت تظهر المعارضة اليهودية لهذه الأفعال، مما أدى إلى نشوب ما يعرف بالثورة المكابية سنة ١٦٨ق.م[5].

---

(١) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص ٢٥٤ – ٢٥٥.

(٢) يوسيفوس، التاريخ، المكتبة العمومية، بيروت، ص٢٧ – ٢٨، هاري في بورتر، مختصر التاريخ، ص ٣٣٥، الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٩، قسم٢، ص٥٥.

(٣) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٩، قسم٢، ص ٥٦.

(٤) انظر: العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص ٢٦٣.

(٥) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص٢٦٧ – ٢٦٨، محسن صالح، الطريق إلى القدس، ص٣٥.

الثورة المكابية ١٦٨ق.م:

قام بالثورة (يهوذا) الملقب بالمكابي؛ أي المطرقة، وهو ابن كاهن بسيط اسمة متاثياس (متايية)، وهو من الأسرة الهاسمونية، فثار على السلوقيين وانتصر عليهم عدة مرات، وأقام يهوذا وإخوتة عصابات غير نظامية كان يعتصم بهم في الجبال ويتجنب المواجهة المباشرة معهم حتى تمكنوا من العودة إلى القدس في سنة ١٦٤ق.م فاتخذوا يوم عودتهم عيداً لهم يحتفلون فيه سمي عيد الأنوار[١].

أسس اليهود حكماً ذاتياً في مدينة القدس، وصار الحكم وراثياً في ذرية يهوذا المكابي، ثم أقاموا حكماً ملكياً في عهد الإمبراطور ديمتريوس الثاني اعترف به السلوقيون، وسمحوا لهم بسك النقود[٢]، ويبدو أن نفوذ اليهود بعد ذلك أخذ يزداد حتى تمكن ملكهم إسكندر جانيوس من مد نفوذة إلى بعض أجزاء شرق الأردن، وأطلقوا عليها اسم (بيريا)، إلا أن هذا لا يشمل البلاد التي كانت تقوم فيها دولة الأنباط العربية في جنوب الأردن؛ إذ كان من الصعب على أية قوة اجتياز بلاد الأنباط التي تحطمت أمامها هجمات اليونان في القرن الثالث قبل الميلاد .

واختلف أبناء إسكندر جنايوس على الحكم بعد وفاة أمهم (سالوم الكسندرا) التي تولت الحكم بعد زوجها، واتجه هيركانوس إلى الأنباط فطلب حق اللجوء السياسي إليهم فآوه، ثم طلب مساعدتهم ضد أخيه أرسطوبولوس فنصروه، إلا أن قدوم الرومان إلى بلاد الشام سنه ٦٣ ق.م جعل القدس تدخل ضمن السيادة الرومانية، فنصَّب بومبي الروماني هيركانوس الثاني كبيراً للكهنة في مدينة القدس[٣].

---

(١) ظفر الإسلام خان، تاريخ القدس القديم، ص٧٧، وهناك من يسمي هذا العيد بعيد حانوكا (انظر: فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص ٢٦٨).

(٢) محسن صالح، الطريق إلى القدس، ص ٣٦.

(٣) ظفر الإسلام خان، تاريخ القدس القديم، ص٨٠ – ٨٤.

الرومان:

زحف القائد الروماني بومبي على الشرق وتمكن من احتلال سوريا سنة ٦٤ق.م فحولها إلى ولاية رومانية وسماها (ولاية سوريا)[١]، ثم زحف على فلسطين، وحاصر مدينة القدس سنة ٦٣ق.م، وسلم أرسطوبولس الثاني نفسة للرومان بينما رفض أتباعة الاستسلام، فهاجم بومبي المدينة بمساعدة هركانوس، وهدم أسوارها وحصونها وجعلها تابعة للحكم الروماني. ويقسم تاريخ مدينة القدس خلال العصر الروماني إلى ثلاث مراحل، هي [٢]:

١- المرحلة الأولى (٦٣ق.م - ٧٠م) وتمتد من دخول بومبي حتى دخول تيطس لها.

٢- المرحلة الثانية (٧٠-٣٣٧م) وتمتد حتى نهاية حكم الإمبراطور قسطنطين.

٣- المرحلة الثالثة (٣٣٧-٦٣٦م) وتمتد حتى تحرير المسلمين للمدينة(الفتح الإسلامي).

وتبدأ المرحلة الأولى بدخول بومبي المدينة سنة ٦٣ق.م، وكان بومبي حاصر المدينة، وضربها بالمجانيق وبطش بسكانها فاستسلمت للرومان، وتم تجريد هركانوس من منصب الملك وسمح له بأن يبقي في منصبة رئيساً للكهنة فقط، وقام (يوليوس قيصر) بتعيين أنتباتر مستشار هيركانوس نائباً عنه في فلسطين سنة ٤٨ق.م[٣].

وفي سنه ٤٠ق.م عاد الفرس وتمكنوا من الاستيلاء على بلاد الشام بما فيها القدس، إلا أنهم لم يتمكنوا من البقاء فيها طويلاً حيث استطاع الرومان استعادتها سنة ٣٨ق.م، وعينوا (هيرودس بن أنتيباتر) الأدومي ملكاً على اليهود سنه ٣٧ ق.م، وكان موالياً للرومان، وعلى عداء مع الأسرة المكابية اليهودية .

قام هيرودس بإنشاء مبنى ضخم في مدينة القدس هو (القصر الملكي) وحدائق

(١) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص ٣٠٩.

(٢) خالد محمد غازي، القدس، ص ٤٠.

(٣) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٩، قسم٢، ص ٥٩ — ٦٠.

متصلة بالقصر كما أقام مسرحاً للتمثيل والرقص وملعباً للشباب والشابات، وهذا لايعجب اليهود، لأنه مخالف لطقوسهم، ولكنه لم يلق بالاً لاعتراضهم على ذلك فأطلق علية الرومان لقب (الملك هيرودس)[1].

وشهدت هذه الفترة ولادة السيد المسيح علية السلام في مدينة بيت لحم في عهد أغسطس قيصر[2] ولما بلغ عمرة ثلاثين سنة أوحى الله تعالى إليه وأرسلة إلى الناس[3]، وأعطاة المعجزات، فكان يداوي المرضي ويبرئ الأكمة والأبرص[4] ويحيي الموتى وتنزل عليه المائدة، ووردت إشارات إلى المعجزات التي أعطاها الله سبحانه وتعالى لعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[5].

عاش عيسى علية السلام ما يقارب الثلاثين عاماً أمضاها في امتثال أمر الله تعالى ونشر تعاليمه التي جاء بها، والتي تدعو إلى المحبة والسلام والرقي بالإنسان وإطاعة الله تعالى. ولم يكن من السهل على الناس تقبّل تعاليمه أمام ما كان سائداً من مظاهر الاهتمام بالحياة الدنيا وعبادة الأوثان.

---

(١) إبراهيم الشريقي، أرض كنعان، ص١٦٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٧٠، ويقال بأن عيسى عليه السلام ولد سنة ٤م.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص١٧٩، العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص ٢٧١.

(٤) الكتاب المقدس، متّى ١٠،٩.

(٥) سورة المائدة، الآية ١١٠.



جبل الزيتون

وفي سنة ٧٠م أرسل الإمبراطور الروماني سباستيان ابنه تيطس على رأس جيش كبير إلى بلاد الشام ليقوم بتحرير مدينة القدس التي لا يزال اليهود يقومون فيها بأعمال الفساد ومناوأة الحكم الروماني، فدخل المدينة ودمر المباني الموجودة فيها التابعة لليهود، وقتل عدداً كبيراً منهم ونفى عدداً آخر خارج المدينة وخارج فلسطين كلها، وباع الأسرى اليهود بأثمان زهيدة[١].

ويعتبر عام ٣١٣م نقطة تحول في تاريخ مدينة القدس والمنطقة بأسرها، حيث اعتلى الإمبراطور قسطنطين عرش الإمبراطورية الرومانية وكان ميالاً للنصرانية، فاعتنقها وأصدر مرسوماً يسمح فيه بإطلاق الحريات الدينية في جميع ولايات الإمبراطورية الرومانية، وأصبحت النصرانية الديانة الرسمية للدولة[٢] وبدأ بناء الكنائس في مدينة القدس، فكانت أول كنيسة أقيمت فيها كنيسة القيامة، أما المكان الذي زعم اليهود أن

---

(١) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٩، قسم٢، ص ٦٨ – ٦٩، خالد العك، تاريخ القدس، ص ٩١.
(٢) محمود العابدي، قدسنا، ص ٣٨.

فيه الهيكل فجعلته القديسة هيلانة مطرحاً لقمامات البلد نكاية باليهود[1].

وفي سنة ٣٩٥م وبعد وفاة الإمبراطور ثيودسيوس انقسمت الإمبراطورية الرومانية بين ولديه : هونوريوس وأركاديوس:

فتولى هونوريوس الإمبراطورية الرومانية الغربية (المقدسة) وعاصمتها روما.

وتولى أركاديوس الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) وعاصمتها بيزنطية (القسطنطينية)، وتضم بلاد الشام بما فيها فلسطين والقدس.

وشهدت فلسطين نوعاً من الاستقرار في الفترة البيزنطية، مما ساعد على انتعاش الحياة الاقتصادية ونمو العمران، ففي عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) كثرت المباني الدينية من الكنائس والأديرة.

ولم يعكر صفو المنطقة أكثر من الحروب التي شنها كسرى أبرويز بجيوشة على سوريا سنة ٦١٤م وتمكن من وصول مدينة القدس فقام بأعمال التخريب، وامتدت يد الخراب إلى القبر المقدس (كنيسة القيامة) وكنائس أخرى كثيرة، وانضم اليهود إلى الفرس في هذه الحروب إلا أن سيطرة الفرس على البلاد لم تدم طويلاً فاستطاع هرقل القيام بحملة عسكرية تمكن فيها من استرداد مدينة القدس وفلسطين سنة ٦٢٨م[2] وبقيت القدس تحت السيطرة البيزنطية حتى تمكن المسلمون من فتحها سنة ٦٣٦م.

بناء الكنائس في مدينة القدس

يعود بناء أول الكنائس في مدينة القدس إلى الفترة الرومانية وإلى عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير، عندما قامت أم الإمبراطور القديسة هيلانة بزيارة القدس (إيلياء) سنة ٣٢٦م وكانت مهتمة بالديانة المسيحية، وأحضرت معها الأموال لتنفيذ

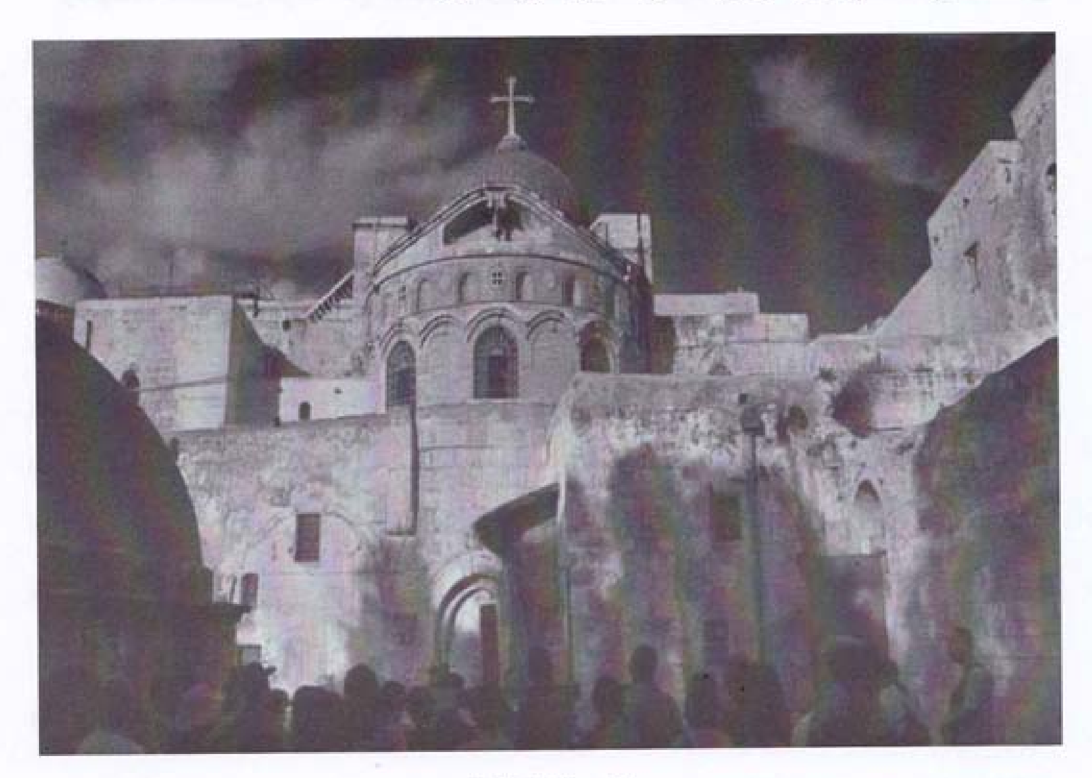
---

(١) أسماء فاعور، فلسطين، ص٥٠.

(٢) انظر: خالد العك، تاريخ القدس، ص ١٣٩، ١٤٠.

بعض المشاريع العمرانية وتمكنت بالتعاون مع المطران مكاريوس التحقق من الأمكنة التي ارتادها المسيح عليه السلام، وقامت ببناء كنيسة القيامة[١] ويعتقد المسيحيون أن كنيسة القيامة فيها المكان الذي يضم قبر المسيح عليه السلام قبل رفعه إلى السماء، وتم تدشين هذة الكنيسة سنة ٣٣٥م[٢].

وبُني في مدينة القدس وقريباً من كنيسة القيامة عدد من الكنائس في مناطق متقاربة أو متباعدة، ويذكر فايز جابر أن قسطنطين بنى وأمه هيلانة كنيسة (إيليون) على جبل الزيتون[٣] وأن هيلانة اختارت هذا الموقع لأنه يوجد فيه الكهف الذي أماط فيه المسيح اللثام إلى حوارييه عن الكثير من المعجزات[٤].



كنيسة القيامة

(١) محمود العابدي، قدسنا، ص٣٨، قاسم صالح، الطريق إلى القدس، ص ٤١، فايز جابر، القدس، ص ٣٦.

(٢) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٩، قسم٢، ص ٧٥.

(٣) يذكرها قاسم محمد صالح باسم كنيسة الصعود (انظر: قاسم محمد صالح، الطريق إلى القدس، ص ٤١).

(٤) فايز جابر، القدس، ص ٣٧.



كنيسة القيامة

وفي سنة ٥٢٧م تولى جستنيان حكم الإمبراطورية الرومانية، وبالرغم من قيام اليهود بإشعال الثورات إلا أنه تمكن من إخمادها، وشهد عصره إنشاء عدد من الكنائس والأديرة خاصة في مدينة القدس وما حولها فبنيت كنيسة (العذراء) سنة ٥٢٩م وكنيسة (ماري نوفا) سنة ٥٤١م وفي سنة ٥٣٠م قرر المجلس الكنسي جعل مدينة القدس مقراً للبطركية المسيحية[1].

وتعتبر كنيسة القيامة أعظم الأمكنة المقدسة عند المسيحيين، وتقع في وسط مدينة القدس، ويقال بأنها تشتمل على القبر المقدس ومكان صلب السيد المسيح، وتعرضت الكنيسة للهدم والتدمير عدة مرات؛ إحداها بعد احتلال الفرس لفلسطين سنة ٦١٤م. ولما استرد هرقل المدينة أعيد بناء الكنيسة مرة أخرى، وصارت مكاناً للحج عند جميع الطوائف المسيحية .

---

(١) خالد غازي، القدس، ص ٤٣.

وتهدمت كنيسة القيامة سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي، ثم أعيد بناؤها في خلافة ابنه الظاهر لإعزاز دين الله وفي الفترة الصليبية جُمِعَت عدد من الكنائس في كنيسة واحدة كبيرة، وأشرف على بنائها مهندس معماري فرنسي سنة ١١٤٠ - ١١٤٩م وبنيت على الطراز القوطي الشائع في أوروبا[١].

وفي سنة ١٨٠٨م تعرضت الكنيسة للحريق فسقطت القبة، وتحطم هيكل القبر المقدس ثم سمح السلطان العثماني للمسيحيين بإعادة بنائها سنة ١٨١٠م، وشاركت الدول الأوروبية بعملية البناء، وأصبح لجميع الطوائف المسيحية نصيب في هذه الكنيسة.

ومن الكنائس التي بُنيت في مدينة القدس الجسمانية، وتقع في سفح الجبل في طور زيتا، وفيها قبر السيدة مريم، والمغارة التي يقال بأن المسيح عليه السلام اختلى بها عن أعين الذين أنكروه، وفيها نزل عليه الإنجيل[٢].



كنيسة الجسمانية

(١) محمود العابدي، قدسنا، ص٣٨، فايز جابر، القدس، ص٣٧.

(٢) أوليا جلبي، سياجت نامة/ ضمن كتاب بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب، ترجمة كامل العسلي، عمان ١٩٩٢م، ص ٢٤٧ – ٢٤٨.



الكنيسة المجدلية

الفصل الرابع

القدس في العصر الإسلامي

- الإسراء والمعراج
- تحرير مدينة القدس(الفتح العمري)
- الإدارة في صدر الإسلام
- القدس في العهد الأموي
- مسجد قبة الصخرة المشرفة
- المسجد الأقصى المبارك
- القدس في العصر العبــاسي
- القدس في عهد بني طولون
- القدس في العهد الإخشيدي
- القدس تحت حكم الفاطميين
- الحكم الصليبي لمدينة القدس:
- الحملة الصليبية الأولى

أ- الاحتلال الصليبي لمدينة القدس

ب- مملكة القدس اللاتينية

- العهد الأيوبي :

أ- استعدادات صلاح الدين ومعركة حطين

ب- تحرير المدينة المقدسة

- أعمال صلاح الدين في القدس
- تجدد الحملات الصليبية
- تطور الوضع في مدينة القدس في العهد المملوكي

الإسراء والمعراج

﴿سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[1].

الإسراء من السُرى وهو السير بالليل، وأسريت سِرت ليلاً، وسريت إذا سرت ليلاً.

والمعراج من عَرَج الشيء فهو عَريج: أي ارتفع وعلا، قال أبو ذُؤيب:

كما نَوَّر المِصباحُ للعُجمِ أمرَهم

بُعَيدَ رُقادِ النائمين عَريجُ

وفي التنزيل: " تعرج الملائكة والروح إليه: أي تصعد، والمَعرج: الطريق الذي تصعد فيه الملائكة والمعراج: السّلّم ومنه المعراج[2].

وفي ليلة ٢٧ رجب سنة ١٢ من النبوة أُسري بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى القدس[3] وقيل قبل الهجرة بسنة أي سنة ١٣ من البعثة وهو الأرجح[4].

وفي ليلة الإسراء حُمِلَ النبي صلى الله عليه وسلم على البراق[5] من مكة حتى أتى بيت القدس، وانتهى البراق إلى موقفه الذي كان يقف فيه، فربطه جبريل في موقفه

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٨٧م مادة عَرَج.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأممن دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م، ج٢ن ص ١٥٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص١٠٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادرن بيروت، ج١ن ص ٢١٤.

(٥) البراق دابة بيضاء سريعة العدو ما بين الحمار والبغل كان يركبها الأنبياء وتضع خطوها عند أقصى طرفها (انظر: محمد عبد القادر أبو فارس، في ظلال السيرة النبوية/ الإسراء والمعراج، ط١ / ١٩٨٦م، ص ١٥.).

وهو مربط الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم[1].

وجُمع الأنبياء لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأمَّ بهم فصلّوا في المسجد الأقصى المبارك[2] ولم يكن مبنياً ببنائه المعروف اليوم، وإنما كان مكاناً لعبادة الموحدين المؤمنين بالله تعالى.

ثم أخذ جبريلُ محمداً صلى الله عليه وسلم إلى صخرة بيت المقدس الموجودة في الحرم القدسي، ومن هناك عُرِج به إلى السموات العلى إلى سدرة المنتهى، ثم عاد من رحلته في ليلته إلى مكة، فلما أخبر الناس أثار ذلك العجب ولم يصدقوا ذلك حتى أخبروا أبا بكر الصديق فكان أوّل المصدقين وقال: إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، إني أصدّقه في خبر السماء، فكان ذلك، وفرضت عليه وعلى أمته في هذه الرحلة الصلوات الخمس[3].

وقد ربطت رحلة الإسراء والمعراج بين المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد الأقصى في مدينة القدس من خلال رحلة الإسراء، كما ربطت بين الحرمين المكي والقدسي على الأرض وبين السماء من خلال رحلة المعراج، وهذا تأكيد على قدسية الحرمين .

وكانت معجزة الإسراء والمعراج مكافأة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وتكريماً له على جهاده الدائب وصبره في مواجهة أعداء الإسلام الذين أصروا على الشرك والجاهلية والضلال، ولتملأ قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ثقة بقدرة الله تعالى وتزيده قوة في مواجهة أعداء الإسلام[4].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢١٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، دار الجليل، بيروت، ج٢، ص ص ٢٤٣-٢٤٤، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢١٤، العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة دنديس ١٩٩٩م، ج١، ص ٢٩٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٥٣-٢٥٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص ١٥٩-١٦١.

(٤) انظر: محمد أبو فارس، الإسراء والمعراج، ص ٢٢.

تحرير مدينة القدس (الفتح العمري):

أبدى أبو بكر الصدّيق اهتماماً كبيراً بمنطقة فلسطين والأردن، ورأى بعد وفاة النبي عليه السلام أن يتابع إرسال جيش أسامة الذي بدأ النبي عليه الصلاة والسلام بتجهيزه ونصبَ معسكره في الجرف، وانتُدِب فيه عددٌ كبيرٌ من الصحابة كان من بينهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقّاص[1].

وحقيقةً أنفذ أبو بكر جيش أسامة بن زيد بعد أن استأذن أسامة ليسمح له بإبقاء عمر بن الخطاب، وسار أسامة حيث أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلى أُبنى فهزم الروم وقتل قاتل أبيه، وعاد مسرعاً بعد أن حقّق انتصارات واسعة[2]، وكان لحملته آثار مفيدة للمسلمين، فقد عاد الكثير من القبائل العربية التي مرّت عليها الحملة عن الارتداد، وأكّدت للقاصي والداني قُدرة المسلمين واستعدادهم ومنعتهم.

وأنفذ الخليفة أبو بكر الجيوش الإسلامية لتحرير بلاد الشام ومنها القدس مدفوعاً بما يلي:

١- قيام الروم البيزنطيين بإقامة رابطة في البلقاء في بلدة زيزياء[3]، كانت تزيد من خطر البيزنطيين والعرب المتنصّرة أمام المسلمين.

٢- ضعف مقاومة القبائل العربية في جنوب بلاد الشام لحملة أسامة بن زيد في مطلع خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٣- وبعد أن فرغ أبو بكر الصدّيق من حرب المرتدين استنفر المسلمين في الحجاز وأطرافها للجهاد، وجهّز خالد بن سعيد بن العاص بجيش وطلب منه أن ينزل تيماء ولا يغادرها، ويدعو من حوله من القبائل العربية للانضمام إليه استعداداً للقتال، وألّا يسمح للمرتدين بمشاركتهم هذا الاستعداد والانضمام إلى صفوف

---

(١) الواقدي، المغازي، ج٣، ص ١١١٧.

(٢) انظر: ابن سيّد الناس، عيون الأثر، ج١، ص٣٧٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٣٠٩.

(٣) انظر: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر، دمشق، ج١، ص١٧٨-١٧٩، محمد خريسات، تاريخ الأردن، ص١٨.

جيش المسلمين، وألاّ يقاتل إلاّ من قاتله حتى يأتيه أمر الخليفة، فاجتمعت إليه أعداد كبيرة من المتطوعين(١).

ولما علم الروم بذلك أخذوا يعدون للقاء المسلمين، وانضمت إليهم جماعات من القبائل العربية من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان، وأقاموا على مقربة من زيزياء، فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر يخبره بذلك، فطلب منه أن يتقدّم ويتوكل على الله، فسار إليهم دون أن يواجه مقاومة من القبائل العربية الموجودة في جنوب الأردن، ثم التقى البطريق باهان فأوقع به الهزيمة وقتل عدداً من جنده، ثم كتب إلى الخليفة يستمدّه، فأمر أبو بكر باستبدال جيش خالد بن سعيد، وسُمي جيش البدال(٢).

ثم جهّز أبو بكر أربعة جيوش، وطلب من قادتها المسير إلى بلاد الشام لفتحها، فجعل عمرو بن العاص قائداً على جيش وجهته فلسطين، وطلب منه أن يسلك طريق أيلة، وهي الطريق الساحلية، وتُعرف بطريق المُعْرِقة(٣).

كما بعث يزيد بن أبي سفيان على جيش وجهته دمشق، وشرحبيل بن حسنة على جيش وجهته الأردن، وأبا عبيدة عامر بن الجراح على جيش وجهته حمص، وطلب من هؤلاء القادة الثلاث أن يسلكوا طريق تبوك(٤)، وكان مع كل قائد منهم ثلاثة آلاف جندي، وما زال أبو بكر يمدهم بالرجال حتى صار مع كل منهم ٧٠٠٠ – ٧٥٠٠ رجل(٥)، وقدّم أبو بكر نصائحه لقادة الجيش قبل انطلاقهم إلى الشام.

وحسب ابن عساكر فإن قادة الجيوش الإسلامية ساروا بجيوشهم ومعهم النساء والذريّة بالخيل والسلاح، وليس معهم حمار ولا شاة، فأخذوا على طريق فلسطين حتى

---

(١) الطبري، الرسل والملوك، ج٣، ص٣٨٨، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص٧٢.
(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص ٧١-٧٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٧٦.
(٣) الطبري، الرسل والملوك، ج٣، ص٣٧٨، ويذكر ابن عساكر هذه الطريق باسم الطريق المغربة على أيله لأنها تأخذ باتجاه الغرب وتنتهي إلى العقبة(انظر ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج٢،ص٦٩).
(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٧٦.
(٥) قدامة بن جعفر، الخراج، وصناعة الكتابة، ص٢٨٥، البلاذري، فتوح البلدان، ١١٦.

نزلوا بقرية الداثن بالقرب من غزّة وهناك التقوا بالروم[1]، وكان هذا إجراءً عسكرياً يهدف إلى دفع الجنود للقتال بصبر وبثبات وعدم التفكير بالهزيمة أو الانسحاب أمام الأعداء لأنه في هذه الحالة سيقاتل جهاداً في سبيل الله، إضافة إلى أنه سيقاتل دفاعاً عن كل ما له في هذه الحياة؛ أي إنّ قتاله سيكون عن دينه ودنياه.

وسار عمرو بن العاص حيث أمره أبو بكر من الطريق الغربية قريباً من الساحل، وكان يستنفر من يمرّ به من الأعراب، فنفر معه أناس كثيرون من القبائل العربية من بلي وعذرة وبلقين وقضاعة[2].

وكان لا يمر بمكان حتى يتغلب عليه دون حرب، فلم تُبدِ القبائل العربية أيّة مقاومة لحملة عمرو بن العاص، مما يدلّ على أنها كانت تنتظر من يتقدم لتخليصها من السيطرة البيزنطية، لكنها كانت متخوفة بسبب القوّة الكبيرة التي تمتلكها الدولة البيزنطية.

وكانت أوّل المعارك التي خاضها المسلمون ضدّ الدولة البيزنطية في وادي عربة، حيث نزل قادة الروم في جمع من العسكر يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل، فتوجه إليهم أبو أمامة الصدّي بن عجلان بأمر يزيد بن أبي سفيان، فتمكن من إلحاق الهزيمة بهم، ثم أتى قرية الداثنة فهزم من فيها من الروم وقتل أحد بطارقتهم.

وسار أبو عبيدة بجيشه إلى وادي القرى ثم الحجر وذات المنار فزيزياء ومن هناك توجه إلى مؤاب، فخرج إليه الروم وأيّد الله المسلمين بنصره فألحقوا الهزيمة بالروم ولاحقوهم حتى أدخلوهم مؤاب وحاصروهم فيها حتى خرج أهلها وطلبوا الصلح، فصالحهم المسلمون على أن يؤدوا ديناراً وجريب حنطة عن كل بالغ[3]، فكانت مؤاب أول مدن الشام صلحاً.

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص٨٢.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١، ص١٣٠.

(٣) انظر: الأزدي، فتوح الشام، ص٢٩، البلاذري، فتوح البلدان، ص١٢٠.

كان المسلمون يهدفون من قيامهم بفتح مؤاب إلى تأمين الطريق المؤدية إلى الحجاز وعدم قطعها على المسلمين لضمان الاتصال بالعاصمة، وتوفير الإمدادات اللازمة عند الحاجة، فأبو عبيدة بعد وصوله إلى زيزياء أراد أن يكمل أعمال عمرو بن العاص بفتح جنوب الأردن؛ لهذا ترك منطقة عمان القريبة من زيزياء وعاد إلى الكرك لمحاصرة الروم في الربّة.

ولما فرغ يزيد بن أبي سفيان من صلح بصرى توجّه إلى عمان فصالح أهلها على مثل صلح بصرى، ثم توجّه جنوباً واشترك مع أبي عبيدة في تطهير المنطقة الجنوبية؛ فقام بفتح غرندل وغلب على أرض البلقاء وجبال الشراة[١].

ويذكر البلاذري أن المسلمين لما قدموا إلى الشام كان كل أمير منهم يقصد ناحية يغزوها، فإذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه، وإذا احتاج أحد إلى المعاضدة سارع صاحبه لإنجاده، وكان أميرهم في خلافة أبي بكر عمرو بن العاص حتى قدم خالد بن الوليد من العراق فكان أمير المسلمين في كل حرب، وفي خلافة عمر بن الخطاب تولى أبو عبيدة أمر الشام كله في الحرب والسلم[٢].

وتقدم عمرو بن العاص نحو فلسطين، وكان يزيد بن أبي سفيان يتمركز في البلقاء، وقد صالح أهلها على ألف ألف درهم (مليون درهم)، وشرحبيل بن حسنة في بصرى، فتوجها لنجدة عمرو بن العاص الذي خاض مع البيزنطيين معركة أجنادين سنة ١٣هـ/٦٣٤م وانتهت بانتصار المسلمين.

وكانت أكبر المعارك التي حدثت في الأردن معركة اليرموك في رجب سنة ١٥هـ/٦٣٦م، وهي المعركة الفاصلة التي حددت مصير الشام كله، ووضعت حدّاً للتفوق البيزنطي، وفتحت بعدها جميع مدن الشام[٣] بسهولة ويسر وخرج الروم نهائياً من البلاد.

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص٢٨٨، محمد خريسات، تاريخ الأردن، ص٢٢.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٢.

(٣) انظر: محمد حسين محاسنة وحاتم الصرايرة، فنون التاريخ العسكري في أرض الحشد والرباط، وزارة الثقافة – عمان ٢٠٠٥م، ص١١٢ وما بعدها.

وتوجه المسلمون بقيادة عمرو بن العاص إلى فلسطين ففتح عدداً من المدن منها نابلس واللد ورفح وغزة وعسقلان وغيرها .

بعد ذلك توجه عمرو بن العاص إلى القدس ففرض عليها الحصار ثم جاءه أبو عبيدة مدداً، واستمر حصار المدينة أربعة أشهر حتى ضاق أهلها بالحصار وطلبوا من البطريرك صفرونيوس أن يخرج لمفاوضة المسلمين، فعرض عليه المسلمون الإسلام أو الجزية أو القتال، واختار الصلح وحقن الدماء شريطة أن يكون ذلك بحضور أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[1].

وكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب في المدينة المنورة، فلما وصله الخبر جمع المسلمين واستشارهم، ثم استخلف على المدينة علي بن أبي طالب وتوجه إلى الشام حتى قدم الجابية وقد وافاه أمراء الأجناد[2]، وصالح أهل بيت المقدس(إيلياء)وكتب لهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وأعطاهم حرية الخروج من المدينة أو البقاء مع الاحتفاظ بحق إقامة طقوسهم ما سالموا المسلمين والتزموا العهد معهم، وسمي العهد الذي منحه عمر بن الخطاب لأهل القدس باسم العهدة العمرية، ونص العهد كما أورده الطبري[3]:

" هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيّزها، ولا من صليبهم ولا من شيءٍ من أموالهم، ولا يُكرَهون على دينهم، ولا يضارَّ أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت(اللصوص)، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فإنه آمن وعليه مثل ما على

---

(١) الطبري، الرسل والملوك، ج٣، ص ٦٠٩، العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص ٣٧٧-٣٨٨.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣٤٨.
(٣) الطبري، الرسل والملوك، ج٣، ص ٦٠٩.

أهل إيلياء من الجزية، ومن أحبّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبانهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وبيعهم وصلبانهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله وذمّة الخلفاء وذمّة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة"[١].

وكان هذا أماناً عظيماً استهدف حقن الدماء ونشر الأمان بين أهل المدينة، وبهذه الروح الإسلامية الرائعة فتح عمر بن الخطاب مدينة القدس سنة ١٥هـ/٦٣٦م ودخل عمر بن الخطاب المدينة وصلى في محراب داود، ثم طلب منهم أن يدلوه على موضع الصخرة فدلوه وحفر المسلمون حتى أزالوا القمامة عنها وظهرت[٢].

أولى المسلمون مدينة القدس عناية كبيرة لما لها ولمسجدها من فضل كبير وباعتبارها مسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقبلتهم الأولى.

الإدارة في صدر الإسلام :

بعد الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام انتشر المسلمون في مدن الشام وقراها، وتمّ تقسيمها في خلافة عمر بن الخطاب إلى وحدات إدارية بهدف تسهيل إدارتها، وعُرفت هذه الوحدات بالأجناد وتشمل:

١- **جند دمشق:** ومركزه مدينة دمشق، وكان يضم مجموعة من الكور منها كورة مآب وكورة الجبال وكورة الشراة[٣].

---

(١) الطبري، الرسل والملوك، ج٣، ص ٦٠٩، الحنبلي، الأنس الجليل، ج١، ص ٣٧٧-٣٧٨.

(٢) العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص ٣٨٠.

(٣) انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، طبعة ليدن ١٨٨٩م، ص٧٧، الإدريسي، نزهة المشتاق، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٩م، ج١،ص٣٧٧، محمد خريسات، تاريخ الأردن، ص٣٣.

٢- **جند فلسطين**: ومركزه اللد، ثم تحول إلى الرملة، وأشهر مدنه البيت المقدّس.

٣- **جند الأردن** : ومركزه مدينة طبرية، وكان يضم كورة زغر وكورة اللجون[١].

٤- **جند حمص**: ومركزه مدينة حمص.

ويلاحظ أنه كان يبدو التداخل بين تقسيم الأجناد خاصة أجناد دمشق والأردن وفلسطين، وكان تقسيمها عرضياً من الداخل إلى البحر بحيث كان لكل جند منطقة على الساحل الشامي ليكون من السهل حمايتها وإدارتها، والدفاع عن المناطق الساحلية أمام خطر البيزنطيين، فالمسلمون في بداية أمرهم كانوا لا يجيدون ركوب البحر، وهذا التقسيم كان يدفع الأجناد إلى التعاون لرد أي اعتداء تتعرض له المناطق الساحلية.

القدس في العهد الأموي:

كانت مدينة القدس جزءاً من ولاية الشام التي تولاها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولما انتقلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان بُويع له في مدينة القدس ودُعي أمير المؤمنين، وصار سلام بن قيصر والياً على القدس، وفي عهده زار الأسقف الفرنسي (أركولفوس) سنة ٥١هـ/ ٦٧٠م مدينة القدس ومكث فيها حوالي عام تقريباً[٢].

اهتم معاوية بن أبي سفيان بأهل الذمة خاصة نصارى القدس، وكان يتردد على المدينة ويزور المقدسات الخاصة بأهل الذمة، فزار الجلجلة وزار الجشمانية وهبط منها إلى قبر السيدة مريم وصلى هناك.

واستعمل معاوية بعض النصارى في أعمال الكتابة، ومنهم ابن آثال النصراني، استعمله على خراج حمص وسرجون بن منصور على خراج الشام[٣] وقيل إنه

(١) عن جند الأردن انظر: اليعقوبي، البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٥٧، ص٨٣-٨٤، ابن خرداذبة، المسالك،٧٨، الإدريسي،نزهة المشتاق،ج١،ص٣٧٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،ج١، ص٣٩٣.، شفيق جاسر، تاريخ القدس، ص ١٩٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٤٨.

استخدمهم لأن أمه كانت نصرانية وهي: (ميسون بنت بحدل الكلبية الدمشقية) كما أن الإسلام يدعو إلى التسامح مع أهل الكتاب، فكان الخليفة نموذجاً لذلك.

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان زاد الاهتمام بالقدس فقد بنى مسجد قبة الصخرة المشرفة، فكان من أروع المساجد في الإسلام[١].

وعندما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة كان في مشارف البلقاء، فتوجه إلى بيت المقدس وجاءته الوفود تبايعه في القدس، وكان سليمان يجلس في صحن مسجد بيت المقدس مما يلي الصخرة ويتقبل التهاني من الوفود القادمة إليه[٢].

وهمّ سليمان بن عبد الملك على الإقامة في مدينة القدس واتخاذها عاصمة فبنى فيها القصور؛ إلاّ أنَّ الظروف الإدارية والعسكرية لم تسمح بذلك، فعاد وتخلى عن الفكرة بعد أن استشار من حوله، وكانت بيت المقدس مدينة العلم من القراء والمحدّثين والمفسرين والفقهاء، فيذكر المقدسي أن إبراهيم بن عبلة كان يقول : يرحم الله الوليد وأين مثل الوليد كان يعطيني قصاع الفضّة فأقسمها على قراء مسجد بيت المقدس[٣]، وكان الخليفة سليمان يكرم العلماء، لذلك ازدهرت الحركة العلمية في بيت المقدس في العصر الأموي، فأمها العلماء وسكنوها.

أما اليهود فقد حَرَّم عليهم عمر بن الخطاب الإقامة فيها، وبقي الأمر كذلك إلى خلافة عبد الملك بن مروان الذي استخدمهم في أعمال النظافة وخدمة المساجد في القدس[٤].

---

(١) شوقي شعث، القدس الشريف، ص ٣٠.

(٢) أحمد بن محمد المقدسي، مثير الغرام بفضائل القدس والشام، المطبعة العصرية، يافا ١٩٤٦م، ص٤٥، السيوطي، اتحاف الأخِصّا، ج٢ن ص٤٣.

(٣) المقدسي، مثير الغرام، ص ٤٥، السيوطي، إتحاف الأخصّا، ج٢، ص٤٣.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٧١.

مسجد قبة الصخرة المشرفة:

من أعظم المباني الإسلامية تتوسط الحرم القدسي في المكان الذي يشكل قمة جبل موريا، وإلى هذا المكان انتهى النبي محمد صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج حيث وطئ على الصخرة وعُرِج به إلى السموات العلى إلى سدرة المنتهى.

والمسجد مثمن منتظم الشكل طول ضلعه ٢٠ متراً وداخله مثمن من القواعد والأعمدة حيث توجد ثمانية قواعد وبين كل قاعدتين عمودان فيكون في المثمن الداخلي ١٦ عموداً، وتربط بين الأعمدة مع بعضها وبين الأعمده والقواعد أقواس مزينة بالرسوم الجميلة، وفوقها أفاريز مكتوب عليه آيات قرآنية بالخط الكوفي، كما أقيم فوق القواعد والأعمدة عنق Drum لحمل القبّة التي تعلو الصخرة، ويبلغ قطر القبة ٢٠,٤ متراً، وللبناء أربعون نافذة في الجدران و١٦ نافذة في عنق القبة لإدخال النور إلى داخل البناء، وجميع النوافذ مغطاة بالزجاج الملون[١]، و١٦ نافذة مغلقة على زوايا الجدران، وأتمّ عبد الملك بناء مسجد قبة الصخرة المشرّفة سنة ٧٢هـ/٦٩٢م[٢].

واتهم الخليفة عبد الملك أنه كان يريد تحويل الحج عن مكة المكرمة إلى القدس، غير أنه اتهام باطل، فالقدس تتمتع بمكانة دينية خاصة؛ إذْ فيها أولى القبلتين، وفيها مسجد من أعظم ثلاثة مساجد في العالم لقوله صلى الله عليه وسلم "لاتشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا (المسجد النبوي) والمسجد الأقصى" وقد أراد عبد الملك طلب الأجر والثواب في هذا البناء[٣].

وجمع عبد الملك الصنّاع والمهندسين لعمارة هذا المسجد، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين[٤]، وكلف ببنائه المهندسيْن رجاء بن حيوة من بيسان ويزيد بن سلام من مدينة القدس، وبعد إتمام البناء بقي من المال المرصود للنفقة عليه مائة ألف ١٠٠٠٠٠

(١) العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص ٤٠٠.

(٢) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدتن، ص ٩٧، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ١٤٧.

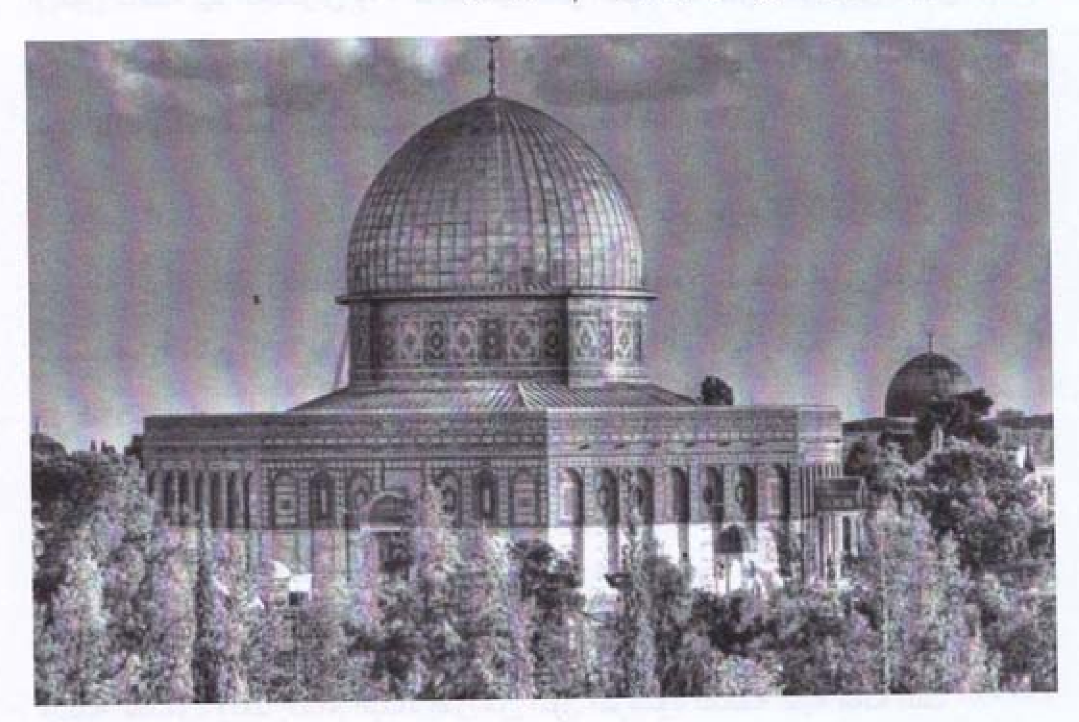
(٣) انظر: محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ١٤٠-١٤١.

(٤) العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج١، ص٤٠١.

دينار، فجعلها عبد الملك جائزة للمهندسين اللذين أشرفا على البناء، لكنهما تركاها للنفقة على المسجد[1].

وخصّص عبد الملك ٣٠٠ شخص للقيام على خدمة المسجد كان بينهم عشرة من اليهود ثم تمت زيادتهم إلى عشرين شخصاً، وأمر الخليفة أن تغسل الصخرة مرتين في الأسبوع وتطيّب بالزعفران مع المسك والعنبر والماورد الجوري، وأن يحرق فيها البخور[2].

والقبة التي بنيت في عهد عبد الملك بن مروان كانت مزدوجة، أي تتكون من قبتين فوصفها ابن الفقيه وقال: "والقبة التي بناها عبد الملك على اثني عشر ركناً وثلاثين عموداً هي قبة على قبة عليها صفائح من الرصاص وصفائح من النحاس مذهبة جدرها من داخل وخارج ملبّس بالرخام الأبيض"[3].



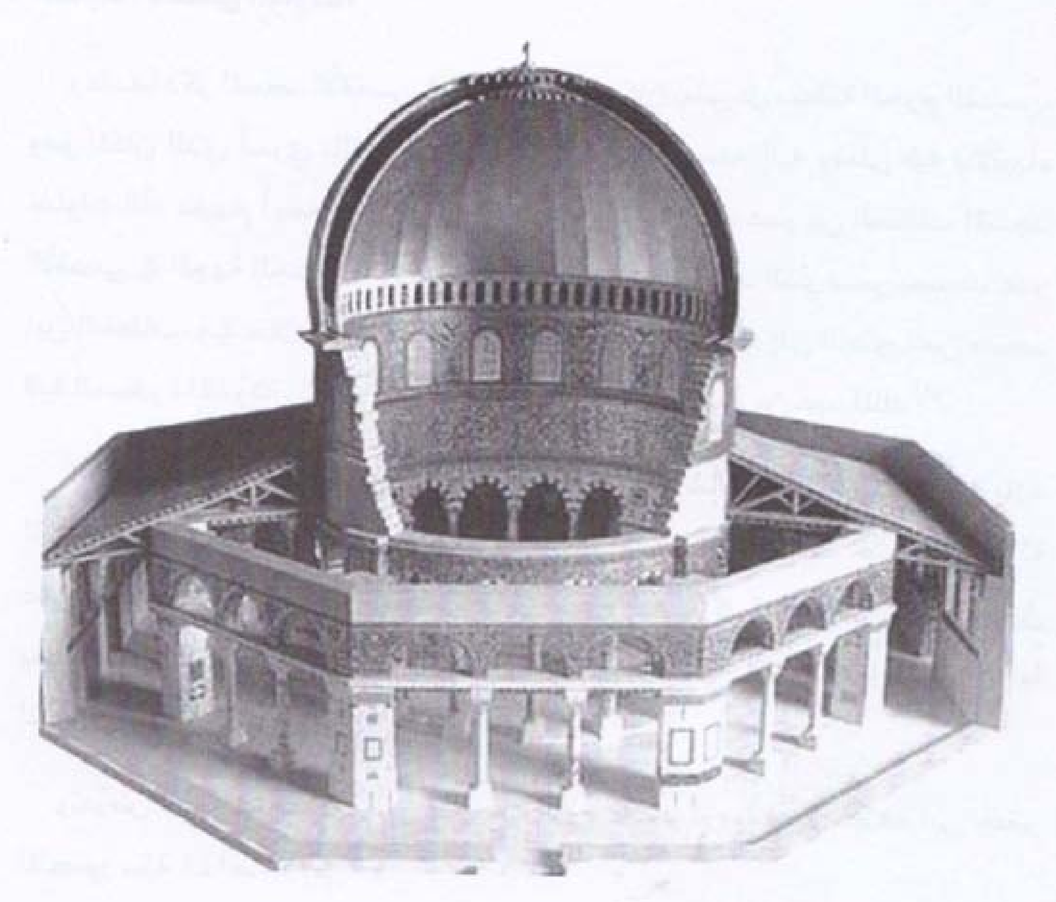
مسجد قبة الصخرة المشرفة

---

(١) العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج١، ص٤٠٢.

(٢) السيوطي، اتحاف الأخصّا، ج١، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٣) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدانن ص٩٧.



مسجد قبة الصخرة / مقطع داخلي

أما ابن بطوطة فقد أبدع في وصفها عندما قال: "وهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً قد توفّر حظّها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة وكذلك داخلها، وفي ظاهرها وباطنها أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يُعجِز الواصف وأكثر ذلك مغشيّ بالذهب، فهي تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها"[١].

(١) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأسفار وعجائب الأمصار (الرحلة)، دار صادر، بيروت ١٩٩٢م، ص ٥٨.

المسجد الأقصى المبارك:

وعندما ذكر المسجد الأقصى في القرآن الكريم كان يعني كل منطقة الحرم القدسي، وهو المكان الذي أسري بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم إليه وصلّى فيه بالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. وبعد فتح المدينة المقدّسة أقام عمر بن الخطاب المسجد الأقصى في الجهة الجنوبية من الحرم الشريف، وهو المسجد الذي سمي بمسجد عمر ابن الخطاب، وفي خلافة عبد الملك بن مروان تم تجديد بنائه إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة المشرّفة، إلاّ أن بناءه لم يكتمل فأتمّ بناءه الوليد بن عبد الملك[١].

كان البنا على شكل بازليكي مستطيل، وهو نظام كان شائعاً في بناء الكنائس في بلاد الشام قبل الإسلام، وقالوا بأنه استخدم في بناء المسجد أربعة آلاف خشبة وسبعمائة عمود وخمسمائة سلسلة من النحاس، وكان يسرج فيه في كل ليلة ألف وستمائة قنديل يصرف لها مائة قسط من الزيت في كل شهر، ويقوم عليه ١٤٠ خادماً وفيه ٢٤ جباً للماء(٣).

وتعرّض بناء المسجد الأقصى لتغيرات كثرة فأعيد ترميمه في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٤١هـ ٧٥٨م[٢] .

وفي عهد الخليفة المهدي العباسي تم إعادة بناء المسجد الأقصى حيث تعرض المسجد للخراب، وقال المهدي "رثّ هذا المسجد وطال وخلا من الرجال فأنقصوا من طوله وزيدوا في عرضة"[٣] وذلك لأنه عندما نظر إلى المسجد وجد أنه طويل جداً وأن طوله لا يتناسب مع عرضه، فأمر بإجراء تعديل عليه، وأعيد بناء المسجد على الشكل الذي هو عليه اليوم وصار طوله ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً[٤].

(١) حول بناء المسجد الأقصى انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٦٨، السيوطي، اتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٨٨٢م،ج١، ص٢٤١، العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص ٤١١، شفيق جاسر، تاريخ القدس، ص ٢٠٣- ٢٠٤م، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص١٥١.

(٢) ابن عبدربّه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ج٧ن ص ٢٩٠-٢٩١.

(٣) العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص٤١٤، حسين مؤنس، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨١م، ص١٨٧، محمد محاسنة، حقيقة القدسن ص١٥٥.

(٤) عفيف البهنسي، الشام الحضارة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٦، ص ١٧٥.

وكان للمسجد سبعة أبواب أكبرها الباب الأوسط وهو الباب الرئيس، ويتكون بيت الصلاة من ٢٦ رواقاً، وتتوسط الرواق الأوسط قبة لطيفة تحملها أعمدة رخامية أقيمت فوقها عقود تحمل القبة[١]، وسقف البناء من الخشب المنقوش المحلّى بالزخارف ومغطّى بصفائح من الرصاص[٢].

القدس في العصر العباسي:

صارت فلسطين في العصر العباسي جنداً تابعاً لدمشق من الناحية الإدارية، وتولى إدارتها عبدالله بن علي ثم صالح بن علي، وفي خلافة المنصور فصلت فلسطين عن الشام لأهميتها الدينية وعيّن عليها عبد الوهاب بن إبراهيم، ولما أساء السيرة فيهم شكوه إلى الخليفة فعزله ولكنه بعد مدة أعيد إليها فتمردوا عليه وتوترت الأمور إلى أن قام الخليفة بزيارتها سنة ١٤٠هـ/٧٥٨م وهو عائد من الحج فخفّف من نقمة أهل فلسطين على دولة الخلافة[٣].

وتعرّض المسجد للخراب بسبب الزلزال الذي ضرب بلاد الشام في عهد المنصور، فاستعان الخليفة أبو جعفر المنصور بأمراء البلاد الإسلامية على المساهمة في إعادة بنائه، فتجددت عمارته أحسن من ذي قبل[٤].

وأولى خلفاء بني العباس عنايتهم لمدينة القدس لكونها أولى القبلتين ومسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يقومون بزيارتها والاطلاع على أحوالها.

واتخذ المنصور قراراً يمنع فيه اليهود والنصارى من بناء الكنائس في مدينة القدس وفي غيرها من البلدان، وفرض الجزية على الرهبان والكنائس وعزل الموظفين النصارى

---

(١) حسين مؤنس، المساجد، ص ١٨٧- ١٨٨.

(٢) ناصر خسرو، سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، مطبوعات البنك الدولي للمعلومات، ص٦٢-٦٣.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٧١م، ج٣، ص ٣٣٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦٥.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٦٨- ١٦٩.

عن ديوان الخراج وجعل لهم ولليهود علامات فارقة تميزهم عن المسلمين[1].

وفي أوائل القرن ٣هـ/٩م تعرضت مدينة القدس لزلزال تهدمت بسببه كثير من المباني منها المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرّفة، فكلّف الخليفة المأمون العباسي عبد الله بن طاهر بالإشراف على إعادة تعميره وتعمير المباني المتهدمة.

وتخللت عمليات إعادة التعمير والإصلاح استبدال اسم الخليفة عبد الملك بن مروان الباني الحقيقي لمسجد قبة الصخرة المشرفة باسم الخليفة المأمون، إلاّ أنه تم اكتشاف هذا التغيير لأن الذين أزالوا اسم الخليفة عبد الملك استبدلوه باسم الخليفة المأمون دون استبدال التاريخ وهو سنة ٧٢هـ/ ٦٩٢م، فتبين أن هناك تغيير في الاسم لأن هذا التاريخ كان عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، وتبين أن الباني الحقيقي هو الخليفة عبد الملك بن مروان[2].

وشهدت فترة الخليفة العباسي هارون الرشيد عدداً من الفتن في بلاد الشام بين القيسية واليمانية منها ثورة المبرقع اليماني(أبو حرب)، وتأثرت فلسطين والقدس بهذه الأحداث، وكان والي الشام لهارون الرشيد ابن عمه موسى بن عيسى الذي تمكن من إخماد الفتن ونشر الاستقرار في بلاد الشام، ويظهر ذلك في أقوال أحد الشعراء وهو يذكر دور موسى بن عيسى بوضع حدّ لها[3]:

قد هاجت الشام هيجاً	يشيب رأس وليده
فصبّ موسى عليها	بخيله وجنوده
فدانت الشام لمّا	أتى بنسخ وحيده
هذا الجواد الذي بذّ	كل جود بجوده

(١) شفيق جاسر، تاريخ القدس، ص٢١٦.

(٢) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ١٦٣.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص ١٧٣-١٧٤.

أما هارون الرشيد فقد سمح للنصارى بممارسة شعائرهم الدينية والقيام بتثقيف العائلات الكبيرة، فصار يوحنّا بن ماسوية مشرفاً على التعليم أيام هارون الرشيد[(١)]، ولكنه أبقى عليهم الالتزامات التي يجب تنفيذها، فألزمهم بلبس الزنّار وألاّ تركب نساؤهم الرحائل وأن يخالفوا المسلمين في هيئتهم في لباسهم وركوبهم[(٢)].

القدس في عهد بني طولون :

تولى أحمد بن طولون حكم مصر وبلاد الشام سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م فدخلت القدس تحت حكم الدولة الطولونية التي أولت القدس عناية كبيرة لأهميتها الدينية، ونقل بنو طولون مركز فلسطين من مدينة القدس إلى مدينة الرملة التي صارت لها مكانة بارزة وأهمية كبيرة، واستمر حكم بني طولون لمصر والشام إلى سنة ٣٢١هـ/٩٣٢م[(٣)].

القدس في العهد الإخشيدي:

تولى محمد بن طغج الإخشيد الشام سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٢م، وتمكن من رد الفاطميين الذين أخذوا يهددون حدود مصر الغربية، فبعث إليه الخليفة العباسي الراضي تقليداً بمصر إضافة إلى بلاد الشام سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م، وأصبحت القدس ضمن أملاك الدولة الإخشيدية، وصار عليه أن يقوم بحماية القدس ورد أية أخطار تتعرّض لها مع بلاد الشام، وأن يواجه تحركات القبائل العربية التي حاولت الاعتداء على قوافل الحجاج العائدين من الحجاز[(٤)].

---

(١) شفيق جاسر، تاريخ القدس، ص٢١٨، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ١٦٥،
Drapper;The Intellectual Development of Europe, vol2,p 392

(٢) انظر: أبو يوسف، الخراج، دار المعرفة، بيروت ١٣٤٧هـ، ص٧٢، الطبري، الرسل والملوك، ج٨، ص٣٢٤.

(٣) انظر: فاروق عمر فوزي ومحسن محمد حسين، الوسيط في تاريخ فلسطين، دار الشروق، عمان ١٩٩٩م، ص٩٨-٩٩، خليل عثامنة، فلسطين في خمسة قرون، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ٢٠٠٠م، ص٢٥٢، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص١٦٨، زيدان كفافي وآخرون، القدس عبر العصور، جامعة اليرموك ٢٠٠١م، ص١٢١.

(٤) فاروق عمر، الوسيط، ص ١٠٠، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص١٦٩.

اهتم الإخشيديون بمدينة القدس وفلسطين، وكانوا يخصّصون أوقاتاً معينة يقومون فيها بزيارة القدس والاطلاع على أحوالها وحاجاتها، ويقيمون فيها للراحة والعبادة[١].

وتعرّضت فلسطين لغزو القرامطة فحاول الإخشيديون ردهم إلاّ أنهم فشلوا في ردهم عن بلاد الشام، وفرّ الحسن بن طغج الإخشيد من الرملة إلى القدس ليحتمي بها من خطر القرامطة، وأجبروه على أن يدفع لهم الإتاوة سنة ٣٥٧هـ/٩٦٨م[٢].

القدس تحت حكم الفاطميين :

بعد سيطرة الفاطميين على مصر ٣٥٨هـ٩٦٨م بقادة جوهر الصقلي أرسل جوهر قائده جعفر بن فلاح الكتامي إلى بلاد الشام، فوصل مدينة الرملة وتمكن من السيطرة عليها سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م،[٣] ثم خضعت باقي مدن فلسطين للحكم الفاطمي قبل أن يتوجه للسيطرة على دمشق سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م.

كان الفاطميون على المذهب الإسماعيلي الشيعي، لذلك لم يكن من السهولة تحقيق الاستقرار في بلاد الشام، ولم يكن من السهولة عليهم تقبل المذهب الشيعي، خاصّة وأن الفاطميين كانوا يروجون لمذهبهم، فواجهوا صعوبات كثيرة في حكم فلسطين والقدس ومعظم مدن بلاد الشام.

ويصف لنا المقدسي(ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م) الذي عاصر الحكم الفاطمي لمدينة القدس فيقول: "سألني أبو القاسم ابن قاضي الحرمين عن الهواء بها - أي في مدينة القدس" فقلت: سجسج لا حرّ شديد ولا برد شديد، قال : هذه صفة الجنّة، بنيانهم حجر لا ترى أحسن منه ولا أتقن من بنائها، ولا أعفّ من أهلها ولا أطيب من العيش بها ولا أنظف من أسواقها ولا أكبر من مسجدها ولا أكثر من مشاهدها، عنبها خطير وليس لمعنّقتها نظير، وفيها كل حاذق وطبيب، وإليها قلب كل لبيب ولا تخلو كل يوم من غريب"[٤].

---

(١) فاروق عمر، السيط، ص ١٠٣، الموسوعة الفلسطينية، مجلد٣، ص٥١٢.

(٢) خليل عثامنة، فلسطين، ص ٢٥٩، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ١٦٩.

(٣) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة ج٤، ص٣٠.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٦.

وزارها الرحالة ناصر خسرو في القرن ٥هـ/١١م سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٧م أيام الحكم الفاطمي للمدينة، وسجل لها وصفاً جميلاً فقال بأن فيها أسواق جميلة وأبنية عالية وكل أرضها مبلطة بالحجارة .... وفيها صناع كثيرون لكل جماعة منهم سوق خاصّة، والجامع شرقي المدينة وسوره هو سورها الشرقي، وبعد الجامع سهل كبير مستوٍ يسمى الساهرة يقال إنه سيكون ساحة القيامة والحشر[١] ومن هنا يقول بعض العلماء بأن فلسطين فيها أرض المحشر والمنشر.

وقال عنها :"سواد ورساتيق بيت المقدس جبلية كلها، والزراعة وأشجار الزيتون والتين وغيرها تنبت كلها بغير ماء - أي إنها تعتمد على مياه الأمطار ولا تحتاج إلى الري- والخيرات بها كثيرة ورخيصة، وفيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألفاً من زيت الزيتون يحفظونها في الآبار والأحواض ويصدرونها إلى أطراف العالم، ويقال إنه لا يحدث قحط في بلاد الشام"[٢]، وأشار ناصر خسرو إلى كنيسة القيامة وقال بأن النصارى يسمونها بيعة القمامة ويحج إليها كثير من الروم كل سنة ويزورها ملك الروم متخفياً حتى لا يعرفه الناس، فزارها أيام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ووصل خبره إلى الحاكم فأرسل إليه الحاكم رجلاً من رجاله مرّة وهو يجلس في الكنيسة فقال له يقول لك سيدي الحاكم: لاتحسبني أجهل أمرك، ولكن كن آمناً فلن أقصدك بسوء[٣].

وكنيسة القيامة بناء عظيم يتسع لأعداد كبيرة من الناس، وهي بناء جميل الزخرفة مزينة بالنقوش والصور والرخام المزخرف وفيها صور كثيرة منها صور للعذراء وعيسى عليه السلام وإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام[٤].

وكانت مساجد مدينة القدس قبل الحكم الفاطمي عامرة بحلقات التعليم والتدريس، ثم أخذت تتراجع حتى خلت من مجالس التعليم بسبب الترويج للمذهب الفاطمي الذي

(١) ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٥٦.
(٢) ناصر خسرو، سفرنامة، ص٥٥-٥٦.
(٣) ناصر خسرو، سفرنامة ص ٧٥.
(٤) ناصر خسرو، سفرنامة ص ٧٥.

رفضه أهل القدس ومعظم بلاد الشام، يقول المقدسي: " الفقيه فيها مهجور والأديب غير مشهور لا مجلس نظر ولا تدريس قد غلب عليها النصارى واليهود وخلا المسجد من الجماعات والمدارس"[١]، فتراجع التدريس على مذاهب أهل السنة بينما نشطت الجماعات الأخرى ومنها الكرامية[٢] التي كان لها خوانق ومجالس في مدينة القدس، وكان العلماء قليلون[٣].

شهدت فترة الحكم الفاطمي اهتمام معظم الخلفاء بمدينة القدس والتسامح مع أهل الذمة خاصة في عهد العزيز بالله الذي استخدم أهل الذمة في الوظائف والأعمال الحكومية على نطاق واسع، حتى شكى المسلمون من استئثارهم بالدولة دون المسلمين[٤]، وتزوج الخليفة العزيز من امرأة نصرانية وجعل أخاها بطريركاً على مدينة القدس.

وتعرضت مدينة القدس أيام الفاطميين لعدد من الكوارث الطبيعية منها هزّة أرضية سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م سقطت بسببها قبة الصخرة، وأعيد بناؤها في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م، وفي سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٤م حدث زلزال في بلاد الشام نتج عنه سقوط أجزاء من حائط بيت المقدس[٥] وتضرر المسجد الأقصى فقام الخليفة الظاهر بترميم الأسوار وإصلاح المسجد الأقصى[٦]، وفي سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م حدث زلزال في مصر وبلاد الشام فانشقت صخرة بيت المقدس[٧].

وتغيّر الحاكم بأمر الله الفاطمي على الناس ابتداءً من سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م خاصة على أهل الذمّة وأمر بهدم عدد من كنائس النصارى في مصر وبلاد الشام، وكتب إلى

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٦٧، أسماء فاعورن فلسطين، ص ٦٩.

(٢) الكرامية إحدى فرق المشبّهة وتنسب إلى محمد بن كرام، وهم يزعمون أن الله تعالى جسم (انظر: عبد الله سلوم السامرائي، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص ١٤٤-١٣٥).

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٧.

(٤) المقريزي، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٩٦م، ج١، ص٢٩٧، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص١٧٢.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم في تواريخ الملوك والأممن دار الفكر، بيروت١٩٩٥م، ج٩، ص ٢٦٤،الحنبلي، الأنس الجليل، ج١، ص٤٤٣.

(٦) انظر: زيدان كفافي وآخرن، القدس، ص ١٣٣، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص١٧٢.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ٤٧١، العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص ٤٤٣.

والي فلسطين يأمره بهدم كنيسة القيامة فهدمت [١].

وفي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م وضع السلاجقة حداً لنفوذ الفاطميين في فلسطين وتمكنوا من دخول مدينة القدس، فقد استولى عليها القائد السلجوقي أتسز الخوارزمي وأعاد الخطبة للخليفة العباسي[٢]، ثم تولى إمارتها الأراتقة ولاة للسلاجقة وأسسوا فيها الدولة الأرتقية حتى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م عندما استعادها أمير الجيوش الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي وبقيت تحت حكم الفاطميين إلى أن احتلها الصليبيون سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[٣].

الحكم الصليبي لمدينة القدس

ساءت أحوال البلاد الإسلامية في القرن ٥هـ/١١م في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع وسادت الخلافات والانقسامات بين أمراء المسلمين على السلطة مما أدى إلى ضعف الجبهة الإسلامية، مما جعل بلاد المسلمين عرضة للغزو الصليبي الذي أخذ يهددهم في عقر دارهم[٤].

وبدأت فكرة الحروب الصليبية بعد المجمع الكنسي الذي عقد في مدينة كليرمونت سنة ١٠٩٥م جنوب فرنسا برئاسة البابا أوربان الثاني[٥] عندما تحدث عن أوضاع المسيحيين في فلسطين، ودعا الناس لحمل السلاح وحاول إثارة العاطفة الدينية في أوروبا ودعاهم لنجدة إخوانهم الذين تعرّضوا للظلم والجور حسب قوله، ومستغلاً ما كانت تعاني أوروبا من ظلم الكنيسة ودعاهم للتوجه إلى أرض كنعان (فلسطين) التي تدرّ لبناً وعسلاً، ضامناً توفير الحماية لهم ولعائلاتهم وإسقاط الديون عنهم[٦].

---

(١) انظر: يحيى بن سعيد الإنطاكي، صلة تاريخ أوتيخا، جروس برس، طرابلس ١٩٩٠م، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص ٤٤٤.

(٣) العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص ٤٤٤-٤٤٥، محمد محاسنة/ حقيقة القدس، ص ١٧٣.

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٤م، ١٢٩-١٣٠.

(٥) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، عمان ١٩٩٠، ص٤٠.

(٦) محمود الرويضي، قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام ومصر، حولية كلية الآداب، جامعة المنيا ٢٠٠١م، عدد٤١، ص٥٦٩.

الحملة الصليبية الأولى:

تمخض عن دعوة البابا ونشره لفكرة غزو الشرق والسيطرة على بلاد المسلمين قيام الحملة الصليبية الأولى وتتكون من مرحلتين أو حملتين هما:

١- حملة العامّة : وتكونت من تجمعات شعبية اندفعت بناءً على العاطفة واتسمت بالرعونة والهمجية، فكانت نتيجتها الفشل.

٢- الحملة الأولى : وهي حملة منظمة تحت قيادة أمراء وشخصيات أوروبية منظمة منهم:

أ- الدوق غودفري : دوق اللورين جنوب فرنسا، وشقيقه بلدوين.

ب- الأمير بوهيمند بن روبرت جيسكارد النورماندي، وابن أخته تنكرد قائداً للجيش النورماندي من جنوب إيطاليا[١].

وعندما رأى امبراطور بيزنطة الجيوش المتدفقة من أوروبا قرر أن يستفيد منها لاستعادة سيادة الدولة البيزنطية في الشرق[٢]، ففاوض قادة الإفرنج على إعادة الأراضي التي يستولون عليها في الشرق وتكون الغنائم للإفرنج، على أن يقدم لهم المساعدة في العبور إلى آسيا وأثناء سيرهم في أراضي آسيا الصغرى[٣].

وتقدمت جيوش الفرنجة في آسيا الصغرى بعد أن سهلت لهم بيزنطة العبور فتصدت لهم قوات السلاجقة وأوقفت تقدمهم بعض الوقت لكن تزايد أعدادهم سمحت لهم بالاستيلاء على بعض المدن في آسيا الصغرى ومنها نيقية، ثم انتصروا على السلاجقة في معركة دوريليوم بالقرب من مدينة اسكي شهر وأفسح لهم المجال بعدها للتقدم باتجاه بلاد الشام[٤].

---

(١) محمد محاسنة وآخرون، تاريخ مدينة القدس، دار حنين، عمان ٢٠٠٢م، ص ١٥١.
(٢) محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص١٥١.
(٣) مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، دار الفكر، مصر ١٩٥٨م، ص١٨.
(٤) وليم الصوري، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج١، ص٢٣٣ – ٢٤١.

وتوجه بلدوين البولوني بجيش إلى الشرق نحو وادي الفرات وتمكن خلال فترة وجيزة من الاستيلاء على عدد من المدن والقلاع وأسس أول إمارة في المنطقة وهي إمارة الرها سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م، ثم توجهوا لحصار إنطاكية وقصّر الفاطميون في الدفاع عنها ولم تجد من ينقذها فدخلها الإفرنج وتمكنوا من احتلالها سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م، فكانت الإمارة الصليبية الثانية، وبدأ السلاجقة بمحاولة إنقاذ الرها وإنطاكية إلاّ أن محاولاتهم باءت بالفشل.

الاحتلال الصليبي لمدينة القدس:

استأنف الصليبيون زحفهم باتجاه البيت المقدّس وتمكنوا من الاستيلاء على بعض المدن والقلاع في طريقهم إليها نتيجة الخلافات والانقسام بين حكام المسلمين أمراء السلاجقة[١]، فاستولوا على مدن صور وصيداء وعكا ثم قصدوا حيفا وقيسارية ووصلوا أسوار القدس وعسكروا حولها في حزيران سنة ١٠٩٩م[٢].

أحكم الإفرنج الحصار على المدينة، وكان حاكم المدينة للفاطميين افتخار الدولة، واتخذ عدداً من الإجراءات الأمنية لتحصين المدينة، وقام بما يلي:

١- إخراج كل من يشك بولائه من النصارى من المدينة.

٢- تحصين أسوار المدينة وأبراجها.

٣- استدعاء سكان المناطق المجاورة للمشاركة في الدفاع عن القدس.

٤- إغداق الأموال على السكان لكسب ولائهم وردم الينابيع وصهاريج المياه خارج أسوار المدينة حتى لايستفيد منها الأعداء.

٥- مهاجمة معسكرات العدو كلما أمكن ذلك.

---

(١) محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس،ص١٥٢.

(٢) مجهول، أعمال الفرنجة، ص ١١٤.

وبدأ هجوم الفرنج على القدس في شعبان سنة ٤٩٢هـ/تموز ١٠٩٩م، وبعد يومين تمكن الصليبيون من دخول المدينة، وارتكب الفرنج أبشع المجازر ولم يفرّقوا بين الشيخ والمرأة والطفل، يقول ريمونداجيل صاحب كتاب تاريخ الفرنجة في وصف ما حصل يوم سقوط المدينة: " قطعت رؤوس بعض المسلمين، بينما اخترقت الآخرين الأسهم الموجهة من الأبراج، وعذّب آخرون لوقت طويل وأحرقوا حتى الموت في اللهب المتأجج، وتكدّست في الطرقات والبيوت الرؤوس والأيدي والأقدام، فقد كان الفرسان والرجال يجرون جيئة وذهاباً فوق الجثث...وفي معبد سليمان في الرواق خاض الصليبيون بخيولهم في الدم الذي وصل إلى ركبهم وسروج خيولهم، وامتلأت بيت المقدس بالجثث وتلطخت بالدماء"(١).

مملكة القدس اللاتينية:

اجتمع الفرنج طبقاً للتعاليم المسيحية لانتخاب ملك يدير شؤون القدس ويجمع الضرائب وحضر الاجتماع رجال الدين الذين قدموا آراءهم في المسائل الروحية، واستبعد المجتمعون فكرة إقامة حكومة دينية لما كانوا يعانونه من تسلط الكنيسة والقائمين عليها، واختاروا البطريرك أرنولف مالكورن ممثلاً روحياً كاثوليكياً، والدوق غودفري حاكماً للقدس، اعتباراً من ٢٢ تموز ١٠٩٩م ورفض أن يطلق على نفسه لقب ملك، واكتفى بلقب " حامي القبر المقدس"وكان هذا أول التنظيمات التي أقرها في القدس.

وعيّن غودفري الكهنة في الكنائس وأقطعها منازل فخمة بالقرب من كنائسهم كما اهتم بشؤون الكنائس فمنحها الهبات وقدّم لها الأموال(٢)، ورتّب أمور دولته كما يلي :

١- الاعتماد على مجموعة من الأمـراء الذين استقروا في القدس، حيث منحهم الإقطاعيات والضياع لضمان بقائهم إلى جانبه.

---

(١) انظر: ريموناجيل، تاريخ الفرنجة، ص ٢٤٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٩-٢٠.
(٢) وليم الصوري، الأعمال المنجزة، ج١، ص ٤٥٠.

٢- مواجهة القوات الفاطمية في عسقلان والانتصار عليهم وغنم منهم.

٣- عبر بقواته نهر الأردن فهاجمها وسلب قطعان الماشية وأخذ عدداً من الأسرى[١].

٤- سعى لتوسيع حدود مملكة بيت المقدس لدعمه اقتصادياً وأمنياً.

٥- حاول ربط مدينة بيت المقدس بالمدن الساحلية مثل أرسوف لضمان اتصاله بالغرب الأوروبي، وتوفير موانئ تمدّه بالموارد الاقتصادية والاحتياجات العسكرية.

٦- تأمين الإمدادات الخارجية فناشد الأمراء العائدين إلى الغرب لإمداده بالفرسان.

٧- عزل بطريرك القدس أرنولف وعين مكانه دايمبرت رئيس أساقفة بيزا من أجل الحصول على دعم المدن الإيطالية التي تملك الأساطيل البحرية.

وكان حكم غودفري القدس قصيراً حيث مرض في الشهر الذي غزا به أراضي الأردن وتوفي سنة ١١٠٠م، وبذلك مهّد لاستقرار الوضع في مدينة القدس وهيّأ لقيام مملكة القدس الصليبية وتنظيمها وسيادتها على الإمارات الصليبية .

تطلع الصليبيون بعد موته إلى شقيقه بلدوين البولوني أمير الرها وقاموا باستدعائه لاعتلاء عرش القدس، فأقطع الرها لابن عمه بلدوين دي بورغ وتوجه إلى القدس فاستقبله الصليبيون استقبالاً حافلاً، واتفق الصليبيون أن يستقل في الحكم عن السلطة الدينية، فأعلن نفسه ملكاً مستقلاً لايتبع لا لبطريرك القدس ولا للبابا وأعلن نفسه ملكاً سنة ١١٠٠م برضى سكان القدس الصليبيين[٢]، فكان مؤسس مملكة بيت المقدس وأول ملوكها.

وتمكن بلدوين الأول من تحقيق عدد من المنجزات في بيت المقدس منها:

١- إفشال جميع الحملات الفاطمية وحملات السلاجقة في زمنه على بيت المقدس.

---

(١) وليم الصوري، الأعمال المنجزة، ج١، ص ٤٥٠، محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص ١٥٧.

(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ بيت المقدس، ص١٠٣-١٠٧.

٢- احتلال الكثير من المدن الساحلية وبسط سيادته عليها مثل عكا وقيسارية وأرسوف.

٣- بناء الكثير من القلاع والحصون في جنوب وغرب مملكة بيت المقدس.

٤- مد نفوذه شمالاً إلى جبل عوف (جبل عجلون)[١].

٥- السيطرة على عدد من المناطق الاستراتيجية في الأردن، فاستولى على الشوبك سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م ورمم قلعتها وأطلق عليها اسم (مونتريال أو القلعة الملوكية)، ثم سيطر في العام التالي على أيلة (العقبة) وأنشأ فيها قلعة بحرية هي قلعة فرعون وأخرى برية شحنها بالرجال، كما سيطر على وادي موسى وأقام فيها قلعة حصينة.

كان هدف الصليبين من ذلك منع الاتحاد مع مصر لخطورته على وجودهم والتحكم بالمناطق الاستراتيجية والطرق التجارية ومنع هجمات القبائل البدوية عليهم[٢].

٦- قام بغزو مصر سنة ٥١٢هـ/١١١٨م بهدف توسيع المملكة ولكن محاولته باءت بالفشل فقد توفي خلال الحملة في عريش مصر[٣].

وكان سبب توسع بلدوين هو ضعف الجبهة الإسلامية وعدم ترابطها والانقسامات بين أمراء المسلمين.

عقد بلدوين الأول اتفاقيات عسكرية مع الأساطيل المدن الإيطالية للاستفادة منها في السيطرة على المدن الساحلية والداخلية مقابل منحها امتيازات تمثلت بحصولهم على ثلث واردات الموانيء أو المدن التي يتم الاستيلاء عليها، والحصول على كنائس خاصّة فيها، فساهمت هذه الأساطيل في تثبيت أركان مملكة بيت المقدس[٤].

٧- شجع الهجرة إلى القدس وفرض التهجير على سكان المدن بارتكاب المجازر، وهجّر

---

(١) وليم الصوري، الأعمال المنجزة، ج١، ص ٥٦٧، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م، ج٢، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق،ترجمة سهيل زكار، دار حسان ١٩٨٣م، ص ١٧٤.

(٣) وليم الصوري، الأعمال المنجزة، ج١، ص ٥٥٩-٥٦٠، فوشيه الشارتري، تاريخ بيت المقدس، ص ١١٠.

(٤) فوشيه الشارتري، تاريخ بيت المقدس، ص ١١٣.

نصارى عمان والسلط والبلقاء إلى القدس وأسكنهم في حي سماه حي المشارقة[1].

وتوفي بلدوين الأول سنة ١١١٨م فتولى مملكة القدس ابن عمه الكونت بلدوين دي بورغ، وعرف باسم بلدوين الثاني، وسار على سياسة سلفه من خلال:

١- رفع المستوى الاجتماعي لسكان المملكة وتوفير المواد الغذائية اللازمة بتشجيع التجارة والزراعة، وأسقط الرسوم المفروضة على الحبوب والخضروات [2].

٢- منح كونتية الرها لجوسلين كورتناي أحد أقاربه واشترط عليه التبعية والولاء له.

١- سمح بتأسيس طوائف دينية عسكرية كالإسبتارية[3]، والداوية[4] تحولت إلى فرق فرسان عسكرية ومتعصّبة.

٢- أبرم اتفاقيات عسكرية مع أساطيل المدن الإيطالية للمحافظة على استقرار القدس.

٣- سعى لجعل الحكم وراثياً في مملكة بيت المقدس اللاتينية، فقد ناشد ملك فرنسا لويس الثاني بترشيح أحد الأمراء المتميزين في فرنسا ليتولى عرش مملكة بيت المقدس اللاتينية، فرشح الأمير فولك الأنجوي، وعند وصوله إلى القدس تمّ عقد قرانه وزواجه من الأميرة ميليسندا (ميليسنت) إحدى بنات الملك بلدوين الثاني وبذلك ضمن أن يكون الحكم وراثياً[5].

---

(١) محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص ١٦٠.

(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ بيت المقدس، ص ١٨٩، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٢٤٨.

(٣) الاسبتارية (فرسان القديس يوحنا): وهي فرقة فرسان تاسست على يد مجموعة من التجار في أمالفي سنة ١٠٧٠م، ثم أسسوا نزلاً في القدس بهدف تقديم خدمات دينية واجتماعية للحجاج المسيحيين القادمين إلى القدس في التمريض والطب ومساعدة الفقراء، ثم تطورت وقامت سنة ١١١٨م بتأسيس فرقة فرسان تهدف لمحاربة المسلمين، وأصبحت فرقة متعصبة بدرجة كبيرة جداً.

(٤) الداوية (فرسان المعبد): فرقة فرسان تأسست سنة ١١١٨م على يد الفرنسي هيو بانيز الذي أقنع الملك بلدوين الأول أن يسمح له بتأسيس طائفة دينية على شاكلة الاسبتارية وأن يمنحهم جناحاً خاصاً في المسجد الأقصى المبارك للإقامة فيه، لهذا عرفوا باسم فرسان المعبد، وانضم إليها عدد من رجال الدين والنبلاء والفرسان وحولوا المسجد الأقصى إلى منامات ومخازن للأسلحة وجعلوا الطابق السفلي من المسجد إسطبلاً لخيولهم، وكان شعارهم الصليب الأحمر، وتعصّبوا أكثر من الاسبتارية.

(٥) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٨٣-٢٨٤، محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص ١٦١.

وتسلم فولك أنجوي الحكم بعد وفاة الملك بلدوين الثاني وتم تتويجه في كنيسة القيامة في أيلول ١١٣١م، وكانت الإمارات الصليبية في هذه الفترة تعاني من مشكلات داخلية وخارجية، فقد توفي جوسلين كورتناي وقتل الأمير بوهيمند أمير إنطاكية فصار على الملك الجديد أن يتحمل مسؤولية الإمارتين، كما أن الإمارات أصبحت تعاني أمام تزايد نشاط الجهاد الإسلامي ضد الإفرنج وظهور عماد الدين زنكي.

ولحماية مملكة القدس شيّد فولك أنجوي عدداً من القلاع والحصون للحد من هجمات المسلمين واستكمل التحصينات حول مدينة القدس فعمل على تحقيق الأمن والاستقرار النسبي، ثم قام بتوسيع حدوده إلى شرق الأردن فاستولى على قلعة الكرك وأعاد تجديد بنائها وتحصينها ونقل إليها مركز البارونية من الشوبك[١].

وكانت علاقة فولك أنجوي وزوجته ميليسندا علاقة وثيقة، حيث كانت الملكة ميليسندا كلما زاد بها العمر شغوفة بأعمال البر حسب تصوّرها، فأنشأت عدداً من الأديرة وحثّت زوجها على منح كنيسة القيامة هبات كثيرة من الأراضي والاهتمام بالمؤسسات الدينية.

كانت وفاة فولك أنجوي سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م مفاجأة فدخلت مملكة بيت المقدس في عدد من الاضطرابات، فقد كان ابنه بلدوين الثالث صغيراً فاعتلى العرش تحت وصاية أمه ميلسندا، فكان تأثيرها واضحاً عليه في بداية حكمه.

اتبع بلدوين الثالث سياسة توسعية شبيهة بسياسة أبيه فولك:

١- قام بلدوين بحملة على الأردن لاسترداد قلعة وادي موسى التي خرجت عن سيطرة الصليبيين، وتفقد أحوال قلعة مونتريال ثم قصد وادي موسى لكنه فشل في الاستيلاء عليها، فلجأ إلى قطع أشجار الزيتون التي تغطي المنطقة وهي مصدر عيش السكان فأجبر حامية القلعة على الاستسلام[٢]، وأعاد شحن القلعة بالرجال والسلاح فكان هذا أول عمل يحققه بلدوين الثالث.

---

(١) وليم الصوري، الأعمال المنجزة، ج٢، ص ٧٠٢-٧٠٤.

(٢) وليم الصوري، الأعمال المنجزة، ج٢، ص٧٤١.

٢- أقرّ سياسة والده في التحالف مع حكام المسلمين لتجنب المخاطر التي تتعرض لها بيت المقدس خاصة مع قيام حركة الجهاد الإسلامي بقيادة عماد الدين زنكي.

وفي عهد بلدوين الثالث نشطت حركة الجهاد الإسلامي بقيادة عماد عماد الدين الذي تمكن من تحقيق عدد من الانتصارات في شمال بلاد الشام وتمكن من استعادة الرها سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م، وكانت تقف حاجزاً أمام الوحدة بين الموصل وحلب[١].

أثار سقوط الرها قلق الروم ومخاوفهم من الشرق فأضعف الروح المعنوية عندهم، الأمر الذي دفع الملكة ميلسندا أن تبعث رسلاً إلى البابا تخبره بسقوط الرها وتطلب منه إرسال حملة صليبية لاستعادتها[٢].

استجابت البابوية لنداء الملكة وأرسلت حملة صليبية جديدة هي الحملة الثانية سنة ١١٤٧-١١٤٩م لاسترداد الرها ولكنها تحولت صوب دمشق فمنيت الحملة بالفشل وعادت خاسرة إلى أوروبا.

أراد بلدوين الثالث أن يعوض عن خسارة هذه الحملة فتوجه إلى عسقلان وتمكن من احتلالها من الفاطميين سنة ١١٥٣م وكانت آخر معاقلهم على الساحل الفلسطيني.

وفي الجانب الإسلامي تسلم نور الدين مهمة الجهاد الإسلامي بعد مقتل والده عماد الدين زنكي سنة ١١٤٦م، وسار على سياسة والده في توحيد الجبهة الإسلامية وتمكن سنة ٥٧٩هـ/١١٥٤م من ضم دمشق إلى الدولة النورية وأصبحت ممتلكاته تمتد من الرها والجزيرة الفراتية شمالاً إلى شرق الأردن جنوباً وصار يشكل خطورة على مملكة بيت المقدس[٣].

توفي بلدوين الثالث سنة ١١٦٣م فورث مملكة القدس شقيقه عموري الذي فكر بالسيطرة على أملاك الدولة الفاطمية[٤]، فاستغل الضعف الذي أصاب الدولة

---

(١) انظر: محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص ١٦٣.

(٢) وليم الصوري، الأعمال المنجزة، ج٢، ص٧٥٨.

(٣) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجليل، بيروت، ج١، ص ٣٠١-٣٠٣.

(٤) وليم الصوري، الأعمال المنجزة، ج١١١٢ن ص٨٧٨، محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص ١٦٥.

الفاطمية بسبب الصراع على السلطة بين الوزراء شاور وضرغام .

أرسل عموري ثلاث حملات عسكرية إلى مصر كانت إحداها بدعوة من القوى المتصارعة عند الفاطميين، ولكنها جميعاً باءت بالفشل، حيث تنبه نور الدين زنكي لذلك فأرسل قوة إسلامية بقيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، وتمكنت قوات المسلمين من إفشال مخطط الصليبيين في السيطرة على مصر وسيطرت الدولة النورية عليها بدلاً من الصليبيين، إلاّ أن الأجل لم يمهل نور الدين حيث توفي رحمه الله سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م(١).

حاول عموري بعد وفاة نور الدين السيطرة على مدينة بانياس إلاّ أنه فشل فشلاً ذريعاً، لأن وفاة نور الدين لم تكن نهاية أعمال الجهاد، فقد قيّض الله القائد صلاح الدين الأيوبي ليتولى حركة الجهاد الإسلامي في مصر وبلاد الشام ضد الإفرنج(٢).

توفي الملك عموري فبدأ عهداً جديداً تميز بالخلاف بين المتنافسين من أمراء الصليبيين على عرش القدس، وتولى حكم بيت المقدس بلدوين الرابع ١١٧٣- ١١٨٥م وكان صغيراً عمره لايتجاوز ١٣ سنة(٣) فظهر في عهده حزبين :

١- الأول: حزب الحمائم المتساهلين الذين أدركوا ضعف القوى الصليبية فدعوا إلى التفاهم مع المسلمين وعقد معاهدات السلام معهم(٤).

٢- الثاني : ويتألف من الأوروبيين الوافدين حديثاً وانضم إليهم فرسان الداوية، وكانوا متعصبين جداً واتسموا بالنزعة العدوانية والكره الشديد للمسلمين، وتزعم هذا الحزب البرنس أرناط أمير الكرك.

أدرك بلدوين ما يدور حوله من دسائس ومؤامرات فسعى لحفظ التوازن بين

---

(١) انظر: ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج٩، ص ١٢٤- ١٢٦، أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٤٠٣-٤١٤، ج٢، ص ٣٠٥- ٣٢٠.

(٢) وليم الصوري، الأعمال المنجزة، ج٢، ص ٩٦٩- ٩٧٠، أبو شامة، الروضتين،ج٢، ص٣٢٢.

(٣) وليم الصوري، الأعمال المنجزة، ج٢، ص٩٧١-٩٧٣ .

(٤) محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص ١٦٦.

الحزبين المتنازعين وإبرام المعاهدات مع المسلمين ليتجنب خوض المعارك الفاصلة مع المسلمين[1].

عيّن بلدوين الرابع ابن أخته الصغير بلدوين الخامس خليفة له على عرش القدس وبموافقة مجلس البارونات وتحت وصاية ريموند كونت طرابلس، غير أن الطفل توفي بعد عام واحد من تولّيه العرش فدخلت مملكة القدس في دوامة الصراعات وانتهى الأمر بتولي الملك جاي لوز جنان سنة ١١٨٦-١١٩٢م عرش المملكة اللاتينية، ولم تنته الصراعات على عرش القدس إلاّ بتحرير صلاح الدين لمدينة القدس من أيدي الصليبيين سنة٥٨٣هـم١١٨٧م[2].

العهد الأيوبي:

أ- استعدادات صلاح الدين ومعركة حطين

بعد وفاة نور الدين زنكي الذي قضى حياته في مواجهة الأخطار الصليبية، تابع صلاح الدين الأيوبي سياسته لإتمام الوحدة الإسلامية التي تسهل الوقوف أمام خطر الإفرنج،فأتمّ مشروع الوحدة بين مصر وبلاد الشام، وقام بعدةّ أعمال وضع فيها حداً لإعتداءات الصليبين على البلاد الإسلامية .

وكان أكثر الصليبين شدّة على المسلمين الملعون (البرنس أرناط) أمير الكرك والمعروف بـ (رينالد دي شاتيلون)[3]، وكانت إمارته تابعه لملكة بيت المقدس اللاتينية، حيث لعب دور اللّص قاطع الطريق، باعتدائه على قوافل الحج والتجارة المتجهه إلى الديار المقدسة الحجازية، ومحاولته غزو الحجاز .

---

(١) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٦٥٣، ٦٧٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٨٢-١٨٤، محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص ١٦٦-١٦٧.

(٣) هو أحد فرسان الإفرنج عرفة العرب بإسم أرناط، تزوج من كونستانس أميرة إنطاكية،ثم أستطاع السيطرة على قلعتي الكرك والشوبك،وقطع الطريق على التجار والحجاج بين الحجاز من جهه ومصر والشام من جهه أخرى (انظر: وليم الصوري، الأعمال المنجزة ج١ص٦١، ج٢ص٨١٤).

ففي سنه ٥٧٨هـ/١١٨٢م أقدم البرنس أرناط على القيام بمشروع يستهدف طعن الإسلام والمسلمين بغزو الديار المقدسة[١]، وتدنيس الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وربما توهم أرناط أنه قادر على تحقيق هذا المشروع وبناء أمجاد تؤهله أن يصبح سيد أمراء الفرنج في المشرق واعتلاء عرش الممالك الإفرنجية في بلاد المسلمين، واحتكار تجارة الشرق الأقصى إذا نجح بغزو الحجاز[٢].

وبدأ أرناط مشروعة بالتوجه إلى أيلة على البحر الأحمر وحمل معه سفناً بحريةً صنعها في إمارته وحملها على الدواب قطعاً مفككة ثم ركبّها في البحر، وزوّدها بالرجال وآلات القتال اللازمة، فسيطر على قلعة العقبة[٣]، والتي عرفت باسم (جزيرة فرعون) ليضمن الاتصال بإمارته ولتساعده في حماية المنطقة.

أبحرت الحملة الفرنجية عبر البحر الأحمر وأغارت على ميناء عيذاب المصري المواجه لمدينه جدة على ساحل البحر الأحمر، وقام الفرنج بنهب مجموعة من السفن التجارية القادمة من اليمن والهند، واعتدوا على مراكب الحجاج،ثم توجهوا إلى الساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى الحجاز حتى وصلوا منطقة الحوراء على مسيرة يوم واحد من المدينة المنورة[٤].

أثارت أعمال أرناط المسلمين فتنادوا لوقف الخطر الذي يستهدف قبلتهم ومكان حجهم، فأسرع العادل أخو صلاح الدين إلى إعداد أسطول قوي تولى قيادته حسام الدين لؤلؤ متولي الأسطول الإسلامي في مصر، وقصد أيلة أولاً ليقطع اتصال أرناط بإمارته، وظفر حسام الدين لؤلؤ بمراكب الإفرنج فحرقها وأسر من فيها[٥]، ثم تعقب

---

(١) أبو شامة، أبو شامة الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجليل، بيروت، ج٢ص٣٥.

(٢) محمد محاسنة، معركة حطين/ المجلة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، العدد٢٦/ ١٩٩٤م، ص ١٥٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٥٩، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٦م،ج١ قسم١ص٧٨ .

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب عن أخبار دولة ابي ايوب، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٧م، ج٢ص١٢٧، ابو شامة، الروضتين،ج٢ص٣٧.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢ص١٣٠.

السفن الفرنجية إلى عيذاب وسواحل الحجاز وفاجأهم في الحوراء ودمّر أكثر سفنهم، فهرب من فيها ولاذوا بالجبال طلباً للنجاة، ثم استخدم حسام الدين ورجاله خيولاً أخذوها من العربان وطاردوا بها المنهزمين في الجبال حتى أسروهم، وبعثوا بهم إلى مدينة القاهرة .

ساءت الأوضاع الداخلية في مملكة بيت المقدس بعد وفاة بلدوين الخامس في عكا سنه ٥٨٢هـ/١١٨٦م، بسبب الصراع على السلطة، فأسرعت أمه سبيلا لإعلان نفسها ملكة على بيت المقدس بتأييد من زوجها (جاي لوز جنان) وأرناط أمير الكرك وهرقل بطريرك مدينة القدس، وتم تتويج سبيلا وجاي لوزجنان ملكين[١] بمساعدة فرسان الداوية، وقدم أمراء الصليبين إلى بيت المقدس لإعلان الولاء والطاعة للملكة الجديدة بإستثناء ريموند أمير طرابلس وبوهيمند أمير إنطاكية .

حاول ريموند التقرب من صلاح الدين وطلب معونته، ثم حذا حذوه بوهيمند فجدّد الهدنه المعقودة بينه وبين صلاح الدين، أما مملكة بيت المقدس فاضطربت أمورها الداخلية، وتجرأ أمير الكرك على مخالفة أوامر الملك .

وكان أرناط بعد فشل حملته على الحجاز عقد صلاح الدين معه هدنة، لتأمين طرق الحج والقوافل بين مصر والشام والحجاز عبر الصحراء الأردنية [٢].

وفي سنه٥٨٢هـ/١١٨٧م، ورغم الهدنه بين المسلمين والإفرنج إلاّ أن أرناط المشهور بالغدر والخيانة قام بالاعتداء على قافلة تجارية كانت متجهه من القاهرة إلى دمشق ونهب مافيها من مال وسلاح، وأخذ رجالها أسرى إلى حصن الكرك وعاملهم بمنتهى الوحشية والقسوة[٣].

أرسل صلاح الدين إلى أرناط يطلب منه إطلاق سراح الأسرى وردّ الأموال التي سلبها من القافلة،وهددة بسوء العاقبة إذا رفض ذلك، فأبى أرناط وأساء في ردّه على

(١) العماد الكاتب، الفتح القِسّي في الفتح القدسي، ص٨٦.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢ص١٨٥ ، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢ص٧٩٧.

(٣) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩ص١٧٤.

رسول صلاح الدين عندما قال للتجار المأسورين : "قولوا لمحمد يخلّصكم"[١].

أغضب هذا الرد صلاح الدين، فطلب إلى ملك بيت المقدس التدخل لإطلاق الأسرى ورد المنهوبات، لكن أرناط أعرض وأستخفّ بملك بيت المقدس، عندها صمم صلاح الدين على محاربته لتأديبه، ونذر أن يقتله إن ظفر به[٢].

بدأ صلاح الدين يعدّ للقيام بعمل عسكري، وأعلن التعبئة العامه في أرجاء المملكة الإسلامية التابعة له، واستنفر المسلمين للجهاد، فكتب إلى الجزيرة الفراتية والموصل ومصر وجميع ولايات الشام الإسلامية يحثهم على الجهاد[٣]، فتوافدت إليه جموع المسلمين من كل حدب وصوب .

أكمل صلاح الدين استعداداته وخرج من دمشق في محرم ٥٨٣هـ/آذار ١١٨٧م على رأس جيش كبير اتجه به جنوباً حتى وصل منطقة إلى الشمال الغربي من حوران تعرف برأس الماء، فقلد ابنه الأفضل قيادة القوات الإسلامية، وأمرة بالبقاء هناك لتجتمع إليه باقي الإمدادات الإسلامية، بينما توجه هو إلى بصرى، وخيم انتظاراً لعودة الحجاج الذين خشي عليهم غدر أرناط[٤].

قام السلطان صلاح الدين بإرسال حملات استطلاعية عبر الصحراء الأردنية لإرهاب أرناط دون أن يصطدم به، ليضمن عدم اعتدائه على قوافل الحجاج، وما أن اطمأن السلطان على سلامة وصول القوافل حتى شرع في مهاجمة الكرك، وسار إليها في (١٢) ألفاً من جنده الشجعان، فانتشروا في أراضي الكرك يحرقون ويخربون وأرناط محصور في قلعة الكرك لا يستطيع أن يرد بشيء[٥].

ووصل جيش مصري وانضم إلى صلاح الدين، فوزّع جيشة إلى قسمين : أحدهما

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢ص١٩٤، ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص١٣٦.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩ص١٧٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢ص١٨٥.
(٣) العماد الكاتب، الفتح القسي، ص٥٨، ابن الأثير، الكامل، ج٩ص١٧٥.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٩ص١٧٥، ابن اكثير، البداية والنهاية، ج١٢ص٣٤١.
(٥) العماد الكاتب، الفتح القِسّي، ص٦١-٦٢، أبو شامه، الروضتين، ج٢ص٧٥.

يحاصر قلعة الكرك، والآخر وجّهه لمحاصرة قلعة الشوبك، واستمر حصار الكرك شهرين دون نتيجة.

كلف السلطان ابنه الأفضل لتوجيه حملة عسكرية إلى عكا[1]، فاختار الأفضل لهذه الحملة كلاً من ظفرالدين كوكبري ابن صاحب الرها، وصارم الدين قايماز النجمي أمير جيش دمشق، وبدر الدين الياروقي أمير جيش حلب، وقام جيش المسلمين باجتياز الجليل باتجاه عكا، فالتقى بهم مقدم الداويه (جيرار ريدفورت) قرب صفورية وتعرّض للهزيمة وقتل أمام المسلمين[2]، وبذلك ارتفعت معنويات المسلمين .

ولما أحس الفرنج بالخطر قاموا باسترضاء ريموند، وأخذت جيوشم بالاستعداد لمواجهة المسلمين واتخذوا منطقة صفورية مكاناً لتجمعهم، وبدأت حشودهم تصل إلى هناك ومعهم صليب الصلبوت[3].

وترك صلاح الدين حصار الكرك، وتوجه إلى طبرية حيث الجيوش الإسلامية، ووصلته الأخبار بنقض ريموند لعهده مع المسلمين والانضمام إلى الفرنج، وجمع صلاح الدين أمراء المسلمين وقادتهم ليستشيرهم في الأمر، فأجمعوا على مواجهه الفرنج[4]، فأصبح لزاماً عليهم وضع تخطيط مناسب، ليتمكنوا من كسب المعركة، لأن التخطيط أساس النجاح والنصر .

اتَّبع صلاح الدين استراتيجية عسكرية قصد منها سحب الفرنج إلى المكان الذي يريده ليواجههم هناك، واقتحم المدينه وأحرقها باستثناء قلعتها التي عجز المسلمون من الاستيلاء عليها، وقد احتمت بها (أشيفا) أميرة طرابلس وزوجة ريموند الثالث[5].

(1) lane-poole, saladinend the fall of the king dome of Jerusalem, Beirut 1964, p203.

(٢) العماد الكاتب، الفتح القسي،ص٦٣، ابن الأثير، الكامل، ج٩ص١٧٦.

(٣) هو صليب مرصع بالجواهر واليواقيت في غلاف من الذهب يزعمون أن فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام، ويحملونه معهم رمزاً للنصر (انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٧٨، أبو شامه، الروضتين، ج٢، ص٧٨، يوسف غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، عمان ١٩٨٠م، ص)١٥٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٩، ص١٧٦-١٧٧.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٧٧، أبو شامة، الروضتين، ج٢ص٧٦.

أثار هجوم صلاح الدين على طبرية أمراء الفرنج وقادتهم، فعقدوا مجلساً للحرب في عكا لبحث الموقف، وانقسم المجتمعون بين من يريد الزحف إلى طبرية، ومن يريد البقاء في عكا حتى يأتيهم المسلمون تخوفّا من صعوبة الطريق وخطورتها، وعلى رأس هؤلاء ريموند الثالث صاحب طبرية، فقد أدرك خطورة الزحف إلى المسلمين، وخوّف الفرنج من ترك صفوريا، فوصفه بعضهم بالجبن ومواطأة المسلمين [1].

وأخيراً استقرّ رأي الفرنج على المسير إلى المسلمين، فتوجهوا صوب طبرية في ظروف قاسية من شدة الحر وصعوبة الطريق[2]، وبهذا نجحت استراتيجة صلاح الدين في جر الفرنج باتجاه المسلمين ليعانوا مشقات السفر والتعب، في وقت كان فيه المسلمون ينعمون بالراحة والاستعداد للقتال.

لجأ صلاح الدين إلى استراتيجية أخرى لكسب المعركة تقضي بحرمان الفرنج من الوصول إلى الماء،فترك حصار قلعة طبرية ونزل بجيش المسلمين على الماء إلى الغرب من طبرية عند قرية حطين[3].

وصل الصليبيون إلى حطين في ربيع الثاني ٥٨٣هـ/تموز ١١٨٧م وعسكروا على هضبة تعرف بقرون حطين، وحال صلاح الدين وجيش المسلمين بين الفرنج وبين الماء في طبرية التي صارت خلف المسلمين،وكان الحرّ شديداً والعطش قد أخذ منهم كل مأخذ، مع مشقات السفر من عكا إلى طبرية.

أمضى الصليبيون ليلة قاسية من شدّة العطش والتعب، بينما كان المسلمون يكبّرون ويهلّلون، ولكي يمسك صلاح الدين بزمام المبادرة أمر جيوش المسلمين أن تتخذ من الليل ستاراً للإحاطة بالصليبين من كل جانب[4].

وبدأت المعركة في صبيحة اليوم التالي يوم السبت ٢٥ربيع الثاني٥٨٣هـ/٤تموز

---

(١) محمد محاسنة، معركة حطين/ المجلة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ص١٦١-١٦٢ .

(٢) العماد الكاتب، الفتح القسي، ص٧٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٧٧.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآه الزمان، ج٨، ص٣٩٣.

(٤) العماد الكاتب، الفتح القسي،ص٧٩-٨٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩ص١٧٨.

١١٨٧م، وهجم المسلمون على عدوّهم كالأسود وقاتلوا قتال الأبطال، ورموا عدوهم بالسهام، وانهزمت طائفة من الفرنج فلحق بهم جمع من المسلمين وطاردوهم حتى لم يبق منهم أحد، وقام المسلمون بإشعال النار في الهشيم، فاجتمع على الصليبين حر الشمس وحرّ النار[١] والتعب الشديد، وقوة المسلمين .

واستمر الحال على ذلك حتى كان الفرنج يستسلمون للمسلمين فرادى وجماعات، واستولى المسلمون على صليبهم الأكبر (صليب الصلبوت)[٢]، فكان ذلك اليوم من أيام المسلمين الخالدة، وصفه المؤرخون وأسهبوا في وصفه، وذكره الشعراء في قصائدهم، يقول العماد الكاتب: (فرجا الفرنج فرجاً، وطلب طلبهم المحرج مخرجا، فكلما خرجوا جرحوا، وبرح بهم حرّ الحرب فما برحوا، وحملوا وهم ظماء ومالهم سوى ما بأيديهم من ماء الفرند ماء، فشوتهم نار السهام وأشوتهم، وصممت عليهم قلوب القسى القاسية وأصمتهم، وأعجزوا وأزعجوا، وأحرجوا وأخرجوا، وكلما حملوا رُدّوا وأردوا، وكلما ساروا وشَدّوا أُسِروا وشُدُّوا...)[٣].

وأسر المسلمون عدداً كبيراً من الفرنج كان فيه زعماؤهم؛ ملك بيت المقدس جاي لوزجنان، وأرناط الملعون أمير الكرك، وابن الهنفري سيد تبنين، وابن صاحب طبرية، وصاحب جيبيل.

واستقبلهم صلاح الدين استقبالاً حسناً، وأجلس ملك بيت المقدس إلى جانبة وقد أضناه العطش، وقدّم إليه ماءً مثلجاً (بارداً)، فشرب منه وأعطى ماتبقى لأرناط وشرب، فغضب صلاح الدين وقال: (إن هذا الملعون لم يشرب الماء بإذني فينال أماني)، ثم التفت إلى أرناط وأخذ يذكره بجرائمة وغدره بالمسلمين وقتلهم دون ذنب، ثم قتلة وفاءً بنذرة[٤].

---

(١) ابن الأثير، الكامل،ج٩ص١٧٨، ابو شامة، الروضتين،ج٢ص٧٧.

(٢) العماد الكاتب:الفتح القسي،ص٨٤،المقريزي :السلوك،ج١قسم١ ص٩٣.

(٣) العماد الكاتب:الفتح القسي،ص٧٨-٧٩.

(٤) العماد الكاتب، الفتح القسي، ص٨١، سبط ابن الجوزي، مرآه الزمان،ج٨ص٣٩٤.

أما الأسرى الآخرين فقد هدّأ السلطان من روعهم، وأمر برعايتهم عدا مقدمي الاسبتارية والداوية الذين استاء من تصرفاتهم وأعمالهم مع المسلمين فأمر بقتلهم[1].

وكان صدى هذا الانتصار عظيماً في بلاد المسلمين، فقد أقاموا الاحتفالات بهذا النصر، وأخذوا يتطلعون بشوق إلى تحرير بقية البلاد الإسلامية من يد الفرنج، فنظم الفاضل بن الفضل الجليّاني قصيدة لمعركة حطين يقول فيها:

يا وقعة التل ما أبقيت من عجب

جحافل لم يفُت من جمعها بشرُ

ويا ضحى السبت ما للقوم قد سبقوا

تهوّدوا أم بكأس الطعن قد سَكِروا

حطوا بحطين ملاكاً فيا عجباً

في ساعة زال ذاك الملك والقدرُ

أهوى عليهم صلاح الدين مفترساً

وهو الغضنفر أعدى ظُفره الظفر

وأنجز الله للسلطان موعده

ونُذْرَه في كَفورٍ دينه البطر

وعاين المَلِكَ الإبرنس في دمه

فمات حياً وحيّى وهو يعتذرُ

إزاءه زعماء الساحلين معاً

مُصفّدين بحبل القهر قد أُسروا

(١) أبوشامة، الروضتين، ج٢ ص١١٦ -١١٧ .

مالي أرى ملك الإفرنج في قفصٍ

أين القواضب والعسالة السُّمرُ؟

والاسبتار إلى الديوية التأموا

كأنهم سدّ يأجوج إذا اشتجروا

يتلوهم صلبوتٌ سيق منتكساً

وحوله كل قسيس له دُبَر

وقال العماد الكاتب قصيدة منها[1]:

يا يوم حطين والأبطال عابسة

وبالعجاجة وجه الشمس قد عبسا

رأيت فيه عظيم الكفر محتقراً

معفراً خدّه والأنف قد تَعِسا

ياطُهر سيف برى رأس البرنس فقد

أصاب أعظم من بالشرك قد نجسا

وغاص إذ طار ذاك الرأس في دمه

كأنه ضفدع في الماء قد غطسا

ما زال يعطس مزكوماً بغدرته

والقتل تشميت من بالغدر قد عطسا

---

(١) أبو شامة، الروضتين، ج٢ ص٨٣.

أفــــاهـم قـــتـلـــهـم والأســــر فـانـتــكـسـوا

وبـيــت كُـفــرهــم مــن خُـبـثـهــم كـنـسـا

ب- تحرير المدينة المقدسة

كان أهم ما يشغل صلاح الدين بعد معركة حطين هو تحرير مدينة القدس،التي طال انتظار المسلمين لعودتها وتطهيرها من ضلالات الشرك والإفك، إلاّ أنه كان لا بد له قبل ذلك أن يقوم بتطهير بعض المناطق الحصينه التي تجعل وجهته إلى مدينه القدس أكثر سهوله و أمناً لجيشه، فمهد لذلك بالاستيلاء على عكا وحيفا ونابلس ويافا وصيدا وبيروت وجبيل والرملة وعسقلان وسائر المدن التابعة لبيت المقدس[1].

كانت آخر المعاقل التي فتحها السلطان قبل التوجه إلى القدس هي عسقلان التي كانت على طريق مصر، وحررها في جمادي الأخرة ٥٨٣هـ/أيلول ١١٨٧م، وطلب إلى هناك وفداً من الفرنج لمفاوضته في تسليم المدينة المقدسة بالأمان، ولما رفض الوفد بحث الأمر قرر الاستيلاء عليها بالقوة[2].

أعدّ صلاح الدين لفتح المدينه بإرسال الأسطول المصري ليبحر بقيادة حسام الدين لؤلؤ إلى الساحل الشرقي للبحر المتوسط لرد أي سفينة تابعة للصليبين[3]. وتقدم هو بالجيش الإسلامي يرافقة الملك العادل، وابنه العزيز عثمان الذي انضم إليه بعد فتح عسقلان، وكان الفرنج قد استعدوا في المدينة ونصبوا المجانيق فوق أسوارها، وفرقوا على كل برج من الأبراج فريقاً من الجند[4]، المجهزين المدربين على القتال، وكان في المدينه (بلدوين الاليني) صاحب الرملة وطرابلس، وبطريق بيت المقدس ومقدمي الداوية والاسبتارية مع (٦٠) ألف مقاتل.

---

(١) أبو شامة، الروضتين،ج٢، ص٨٩،٩١، باركر، الحروب الصليبية، ص١٨٢-١٨٣.

(٢) مصطفى،الحياري، صلاح الدين القائد وعصره، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م، ص٣٢٠-٣٢١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٩ص١٨٢.

(٤) مصطفى الحياري، صلاح الدين، ص٣٢١-٣٢٢ .

وصل صلاح الدين إلى مدينه القدس في رجب ٥٨٣هـ/أيلول ١١٨٧م، وأخذ مواقعه خارج المدينة، فرتب جيشة في المناطق المناسبة لحصارها وفرض عليها حصاراً مشدداً، وأخذ في مقاتلة الفرنج، ورمى المدينة بالمجانيق وتمكن من نقب أسوار المدينة، فلما أحسّ الفرنج بقوة المسلمين وشدة هجماتهم، وأن المدينة أصبحت على وشك السقوط، أصابهم اليأس فبعثوا إليه يعرضون عليه تسليم المدينة فرفض أول الأمر وقال لهم : لا أفعل بكم إلاّ مافعلتم بأهله يوم ملكتموه من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها(١).

ولما تكرر رفض صلاح الدين قبول التسليم، هدد الفرنج بحرق المدينة وتخريب قبة الصخرة المشرفة وقتل أسرى المسلمين وإتلاف الأموال والممتلكات والاستمرار في الحرب حتى آخر لحظة، عندها جمع صلاح الدين مجلس حربه بحضور القادة والأمراء واستشارهم في الأمر، وانتهى قرارهم إلى قبول التسليم والمصالحة.

ولما تردد رسل الفرنج بعرض الصلح، تخلق القائد بأخلاق المسلم النموذجي ووافق على شروط الصلح وتراجع عن موقفة السابق، ومن شروط الصلح مايأتي(٢):

١- أن يدفع الفرنج للمسلمين الفدية حسب الترتيب التالي:

أ- عشرة دنانير عن كل رجل.

ب- خمس دنانير عن كل امراة.

ج- ديناران عن كل ولد أو بنت من بناتهم.

٢- يُعطي الإفرنج مدة (٤٠) يوماً ومن يدفع خلالها يسمح له بمغادرة المدينة آمناً على نفسه وماله، ومن لم يدفع خلال هذه المدة يصبح مملوكاً للمسلمين .

٣- سمح صلاح الدين للمسيحيين من الشاميين واليونان بالبقاء في المدينه كرعايا في دولة الإسلام.

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩ص١٨٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩ص١٨٣، مصطفى الحياري، صلاح الدين، ص٣٣١، أمينه بيطار، تاريخ العصر الأيوبي، دار الطباعة الحديثة، دمشق ١٩٨٢م، ص١٤٥-١٤٦.

ومع كل ذلك فقد كان صلاح الدين كريماً إلى أبعد حدود الكرم، فقد أطلق سراح عدد كبير من الفقراء بدون دفع الجزية، وخفف عن آلاف آخرين، وسمح لزوجة ملك القدس أن تخرج بأموالها وخدمها، وفعل مثل ذلك مع كثير من الأميرات ومنهن زوجة أرناط الأميرة (Etienntte) وأرسل جنوداً لحمايتهن حتى وصلن مدينه صور، وترك بطريرك القدس يخرج بالأموال الهائلة ولم يدفع غير عشرة دنانير كغيرة من الناس، وفوق هذا فقد دفع عن آلاف من الناس لم يجدوا ما يدفعوه وأطلق سراحهم، ومع هذا بقي أكثر من (١٥) ألفاً لم يدفعوا فاسترقهم المسلمون[١].

رتّب السلطان عدة دواوين في كل ديوان منها عدد من النواب المصريين ومنهم من الشاميين لتسجيل الخارجين بأموالهم وأنفسهم ودفع المال المحدد وإعطاء كل واحد تصريحاً يسمح له بالخروج من غير اعتراض، كما رتب على كل باب من أبواب المدينه أمناء ووكلاء،ومن أخذ تصريحاً سمح له بالخروج من المدينة[٢].

واستمرت عمليه خروج الفرنج من المدينه حوالي أسبوعين، وأثناء هذه المدة لم يدخل أحد من جند صلاح الدين إلى المدينه باستثناء الموظفين الذين يشرفون على قبض الأموال، والمقدمين الذين يراقبون وينظمون عملية خروج الفرنج من المدينة بصورة سليمة .

وأساء بعض المسؤولين عن المال استعمال وظائفهم، فقد قبل بعضهم الرشوة مقابل تقديم الإفراجات (سندات السداد أو التصاريح) التي تخولهم الخروج [٣]، وعبَّر العماد الكاتب عن أسفة على ذلك فقال:

(ولو حفظ هذا المال حقّ حفظة لفاز منه بيت المال بأوفر حظة، لكنّما تمّ التفريط وعمّ التخليط، فكل من رشا مشا، وتنكّب الأمناء نهج الرشد بالرشا...)[٤].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩ص١٨٣-١٨٤.
(٢) مصطفى الحياري، صلاح الدين، ص٣٣٢.
(٣) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩ص١٨٣.
(٤) العماد الكاتب، الفتح القسي، ص٩٣، ابو شامة، الروضتين، ج٢، ص٩٥.

ودخل صلاح الدين مدينة القدس بقواته من المسلمين يوم الجمعة ٢٧رجب ٥٨٣ هـ/٢ تشرين الأول ١١٨٧م، وهو اليوم الذي دخل فيه الفرنج المدينة قبل٩٠ سنة، وبدأ صلاح الدين بإصلاح ما أفسدته أيدي الصليبين، وسمح للنصارى العرب البقاء فيها كذمه للمسلمين الذين عادوا إليها.

وأمتدح الشعراء هذا الفتح، فنظم فخر الكتّاب أبو علي الجويني قصيدة قال فيها[1]:

جند السماء لهذا الملك أعوان

من شك فيهم فهذا الفتح برهان

متى رأى الناس ما نحكيه في زمن

وقد مضى أزمان وأزمان

هذي الفتوح فتوح الأنبياء وما

لها سوى الشكر بالأفعال أثمان

أضحت ملوك الفرنج الصيد في يده

صيداً وما ضعفوا يوماً وما هانوا

كم من ملوك فحول غودروا وهم

خوف الفرنجة ولدان ونسوان

تسعون عاماً بلاد الله تصرخ وال

إسلام نُصّاره صمٌّ وعميان

فالآن لبّى صلاح الدين دعوتهم

بأمر من هو للمعوان معوان

(١) أبو شامة، الروضتين، ج٢ص ١٠٤-١٠٥.

في نصف شهرغدا للشرك مضطلماً

فطّهرت منه أقطار وبلدان

فأين مَسلمة عنها وإخوته

بل أين والده، بل أين مروان

لو أن ذا الفتح في عصر النبي لقد

تنزلت فيه آيات وقرآن

أعمال صلاح الدين في القدس :

دخل المدينة وأعاد إليها سماتها العربية، وأزال جميع التغييرات التي أحدثها الإفرنج في المسجد الأقصى المبارك، ونصب فيه المنبر، وأعاد تحصين المدينة وجدّد أبراجها وبنى فيها مدرسة للشافعية ورباطاً للصوفية وبيمارستاناً وأوقف عليها الأوقاف[1].

وكانت ردة الفعل الأوروبية على تحرير صلاح الدين للقدس عنيفة فأسرعت البابوية إلى دعوة ملوك وأمراء أوروبا للقيام بحملة صليبية جديدة عرفت بالحملة الثالثة، هدفها استرداد القدس، وضمّت هذه الحملة كلاً من[2]:

١- ريتشارد قلب الأسد ملك ملك إنجلترا.

٢- فيليب أغسطس ملك فرنسا.

وتمكنت هذه الحملة بالتعاون مع القوات الصليبية المتجمعة في صور من الاستيلاء على مدينة عكا سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م[3] وجعلوها عاصمة لبقايا مملكة بيت المقدس اللاتينية، لكن هذه الحملة فشلت بعقد المفاوضات بين صلاح الدين وريتشارد قلب

(١) أبو شامة، الروضتين، ج٣، ج٤، ص ٣٣٢.

(٢) محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص١٨٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢١٤، محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص١٨٠.

الأسد التي انتهت بعقد صلح الرملة سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م ضمن الشروط التالية[1]:

١- مدة الصلح ثلاث سنوات وثمانية أشهر.

٢- اللد والرملة مناصفة بين الطرفين.

٣- تبقى مدينة عسقلان خراباً .

٤- الساحل من صور إلى يافا وعملها وقيسارية وعملها وحيفا وعكا وعملها وأرسوف بيد الإفرنج.

٥- البلاد الجبلية وما تحوية من قلاع وحصون تكون للمسلمين.

٦- للحجاج النصارى حرية الحج إلى بيت المقدس دون دفع أية ضرائب.

تجدد الحملات الصليبية :

ما أن انتهى صلاح الدين من تحرير بيت المقدس ووصلت أنباء انتصاراته إلى أوروبا حتى هبت البابوية في أوروبا لإرسال حملة إلى بلاد المسلمين، ولبى نداء البابوية ملكا فرنسا وانجلترا، فيليب أغسطس وريتشارد قلب الأسد،وتزعما الحملة الصلبيبية التي وصلت إلى عكا في ربيع الأول٥٨٥هـ/١١٨٩م، ورغم استبسال المسلمين في الدفاع عن المدينة، الاّ أنها سقطت بيد الفرنج سنه ٥٨٧هـ / ١١٩١م[2]، وبذلك انقلب ميزان القوى لصالح الإفرنج.

ثم تعرّض المسلمون للهزيمة مرة أخرى في أرسوف بنفس العام، وتوجه الفرنج إلى القدس وحاصروها في محاولة لإعادة احتلالها من المسلمين، ولما يئسوا عرضوا الصلح على صلاح الدين، فانتهى الأمر بعقد صلح الرملة سنه٥٨٨هـ/١١٩٢م بين صلاح الدين

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٢١-٢٢٢، أبو شامة، الروضتين ج٤، ص٣١١-٣٢٨، محمود عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٧٣- ١٨٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩ص٢١٤.

وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وتضمن الصلح الشروط التالية[1]:

١- التخلي عن مناطق غزة والداروم وعسقلان، بينما يبقى الساحل الفلسطيني من صور إلى يافا بيد الفرنج .

٢- حريه حج المسيحيين إلى بيت المقدس.

٣- اللد والرملة تكون مناصفة بين الطرفين.

٤- مدة الصلح ثلاث سنوات وثلاثة أشهر.

٥- تكون الهدنه عامة في البحر والبر .

وما هي الاّ مدّة قصيرة بعد الصلح حتى توفي صلاح الدين، وذلك في صفر سنة ٥٨٩هـ/شباط١١٩٣م[2] بعد حياة حافلة بالجهاد والعطاء الموصول .

بعد ذلك انقسمت مملكة صلاح الدين بين خلفائه؛ من أبنائه وإخوته، فابنه الأكبر وهو الأفضل كان ملازماً لأبية عند وفاته، احتفظ بدمشق والقدس وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس ومناطق من ساحل الشام، واحتفظ العزيز عثمان بمصر، وأخذ الملك الظاهر غازي وهو الابن الثالث حلب وشمال الشام، أما الملك العادل شقيق صلاح الدين فصار له حكم الأردن وبلاد الجزيرة وديار بكر[3]، وانتقلت السلطة إلى الملك الأفضل بوصية من صلاح الدين .

حدثت خلافات بين أبناء صلاح الدين وإخوته على اقتسام الأملاك التي خلفها، مما جعل البلاد عرضة لأطماع الفرنج من جديد، وانتهت الخلافات إلى استيلاء الملك العادل على معظم البلاد التي كانت تضمها مملكة صلاح الدين بما فيها مدينه القدس التي استولى عليها سنه٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م[4].

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩ ص٢٢١-٢٢٢، أمينه بيطار، العصر الأيوبي، ص١٦٠، وانظر: مصطفى الحياري، صلاح الدين ص٤٤٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩ ص٢٢٥ .

(٣) ابن الأثير، الكامل،ج٩ص٢٢٧، خاشع المعاضيدي وآخرون، الوطن العربي،ص١٩٧.

(٤) شفيق جاسر، القدس،ص٨٤.

وفي عهد الملك العادل تحرّكت حملة جديدة إلى فلسطين هي الحملة الصليبية الخامسة وكان المحرّك لها هو البابا هونوريوس الثالث، واشترك في الحملة كل من :

١- أندريّا الثاني ملك المجر (هنغاريا).

٢- ليوبولد السادس دوق النمسا.

وكانت هذه الحملة تهدف إلى استخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين، وتمكن الصليبيون من الوصول إلى عكا سنه ٦١٤هـ/١٢١٨م، فلما علم الملك العادل بذلك جهزّ جيشة واتجه لملاقاة الفرنج، ودخل الفرنج البلاد الشامية ونهبوا المناطق من بيسان إلى بانياس، بينما كان الملك العادل خلال مسيرة يتحاشى الاصطدام بهم لقلة جيشة[١]، ومع ذلك فإن ملك المجر عاد إلى بلادة لأنه لم يحقق النجاح الذي كان يطمح في تحقيقة .

أما ليوبولد السادس فانضمّ إلى (حنّا دي بري) في عكا الذي كان منتظراً أن يكون ملك القدس بعد استيلائهم عليها، وتوجها إلى مصر، فنزلا على مدينة دمياط وضربوا عليها الحصار، ومات الملك العادل أثناء الحصار، فاستغل الصليبيون اضطراب المسلمين في هذه الأثناء ودخلوا مدينة دمياط[٢].

وتولى الحكم في الدولة الأيوبية الملك الكامل ابن العادل، فأخذ يستعد للمواجهة، وبدأ بالقضاء على المؤامرات الداخلية، ثم هيأ نفسه لمواجهه الفرنج، إلاّ أنه خشي تفوّق القوات الفرنجية، فعرض عليهم أن يسلمهم بيت المقدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وصيدا وجبلة مقابل خروجهم من دمياط، غير أنهم رفضوا العرض، وطلبوا زيادة عليه منطقة الكرك بالإضافة إلى دفع مبلغ (٣٠٠,٠٠٠) جنيه، فأضاعوا بذلك فرصة ثمينة.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩ص٣١٥، محمد العمروسي، الحروب الصليبية، ص١٠٥.
(٢) ابن الأثير، الكامل،ج٩ص٣١٦.

لجأ المسلمون إلى استثمار مياة النيل وكان موسم فيضان النيل، فكسروا السدود والجسور، فاندفعت المياة إلى الأراضي التي فيها الصليبيون فغمرتهم المياة وحصرتهم من كل جانب، وأصبحوا في الماء والوحل، ووقف المسلمون على المدخل الوحيد الذي يسهل خروجهم فسيطروا على الموقف وأجبروا الفرنج على الاستسلام والخروج من مصر دون مقابل سنه٦١٨هـ/١٢٢١م(١).

هذه الأحداث دفعت الفرنج لاستصراخ أوروبا في إيطاليا وفرنسا، وحدث أن وقع خلاف بين الكامل وإخوته، فتحالف أخوه المعظم عيسى صاحب دمشق والقدس مع جلال الدين الخوارزمي ضد أخويه الكامل صاحب مصر والأشرف موسى صاحب الجزيرة، فتخوف الكامل من هذا التحالف وبعث يطلب النجدة من أوروبا، حيث أرسل إلى صديقة فردريك الثاني ملك صقلية وإيطاليا الذي تربطة به علاقات ود حميمة يطلب مساعدته ضد أخيه ووعده أن يعطيه بيت المقدس.

قدم فردريك الثاني على رأس الحملة السادسة، وتوفي المعظم عيسى قبل وصوله في سنه٦٢٤هـ/١٢٢٧م فلم يعد هناك حاجة لقدوم فردريك الثاني، فلما وصل إلى عكا راسل الملك الكامل وأخذ يتوسل إليه ويتودد ليسلمه بيت المقدس ليتم تتويجه، وذكّره بالوعد الذي بينهما وأنه إنما جاء نجدة له على هذا الأساس، ورغم تردد الملك الكامل أول الأمر إلاّ أن الأمر انتهى بموافقة الملك الكامل، وعقد صلح يافا مع فردريك الثاني فتضمن الصلح البنود التالية(٢):

١- تسليم مدينة القدس لفردريك الثاني شريطة عدم تجديد أسوارها، وألاّ تقام فيها حصون ولا قلاع .

٢- تبقى القرى التي حول القدس بيد المسلمين.

٣- يبقى المسجد الأقصى بيد المسلمين شريطة ألاّ يحملوا فيه سلاحاً.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩ص٣١٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل ج٩ص٣٧٨، أمينه بيطار، العصر الأيوبي، ص ١٨٨ -١٨٩.

٤- إطلاق سراح الأسرى الفرنج.

٥- يعطى الفرنج إضافة إلى القدس بيت لحم والناصرة وتبنين وصيدا وطريق من القدس إلى يافا على ساحل البحر المتوسط.

٦- وقوف فردريك الثاني إلى جانب الملك الكامل حتى لو كان ذلك ضد الفرنج وعدم السماح بوصول الإمدادات إلى إمارتي أنطاكية وطرابلس .

٧- مدة المعاهدة عشر سنوات .

وجاءت ردة الفعل الإسلامية قوية على هذه المعاهدة، وغضب المسلمون على تفريط الكامل بمدينة القدس، فأشتدّ بكاؤهم عليها، وأقاموا المآتم ونعتوا الملك الكامل بالخيانة والتقصير[1]، وأعلنوا رفض المعاهدة لأن مدينة القدس تمثل رمزاً دينياً للمسلمين

ودخل فردريك الثاني مدينة القدس في جمادي الأولى سنه٦٢٦هـ/آذار ١٢٢٩م، وتوّج نفسه أمبراطوراً في كنيسه القيامة ثم قام بزيارة المسجد الأقصى .

توفي الملك الكامل سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، قبل انتهاء موعد الاتفاق مع الفرنج، وفي هذه الأثناء أعدّ الصليبيون حملة لمجابهة المسلمين وصلت إلى عكا وعلى رأسها (تيبو الرابع) ملك النافار سنه٦٣٧هـ/١٢٣٩م، وكان الفرنج قد شيدوا في القدس قلعة خلافاً لاتفاقهم مع المسلمين، فلما علم الناصر داود ملك الكرك بذلك توجه إلى القدس فتمكن من تحريرها سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، ولجأ الصليبيون إلى القلعة التي شيدوها في المدينة فحاصرها وضربها بالمجانيق حتى استسلمت، وهدم القلعة والأبراج الجديدة.

وبعد أن تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب الحكم في الدولة الأيوبية سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م، وقع خلاف بينه وبين الناصر داود الذي حرر القدس، والملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق والملك المنصور صاحب حمص، واستعان الصالح نجم الدين أيوب بالخوارزمية، بينما استعان الناصر داود بالفرنج وتنازل لهم عن مدينة القدس وعن طبرية وعسقلان وكوكب، ودخل الفرنج القدس مرة أخرى سنه٦٤١هـ/١٢٤٣م، وتسلموا

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤ص٢٤٣.

المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة وما في الحرم من مزارات .

غير أن التعاون بين المسلمين لم يترك المدينة طويلاً تحت حكم الفرنج، فتوجهت الخوارزمية التي استعان بها الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى بلاد الشام، وتمكنوا من تحرير القدس بعد عام واحد من تسليمها للفرنج وذلك سنه٦٤٢هـ/١٢٤٤م[١]، فعادت المدينة ودخلت تحت سلطة الملك الصالح نجم الدين أيوب.

أحدث هذا التعاون الإسلامي ردة فعل عنيفة في الغرب الأوروبي، حيث دعت البابوية إلى حملة جديدة استجاب لها ملك فرنسا لويس التاسع، وقاد الحملة الصليبية السابعة التي وصلت إلى مصر وتكمنت من احتلال دمياط، فتصدى لها الملك الصالح نجم الدين أيوب، غيرأنّ المنية عاجلته قبل أن يطردهم من مصر، فتولى ابنه توارن شاه المهمة من بعده، ووقف المماليك إلى جانبه لرد الفرنج فلقنوا لويس التاسع درساً قاسياً في القتال والبطولة وأسروه إلى أن افتدى نفسه بالمال سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م[٢].

تطور الوضع في مدينة القدس في العهد المملوكي:

خلف المماليك دولة بني أيوب في حكم مصر وبلاد الشام سنه ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، فبعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب سنه٦٤٧هـ/١٢٤٩م، تولت زوجته شجرة الدر غير أن تولي امرأة لأمر المسلمين في تلك الظروف الصعبه لم يلقَ استحسان المسلمين فتزوجت شجرة الدر من عز الدين أيبك الذي أسس أسرة مملوكية حاكمة[٣].

وحكم المماليك العالم الإسلامي في الفترة الواقعة مابين ٦٤٨-٩٢٣هـ /١٢٥٠-١٥١٧م، وانقسم عهد المماليك إلى فترتين هما :

أ- المماليك البحرية : وامتد حكمهم من٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م .

(١) خاشع المعاضيدي، الوطن العربي، ص ٢١٤.

(٢) محمد المطوي، الحروب الصليبية، ص ١٢٠ – ١٢٢.

(٣) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣ ص ١٨٨-١٩٠، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٦ ص٣٧٣، فاروق عمر ومحسن محمد، الوسيط، ص٢١٩ - ٢٢٠ .

ب- المماليك البرجية : وامتد حكمهم من ٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م.

استهل المماليك حكمهم بالتصدي لأعظم خطرين تعرض لهما العالم الإسلامي في العصور الوسطى، وهما خطرا المغول والصليبيين؛ فعندما تولى السلطان المظفر قطز كانت قوى المغول تهدد بالوصول إلى مصر بعد أن دخلت بلاد الشام، لذلك عقد هدنة مع الصليبيين، وتفرغ لقتال المغول، فالتقى بهم في معركة عين جالوت شمال فلسطين سنه ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، فحقّق نصراً كبيراً[١] ورد الخطر المغولي الذي أثار الرعب في البلاد بما قام به من أعمال الدمار والتخريب والقتل، كما تمكن المماليك من حماية العالم الإسلامي ووقف الزحف المغولي باتجاه الشام ومصر.

وتابع المماليك مواجهة الأخطار الصليبية على فلسطين وبلاد الشام، فتمكنوا من تحرير البلاد من بقاياهم، وأخرجوا الفرنج من آخر معقل لهم في بلادنا فلسطين من مدينة عكا سنه٩٦٠هـ/١٢٩١م[٢].

إدارياً قسم المماليك بلاد الشام وفلسطين إلى نيابات، وهو النظام الإداري الذي كان معمولاً به أيام بني أيوب، فكانت القدس مركزاً لإحدى نيابات فلسطين إضافة إلى نيابة غزة ونيابة صفد، وكان حكام النيابات من القادة العسكريين بسبب الحاجة الدائمة إلى ضبط الأمن وحماية البلاد، وكان صاحب النيابة يتمتع بكافة الصلاحيات للإشراف على نيابته وحمايتها[٣].

وحظيت مدينة القدس باهتمام سلاطين المماليك خاصةً تعمير الأماكن الدينية كالرُبُط[٤] والزوايا، والاهتمام بالعلوم والآداب التي تطورت كثيراً، فكان طلاب العلم يؤمون مدينة القدس من جميع أنحاء العالم الإسلامي[٥]، وكان مركز التعليم الرئيسي

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ج١٣ ص٢٢٣-٢٢٥، فاروق عمر و محسن محمد، الوسيط، ص٢٢٠-٢٢٢.

(٢) ابن كثير، البداية و النهاية، ج١٣ص٣٣٩-٣٤٢.

(٣) فاروق عمر و محسن محمد، الوسيط، ص٢٢٧.

(٤) الرُبُط مفردها رباط، وهي بيوت المجاهدين، وإنما سميت رُبُطاً لانهم يرابطون فيها، والزوايا هي بيوت الأتقياء والعلماء الذين يتجمع حولهم طلبة العلم، وغالباً ما تلحق بها المساجد (انظر: كامل العسلي، مكانة القدس، ص٣٤-٣٥).

(٥) الطيباوي، القدس الشريف، ص٢٩.

هو المسجد الأقصى، بالإضافة إلى المدارس الكثيرة التي أقيمت في مدينة القدس، ومنها المدرسة التنكزية، وهي مدرسة كبيرة أنشأها تنكز الناصري نائب الشام في مدينة القدس سنه٧٢٩هـ/١٣٢٩م عند باب الحرم المعروف بباب السلسلة(١)، وكانت تضمّ داراً للأيتام وملجأ للعجائز والمدرسة الأشرفية التي بناها السلطان قايتباي سته٨٨٥هـ/١٤٨٠م، وقد أنشأ المماليك في مدينة القدس أكثر من ٥٠ مدرسة، وأقام الظاهر بيبرس في القدس داراً للحديث(٢).

وزاد اهتمام السلاطين بالمسجد الأقصى ومسجد قبه الصخرة المشرفة، وقاموا فيها بأعمال الترميم والإصلاح، وأقاموا في الحرم القدسي الأروقة والمآذن(٣)، وأنشأ السلطان قلاوون رباط قلاوون والمسجد القلندري، وقبه الكبكية(٤).

وكان السلاطين يهتمون بزيارة المدينة للاطلاع على أحوالها وتفقّد شؤونها، فقد زارها الظاهر بيبرس عدة مرات، كما قام الملك الناصر قلاوون بزيارتها، وتطوّر عمران المدينة فبنيت الفنادق (الخانات) وعمروا البرك ومنها بركة السلطان سنه٨٠٦هـ/١٣٩٨م.

وأنشأ المماليك السُّبُل لتوفير المياه في الأسواق حرصاً منهم على توفير الراحة وكل مستلزمات الأمان والاطمئنان لمرتادي الأسواق من الكبار والصغار، وأنشأوا سبع(٧) أسبلة في مدينة القدس(٥)، وبنوا فيها الحمامات.

ويعود بناء سوق القطانين المجاور لباب المسجد الأقصى من الجهة الغربية إلى العصر المملوكي؛ وهو سوق في غاية الإتقان والارتفاع؛ وكان من الأسواق الفريدة في العالم الإسلامي(٦).

---

(١) العليمي، الأنس الجليل،ج٢ص٧٨، مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢، ص٢٧١.

(٢) شمس الدين السيوطي، إتحاف الأخصّا،ج٢ ص١٩٨.

(٣) الطيباوي، القدس الشريف، ص٢٩.

(٤) السيوطي، إتحاف الأخصّا،ج٢ص١٩٨-١٩٩.

(٥) كامل العسلي، مكانة القدس، ص ٣٤.

(٦) العُليمي، الأنس الجليل، ج٢، ص١٠٣، الطيباوي، القدس الشريف، ص ٢٩.

الفصل الخامس

دخول القدس الشريف
تحت الحكم العثماني

- المرحلة الأولى: القدس تحت الحكم العثماني ١٥١٦-١٨٣١م
- المرحلة الثانية: الحكم المصري في بلاد الشام ١٨٣١-١٨٤٠م
- المرحلة الثالثة: القدس بعد الحكم المصري ١٨٤٠-١٨٧٦م
- القدس في عهد السلطان عبدالحميد الثاني
- مؤتمر بال ١٨٩٧م وما ترتب عليه

دخول القدس الشريف تحت الحكم العثماني

وتضم هذه الفترة ثلاث مراحل هي:

أ) المرحلة الأولى (١٥١٦-١٨٣١م):وتمتد منذ دخول العثمانيين إلى فلسطين سنة ١٥١٦م وتمتد إلى حكم إبراهيم باشا لبلاد الشام سنة ١٨٣١م.

ب) المرحلة الثانية: وهي فترة حكم إبراهيم باشا لبلاد الشام أو ما يعرف بالحكم المصري ١٨٣١ – ١٨٤٠م.

ج) المرحلة الثالثة: وتمتد من خروج إبراهيم باشا حتى سقوط فلسطين والقدس تحت الانتداب البريطاني ١٨٣٩- ١٩١٧م.

المرحلة الأولى: القدس تحت الحكم العثماني ١٥١٦ - ١٨٣١م.

دخلت بلاد الشام تحت الحكم العثماني بعد معركة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ/١٥١٦م، وأعلنت مدن بلاد الشام قبول السيادة العثمانية، فبعد انتصار السلطان سليم في المعركة زحف بجيشه إلى دمشق ثم فلسطين وعرّج على مدينة القدس قبل أن يتوجه إلى مصر، فاستقبله العلماء والوجهاء وأكرموه، فقدموا له الطعام في ساحة الحرم القدسي، وحضر شيوخ المدن الفلسطينية من صفد ونابلس والخليل وأعلنوا ولاءهم للسلطان، وأبقى السلطان على زعماء البلاد في مناصبهم فبقي فروخ بن عبد الله حاكم نابلس والقدس في مكانهما.

توجه السلطان سليم بعد ذلك إلى مصر، فتغلب على المماليك في معركة الريدانية سنة ٩٢٣هـ /١٥١٧ م ودخل القاهرة، فلقي الخليفة العباسي المتوكل على الله، وفي

القاهرة جاءه وفد من الشريف بركات أمير مكة يعلن الولاء للسلطان، فورث عن المماليك لقب (خادم الحرمين الشريفين) في مكة والمدينة، كما ورث عن المماليك إرسال الصرة إلى كل من مكة والمدينة والقدس، والصرة هي عبارة عن هدية نقدية كان يرسلها السلاطين إلى الأشراف والعلماء في المدن المذكورة، ولعل هذه الصرة كانت تقدم لمكة والمدينة من قبل للإنفاق على الحرمين ورعاية المقدسات واستعدادهما لاستقبال الحجاج.

أما بالنسبة إلى مدينة القدس فبدأ إرسال الصّرة إليها في عهد السلطان سليم الأول، والدافع لإرسالها ما رآه السلطان عند قدومه إلى القدس حيث أوّلم السكان له في ساحة الحرم القدسي وكانوا يقدمون الطعام في صحائف من الخشب، فلما سألهم عن ذلك قالوا له: نحن قوم فقراء، لذلك صار يرسل إلى القدس كما يرسل إلى مكة والمدينة، وكانت تأتي إلى مدينة القدس صرة أخرى في العصر العثماني من حكام مصر وتدعى بالصرة المصرية.

وعين السلطان سليم الأول، الأمير جان بردي الغزالي نائباً للسلطنة في بلاد الشام، وكانت مدينة القدس ضمن نيابته التي استمرت حتى قيامة بالتمرد سنة ١٥٢٠م حيث أصبحت مدينة القدس مركز وحدة إدارية هي (سنجق القدس) وكان مؤلفاً من خمسة أقضية هي : القدس ويافا والخليل وغزة وبئر السبع؛ فكانت القدس مركز إدارة فلسطين.

وفي عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٧ – ٩٧٤ هـ/ ١٥٢٠- ١٥٦٦م) زاد الاهتمام بمدينة القدس، وتمّ إجراء عدد من الإصلاحات في المدينة، وأهمها:

١. ترميم قبة الصخرة المشرفة وإعادة تبليط مسجدها.

٢. تعمير جدران الحرم الشريف وأبوابه.

٣. إعادة تعمير أسوار مدينة القدس.

٤. إنشاء عدد من السُبل في ساحة الحرم الشريف وأماكن أخرى من المدينة.

٥. إنشاء رباط بايرام جاويش الذي تحول إلى مدرسة سميت المدرسة الرصاصية حيث بقيت عامرة حتى نهاية الحكم العثماني.

٦. تشجيع التجارة، فقد أعفى السلطان سليمان التجار الأجانب من تطبيق القانون العثماني عليهم؛ أي إنّه منحهم تسهيلات تجارية، فكانت بداية لما عرف بالامتيازات الأجنبية.

٧. تأمين الطريق الواصل ما مدينة القدس والمدن الأخرى، خاصة الطريق إلى يافا، وطالب مشايخ القرى بأن يكونوا مسؤولين عن سلامة التجار والحجاج.

٨. قامت زوجة السلطان سليمان بإنشاء تكية عرفت باسم (خاصكي سلطان) وأوقفت عليها الكثير من الأوقاف لإطعام الفقراء.

وتميزت الفترة العثمانية بانتشار المدارس في مدينة القدس، حيث يذكر الطيباوي أنه كان في المدينة أربعون مدرسة وعشر دور للقرآن الكريم، وسبع دور للحديث بالإضافة إلى مبانٍ أخرى كثيرة، منها ثمانية عشر سبيلاً، وستٌّ خانات وسبعة أسواق، وكانت طرق المدينة مرصوفة بالحجارة وسقوفها معقودة بالقناطر.

وكان التعليم في القدس يتم في المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة، ويجمع المدرّس مع عمله في التدريس وظيفة أخرى، فقد يجمع إليها القضاء أو تجمع إليه السلطات الإدارية والقضائية والتنفيذية، أما على الصعيد الداخلي فتميزت مدينة القدس خلال الحكم العثماني بالأمور التالية :

١. قيام الانتفاضة الشعبية التي قادها نقيب الأشراف محمد بن مصطفى الحسيني سنة ١١١٥هـ /١٧٠٣م ضد سياسة التسلط التي انتهجها حاكم القدس جورجي باشا الذي فرض الضرائب الباهظة على السكان، وهيأ العثمانيون قوة عسكرية للقضاء على هذه الثورة فقبضوا على زعيمها سنة ١١١٩هـ /١٧٠٧م وتم إعدامه.

٢. الفتنه التي حدثت في كنيسة القيامة سنة ١١٧١هـ / ١٧٥٧ م بين الروم الأرثوذكس والإفرنج، فوقفت الدولة العثمانية إلى جانب الأرثوذكس وقامت بتسليمهم جميع الأماكن المسيحية في المدينة.

٣. الوباء الذي تعرضت له مدينة القدس ومعظم مدن الشام سنة ١١٧٤ هـ / ١٧٦٠م، واستمر هذا الوباء لعدة أشهر، ومات بسببه أعداد كبيرة من أهل البلاد.

٤. سنة ١٧٩٩م تعرضت فلسطين للغزو الفرنسي من خلال الحملة التي قام بها نابليون سنة ١٧٩٨م، واحتل مصر ثم توجه إلى فلسطين فتمكن من احتلال غزة والرملة ويافا وحيفا ووصل إلى عكا فحاصرها، وكان أميرها أحمد باشا الجزار الذي تمكن من الصمود في وجة نابليون مع جيشه شهرين قبل أن يتفشى مرض الطاعون بجيش نابليون وتجبره على مغادرة عكا فاشلاً وخاسراً دون أن يتمكن من دخولها، وقبل أن يتمكن من الوصول إلى مدينة القدس.

ويبدو أن هذه الحملة بذرت الفتن وفتحت عيون اليهود على إمكانية القدوم إلى فلسطين وإقامة وطن لهم فيها، لذلك تعتبر فرنسا من أسبق الدول الاستعمارية في دعم اليهود والبحث لهم عن ملجأ في فلسطين، وكان سبب إقدام نابليون على ذلك هو رغبة منه في التخلص من اليهود من جهة، ولكي يساعدوه على احتلال فلسطين من جهة ثانية، لذلك عملت بعض الجماعات اليهودية على دعم الحملة الفرنسية على بلاد الشرق العربي.

٥. الثورات والاضطرابات التي تعرضت لها مدينة القدس في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وأدت إلى اشتعال الحريق في مناطق متعددة من المدينة وتدمّر من جرّاء ذلك الجزء الغربي من كنيسة القيامة، كما حدثت ثورة شعبية بسبب تزايد عبء الضرائب التي فرضها والي دمشق سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م.

وكانت الدولة العثمانية تهتم اهتماماً كبيراً بأرباب الوظائف الدينية في مدينة القدس كالقضاء والنقباء (نقباء الأشراف) والمفتين وسدنة الأماكن المقدسة، فكان

قاضي القدس يتمتع بمنزلة خاصة بين قضاة المدن الرئيسية في الدولة العثمانية، وكان يأتي بعده في المنزلة المفتي الذي كان يعينه شيخ الإسلام في أستانبول بحيث يكون من أبناء العائلات المتنفذه وذوي السمعة الحسنة.

المرحلة الثانية: الحكم المصري في بلاد الشام ١٨٣١ – ١٨٤٠م.

عزم والي مصر محمد علي باشا على إرسال حملة إلى بلاد الشام بسبب الخلاف بينة وبين السلطان العثماني، فقد استغل النزاع بينة وبين والي عكا عبد الله باشا الذي رفض تسديد ديونة وتزويد مصر بالأخشاب اللازمة لبناء السفن، فعقد تحالفاً مع بشير الشهابي الثاني في لبنان، وجهز حملة عسكرية ثم كلف ابنه إبراهيم باشا بقيادتها، فاتجهت إلى فلسطين سنة ١٨٣١م فقامت باحتلال مدينة غزة ثم الرملة وحيفا والقدس، ثم تقدمت جيوش إبراهيم باشا شمالاً فتمكنت من احتلال المدن الشامية، وواصلت تقدمها فعبرت الأناضول وتمكنت من إلحاق الهزيمة بالعثمانيين في معركة بالقرب من مدينة قونية.

ولم يوقف تقدم الجيوش المصرية في الأناضول غير تدخل الدول التي اعتبرت ذلك تهديداً لمصالحها، ورأت أن مصلحتها تقضي بوقف أطماع محمد على باشا في أملاك الدولة العثمانية.

وحكم محمد علي باشا بلاد الشام بما فيها مدينة القدس حتى سنة ١٨٤٠م عندما عقدت معاهدة لندن، ولما لم يستجب محمد علي لمقررات المعاهدة لجأت إلى الضغط عليه وإجباره على التخلي عن بلاد الشام سنة ١٨٤١م.

وأولى إبراهيم باشا مدينة القدس عناية كبيرة فمنذ دخوله القدس أكد على أهمية الأمن والحفاظ على السلام فيها خاصة بعد قيام فتنة بين المسيحيين راح ضحيتها عدد كبير من الناس، وكان له في المدينة مجموعة من الأعمال والنشاطات بعضها كان يرضي سكان المدينة وبعضها كان سلبياً ويثير مشاعرهم، فبالنسبة لأهل الذمة قام

بعدد من الأعمال استهدفت كسب عطف الدول الأوروبية وتأييدها له فقام بالأعمال التالية:

١. إلغاء الرسوم على زوار مدينة القدس من النصارى للحج إلى كنيسة القيامة.

٢. تأمين طريق الحجاج إلى مدينة القدس.

٣. إلغاء كافة أشكال التمييز بين أبناء الطوائف غير الإسلامية.

٤. إلغاء الضرائب التي كانت تؤخذ من النصارى واليهود.

٥. سمح بترميم كنيس اليهود في القدس شريطة ألا يزاد شيء على المباني القديمة.

٦. إنشاء مجلس شورى للمدينة واتباع النظم الحديثة في الحكم.

٧. التخفيف من وطأة المجاعة التي أصابت الناس في مدينة القدس، فأمر محمد علي باشا في مصر بإرسال ألف أردب من الأرز إلى مدينة القدس لتوزيعها على السكان.

وتميز عهد إبراهيم باشا بإقامة بعض المنشآت في المدينة، فقد جدّد عمارة السرايا القديمة على طريق الجسمانية، وأنشأ القشلان الكائن عند باب الخليل، وبين طاحونة الهواء في غرب المدينة وهي أول طاحونة تطحن القمح لأهل القدس سنة ١٨٣٩م، كما أنشأ الزاوية الإبراهيمية على جبل صهيون، وقام ببناء قلعة في شمال القدس في وداي الجوز، ومجموعة من القلاع لحراسة الطريق ما بين القدس ويافا باعتبارها الطريق الرئيسي الذي يربط القدس بالساحل.

وفي سنة ١٨٣٥م، زار موشية مونتفيوري وهو من أثريا اليهود مدينة القدس وقام بتأسيس أول مدرسة لليهود، وحاول يهودي آخر الحصول على ترخيص بشراء الأراضي والعمل على زراعتها مقابل مبالغ مالية كبيرة، إلا أن المجلس المحلي للمدينة رفض هذا الطلب، وحرَّم إبراهيم باشا على اليهود تبليط ساحة البراق سنة ١٨٣٩م.

واهتم إبراهيم باشا بالتعليم وإنشاء المدارس، وأصلح نظام الضرائب وشجع

الفلاحين على العودة إلى أراضيهم لزراعتها، إلا أن الأوامر التي وصلت من والده كانت تدعوه لفرض ضرائب جديدة على السكان ونزع السلاح من الأهالي، وفرض التجنيد الإجباري على السكان، فكان يطلب تجنيد واحد عن كل خمسة من الشبان، ويقال واحد عن كل عشرة رجال.

لقد أثارت هذه الأعمال سكان القدس فأعلنوا الثورة على حكم إبراهيم باشا سنة ١٨٣٤م، وبدأت الفوضى تسود المدينة حتى أصبحت ساحة للقتال بين الثوار من أهل البلاد وبين جند محمد علي باشا، وتم إرسال نجدات من مصر للقضاء على الثورة، فقد حاصر الثوار قلعة القدس بعد وصول نجدات من نابلس والخليل ومناطق متعددة من فلسطين، ولم يتمكن إبراهيم باشا من القضاء على الثورة إلاّ بالسياسة واستمالة بعض الزعامات المحلية وتمكن من إخمادها في حزيران سنة ١٨٣٤م.

المرحلة الثالثة: القدس بعد الحكم المصري ١٨٤٠ – ١٨٧٦م:

بعد عودة السيادة العثمانية على بلاد الشام وفلسطين استمر حكم وإدارة سنجق القدس تابعاً لولاية دمشق حتى سنة ١٨٧٢م حيث فكرت الدولة العثمانية بإعادة توحيد سناجق فلسطين الثلاثة وهي القدس ونابلس وعكا في ولاية القدس المستقلة، إلا أنها عادت وألغت هذا الإمرة وأبقت على تبعيتها لولاية دمشق.

وفي سنة ١٨٧٤م أصبح سنجق القدس وحدة إدارية مستقلة، وأصبح حاكم القدس يتبع مباشرة للباب العالي، وأنشئ مجلس إدارة لسنجق القدس يتكون من:

١. المتصرف.

٢. القاضي.

٣. المفتي.

٤. أمين الخزانة (المحاسب).

٥. ممثلين عن كل واحدة من الطائفتين الأرثوذكسية واللاتينية.

٦. ممثل عن التجمعات الأمريكية واليهودية.

٧. مجموعة من الأعضاء المنتخبين(غالباً أعضاء مجلس بلدية القدس).

وكان مجلس الإدارة ينظر في جمع الضرائب وهي أهم أعمالة، كما ينظر في أمور الزراعة وتسجيل الأراضي، والإشراف على أمن المدينة.

وتأسس في مدينة القدس مجلس بلدي سنة ١٨٦٣م، وكان أول مجلس بلدي في مدن بلاد الشام، وتشكل هذا المجلس بموجب قرار خاص أصدره السلطان العثماني عبد العزيز .

وساهم في إنشاء هذا المجلس البلدي ظروف مدينة القدس التي شهدت في هذه الفترة صراعات بين الدول الأوروبية وتسابقاً على رعاية مصالح الطوائف غير الإسلامية، وتم تشكيل المجلس من خمسة أعضاء حسب الترتيب التالي:

١. ثلاثة أعضاء من المسلمين.

٢. عضو واحد مسيحي.

٣. عضو واحد يهودي.

وترأس هذا المجلس عبدالرحمن الدجاني، وباشر أول مجلس بلدي أعماله سنة ١٨٦٧م، وبدأ نشاطه يزداد بصدور قانون الولايات سنة ١٨٧١م، ثم بعد صدور قانون البلديات سنة ١٨٧٧م، وهو القانون الذي حدد واجبات ومهام المجالس البلدية وطرق تشكيلها، وأصبح المجلس يتكون من (٦-١٢) عضواً يتم انتخابهم لمدة أربع سنوات ويعين الرئيس من بين الأعضاء المنتخبين.

ووضع القانون شروط الناخب والمرشح، فالناخب أن يكون سدّد الضرائب المستحقة علية والتي لا تقل عن (٥٠) ديناراً تركياً وأن يكون بلغ الثلاثين من العمر، وعلى ضوء

ذلك ثم إعادة انتحاب مجلس بلدي القدس كما يلي:

١. ٦ أعضاء مسلمين.

٢. عضوان مسيحيان.

٣. عضوان يهوديان.

وشهدت هذه الفترة التنافس بين الدول الأوروبية على افتتاح قناصل لها في مدينة القدس بهدف رعاية مصالحها والإشراف على رعاياها المقيمين في المدينة، خاصة بعد أن أقامت انجلترا قنصلية لها في المدينة سنة١٨٣٨م، ثم أعيد افتتاح هذه القنصلية مرة ثانية سنة ١٨٥٦م بعد حرب القرم.

وتم افتتاح قنصلية لفرنسا في المدينة، وافتتحت قنصلية لأمريكا سنة ١٨٥٧م، ثم أقيمت قنصلية لكل من روسيا واليونان سنة ١٨٦٢م، وقد أثارت هذه الأعمال مشاعر أهل القدس الذين كانوا يقابلون ذلك بالغضب الشديد والاحتجاج على موقف متصرف القدس كامل باشا من ذلك الذي كان يحتفل بتحية هذه القنصليات.

أما بالنسبة للمقدسات الإسلامية فقد لقيت الاهتمام الكبير والرعاية من قبل السلاطين، ففي سنة ١٨٧٤م تم تعمير قبة الصخرة المشرفة ومسجدها، والمسجد الأقصى، وشهد أعظم الإنشاءات بعد عهد الخليفة عبدالملك بن مروان، فقد كلفت عملية الإعمار خزينة الدولة كميات كبيرة من الذهب الخالص.

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني بدا النشاط العمراني في مدينة القدس خارج أسوار المدينة، وسنفرد عنواناً خاصاً لفترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني لأهمية الفترة بالنسبة لفلسطين والقدس.

القدس في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

بدأحكم السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٨٧٦م؛ وتعتبر فترة حكمه من أصعب الظروف التي مرّت على فلسطين والوطن العربي بسبب تدخل الدول الأوروبية وظهور خطر الاستعمار الغربي الذي تأخر إدراك العرب لأخطاره وضرره بل ووحشيته على المجتمعات والشعوب العربية، إضافة إلى ظهور خطر الصهيونية والماسونية على أرض فلسطين.

وبالرغم مما وصف به عهد السلطان عبد الحميد الثاني من الظلم والاستبداد، إلا أنه كان السلطان المدافع عن الحقوق العربية والإسلامية في فلسطين والقدس، وكان يعتبر أن أهل القدس دون غيرهم هم أصحاب الحق الشرعي في التصرف بأرض القدس وفلسطين أو السماح بالإقامة فيها، ولم يسمح لليهود بتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية فيها، لذلك أصبح عبد الحميد الثاني هدفاً للصهيونية، وتعمل بكل ما تستطيع من قوة من اجل الإطاحة به وإزاحته عن عرش الدولة العثمانية، لهذا وجدت أن من اللازم أن يفرد الحديث عنه بعنوان خاص لخطورة وحساسية الفترة التي تولى فيها الحكم بالنسبة لفلسطين عامة والقدس خاصة، مع الإشارة إلى بعض تحركات اليهود في عهده وموقفة من تطور الأحداث حتى تم عزلة عن العرش سنة ١٩٠٩م.

لقد أولى السلطان عبد الحميد الثاني مدينة القدس عناية كبيرة وتم في عهده تنفيذ عدد من الأعمال أهمها:

١- الإنفاق على عمارة المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة.

٢-فرش المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة بالسجاد، وتزويده بالثريا الكبيرة.

٣-تجديد عمارة سبيل قايتباي وقناة السبيل.

٤- السماح باتساع العمران فبدأ بناء البيوت والعمارات خارج سور المدينة.

٥- إنشاء المستشفى البلدي في حي الشيخ بدر.

٦-إنشاء المدرسة الرشيدية، وهي منسوبة إلى رشيد بك متصرف القدس الشريف، كما أنشأ مكاتب للتعليم لمنع إرسال الأطفال إلى المدارس الأجنبية.

ولهذا كانت مدينة القدس حاضرة في ذهن السلطان عبد الحميد ويعرف قدر المدينة وقيمتها الإسلامية، كما يعرف أهميتها بالنسبة لأهلها العرب الذين لا يسمحون لأحد بالاعتداء عليها، وكانت أهميتها تدفع من أجل ربط إدارتها بالعاصمة مباشرة، ومع أن هذه فكرة قديمة إلا أن تنفيذها جاء قبيل عهد السلطان عبد الحميد بقليل وذلك سنة ١٨٧٤م.

وفي عهد السلطان عبد الحميد بدأ الصراع بين الدول الأوروبية على المدينة بحجة حماية الأقليات والطوائف الدينية الموجودة فيها وحماية المصالح الأوروبية، فالتقت مع الفكرة اليهودية التي تطلعت إلى فلسطين من أيام الحملة الفرنسية على الشرق العربي، وهي الفكرة التي حاولت بريطانيا استثمارها سنة ١٨٣٠م لإنشاء دولة يهودية في فلسطين تكون هي مسؤولة عن حمايتها، وذلك بهدف تأمين طريقها إلى المستعمرات الشرقية في الهند.

وحاول اليهود الاستفادة من هذا الطرح، فعملوا بكل طاقاتهم من أجل امتلاك الأراضي في القدس وفلسطين إلا أن أهل البلاد وقفوا ضد هذه السياسة ومنعوا تحقيق الأطماع اليهودية، فحاول اليهود استثمار علاقاتهم بالدول الأوروبية الاستعمارية ومنها بريطانيا وفرنسا وألمانيا من أجل الضغط على حكام الدولة العثمانية للحصول على بعض الامتيازات في فلسطين، ولما فشلوا في ذلك لجأوا إلى اتباع أسلوب الرشوة ومحاولة إغراء بعض السلاطين بالمال، أو إغراء بعض الشخصيات المتنفذة لتحقيق ذلك.

كما قاموا بالانتشار في البلاد العثمانية وتجنَّسوا بجنسيات مختلفة في محاولة لتحقيق أهدافهم، وفي عهد السلطان عبد الحميد برزت الفكرة الصهيونية، حيث بدأ التحرك الصهيوني يأخذ منحى جديداً وبدأ يخطط بطريقة أكثر جدية ونشاطاً من ذي قبل، وكانت الظروف السياسة والاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها أوروبا سبباً

في تشكيل نواة الحركة الصهيونية حيث يعيش عدد كبير من اليهود في أوروبا، وكان اليهود يعاملون معاملة سيئة أو يطردون من بلادهم، فمثلاً أصدر ملك إنجلترا (إدوارد الأول) مرسوماً سنة ١٨٧٣م يقضي بطرد اليهود من بريطانيا.

وعاش اليهود في أوروبا حياة انعزالية مغلقة، فقد حظر عليهم الأوروبيون العيش معهم في المدن، وإنما أقاموا لهم أحياء خاصة لا يجوز لهم مغادرتها ليلاً أو المبيت خارجها وعرفت هذه الأحياء باسم الجيتو، وفي أوروبا الشرقية كان محظوراً عليهم تولى المناصب العامة أو مزاولة بعض المهن والحرف، لذلك كانوا يعتبرون أنفسهم غُرباء في البلاد التي يعيشون فيها رغم أنهم أبناء تلك البلاد.

هذه الظروف هي التي دفعت اليهود للبحث عن طريقة يجتمعون فيها ويبحثون عن وطن يقيمون فيه خارج الحظائر التي خصصها لهم الأوروبيون كحظائر الأغنام، وكانت الدول الأوروبية تريد التخلص من اليهود بأي ثمن وعلى حساب أي بلد كان.

من هنا بدأت تظهر دعوات لتحرير اليهود من أوضاعهم البائسة، وفي عام ١٨٨٢م وضع اليهودي (ليو بنسكو) كتاباً أطلق عليه اسم (التحرر الذاتي)، وهو من يهود روسيا، وتضمن كتابه دعوة اليهود للتحرر بالاعتماد على أنفسهم وإيجاد حل للمشكلة اليهودية بالخروج إلى أي بلد للعيش بعيداً عن الاضطهاد في أوروبا، واتجهت أنظار الدول الاستعمارية إلى فلسطين لإقامة وطن قومي لليهود فيها، وتبنى اليهودي ثيودور هرتزل الدعوة لتحقيق هذه الغاية.

مؤتمر بال ١٨٩٧ وما ترتب عليه :

وعقد مؤتمر عام لجمع اليهود في سويسرا سنة ١٨٩٧م هو مؤتمر بال وتزعم ثيودور هرتزل تجميع اليهود، فوضعوا أسساً لإقامة وطن خاص لهم على أن يُسخّروا الدول الاستعمارية لتنفيذ مخططاتهم من خلال التحكم بمقدرات الشعوب، وجعلوا هدفهم إقامة هذا الوطن في فلسطين[1].

---

(١) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م، ص ٢٤٤-٢٤٥٦.

واستجابت بعض الدول الاستعمارية وفي مقدمتها روسيا وبريطانيا وألمانيا لأفكار اليهود لأنها تخدم مصالحها، ولعلها تساعد هذه الدول على التخلص من اليهود الذين كانوا يشكلون عبئاً ثقيلاً على البلدان التي يتواجدون فيها(١).

وحاول هرتزل التأثير على السلطان عبد الحميد من أجل السماح باستيطان اليهود في فلسطين والقدس، ووسَّط بعض الدول الأوروبية لدى السلطان عبد الحميد، ثم لحق هرتزل إمبراطور ألمانيا عند زيارته للدولة العثمانية، وتوسطت له السفارة الألمانية في إستانبول(٢)، ولما قابل هرتزل السلطان عبد الحميد تقدم منه قائلاً: (مولانا صاحب الشوكة جلالة السلطان، لقد وكلنا عبيدكم اليهود بتقديم أسمى آيات التبجيل والرجاء، عبيدك المخلصون اليهود يقبِّلون التراب الذي تدوسونه ويستعطفونكم للهجرة إلى فلسطين المقدسة، ولقاء أوامركم العالية الجليلة نرجو التفضل بقبول هديتكم خمس ملايين ليرة ذهبية)(٣).

ولما كانت الدولة العثمانية تعاني من مشاكل مالية كبيرة، فقد حاولت الصهيونية التي لا تصطاد إلا في الماء العكر استغلال هذه الأوضاع وعرضت دفع مبالغ مالية كبيرة جداً لتحقيق أهدافها، فقال هرتزل:(علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا)، هذا عدا عن إغراء السلاطين بتجهيز أسطول بحري بقيمة ٥٠ مليون ليرة ذهبية وسداد ديونهم البالغة ١٨ مليون ليرة من الذهب وتقديم أية قروض يطلبها السلطان، إلاّ أن هذه الإغراءات تحطمت أمام إصرار السلطان عبد الحميد على وقف كل محاولات الصهيونية ومن خلفها الاستعمار للوصول إلى القدس أو إعطاء اليهود الفرصة للحصول على امتيازات تشكل خطراً على فلسطين وأهلها العرب(٤).

---

(١) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص٢٤٨.
(٢) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص٢٤٨.
(٣) حسان علي الحلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، الدار الجامعية ١٩٨٦م، ص١٢٧.
(٤) محمد محاسنة، حققة القدس، ص ٢٤٩.

وردّ السلطان عبد الحميدعلى من توسّط لليهود قائلاً :

"انصح صديقك هرتزل ألاّ يتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع لأنني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدّسة لأنها ليت ملكي بل ملك شعبي وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض ورووّها بدمائهم.، وليحتفظ اليهود بملايينهم ولن يحصلوا منها على شيء ما دمت على قيد الحياة"[١].

لقد كان هذا الموقف المشرّف صفحة بيضاء في تاريخ السلطان عبد الحميد الثاني، ويُخط له بأحرف من نور، ولذلك ستدخل جماعات من اليهود في تأسيس حزب الاتحاد والترقي لتعمل على إسقاط السلطان عبد الحميد، وعندما عزل الاتحاديون السلطان عبد الحميد عن الحكم كان اليهودي عمانويل قراصو النائب عن ولاية سالونيك أحد أعضاء الوفد الذي دخل على السلطان لإبلاغه قرار عزلة[٢].

وكتب السلطان عبد الحميد بعد عزله ونفيه إلى سالونيك رسالة إلى الشيخ محمود أبو الشامات كشف فيها عن أسباب عزله وبيّن فيها تآمر جمعية الاتحاد والترقي وتعاونها مع الصهيونية من أجل إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وأنهم حاولوا إغراءه بمبلغ ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية ذهب، فكان رده أنهم لو دفعوا له ملء الأرض ذهباً لن يوافق على طلبهم[٣]، وكان مصطفى كمال هو المؤسس لهذا الحزب، وأطلقوا عليه اسم أتاتورك، وتعني أبو الأتراك مع أنه ليس من الأتراك.

وبدأ تدفق اليهود على فلسطين والقدس بعد عزل السلطان عبد الحميد وقدم لهم الاتحاديون كل التسهيلات مقابل الدعم الذي قدمه اليهود للخزانة التركية المفلسة[٤]، فتزايدت الهجرات اليهودية واستيلاؤهم على الأراضي في فلسطين .

---

(١) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٤٦، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص٢٤٩.

(٢) خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي، مركز البحاثن بيروت ١٩٧٣م، ص٤٢-٤٣.

(٣) انظر: الرسالة في كتاب حسان علي الحلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص٦١-٣٦٢.

(٤) رفيق شاكر النتشة وآخرون، تاريخ مدينة القدس، دار الكرمل، عمان ١٩٨٤م، ص١٢٦- ١٢٨.

أما دور الاتحاديين فكان وصمة عار في تاريخ الدولة التركية فقد نفّذت الماسونية مخططاتها من خلال الاتحاديين، واعترف أحد زعما جمعية الاتحاد والترقي بوقوعهم تحت هيمنة الصهيونية والماسونية[1]، وتمكن اليهود من الهيمنة على المراكز الرئيسية في الدولة التركية خلال حكم الاتحاديين.

(١) عبدالرحمن حبنكه، مكائد يهودية عبر التاريخ،ص٢٧٩ - ٢٨٠.

الفصل السادس

القدس في القرن العشرين

- احتلال بريطانيا لمدينة القدس
- مقاومة الاستعمار البريطاني
- القدس خلال الحرب العالمية الثانية
- حرب ١٩٤٨م
- حرب حزيران ١٩٦٧ واحتلال الضفة الغربية
- انتفاضة القدس المباركة

أ- انتفاضة ١٩٨٧م

ب- انتفاضة النفق سنة ١٩٩٦م

ج- انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠م

احتلال بريطانيا لمدينة القدس

سنة ١٩١٤م قامت الحرب العالمية الأولى بين دول الحلفاء(بريطانيا/فرنسا/روسيا) ودول المحور(ألمانيا والنمسا) فوقفت تركيا إلى جانب المحور، وتأخر دخول العرب الحرب على أمل قيام الاتحاديين بإصلاح أحوال البلاد العربية، ولما لم تُجدِ مفاوضات العرب معهم على تغيير سياستهم العنصرية تجاه العرب، أقدم العرب من خلال شريف مكة الحسين بن علي على الوقوف إلى جانب الحلفاء مقابل منح الحلفاء الاستقلال للبلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى، وفعلاً أعلن الحسين بن علي الثورة على الأتراك سنة ١٩١٦م والوقوف إلى جانب الحلفاء.

حاولت بريطانيا احتلال فلسطين والوصول إلى القدس من خلال حملتين قادهما السير أرشيبالد موري فيما بين ١٩١٦-١٩١٧م إلاّ أنه فشل في الحملتين(١).

ثم حاول اللورد اللنبي الوصول إلى القدس، واحتاج لمساعدة العرب لتحقيق هدفه والوصول إلى القدس، لأنه يعلم أن الأمر سيكون صعباً جداً إذا استمر هجوم جيش الأتراك عى ميمنة جيشه من الشرق، لذلك رتّب مع العرب بعد اتفاق العرب مع بريطانيا على القيام بالثورة العربية الكبرى ضد الأتراك ليقوم جيش الثورة العربية بحجز القوات التركية في الحجاز وشرق الأردن ومشاغلتهم عن ضرب جيوش بريطانيا، وتمكن العرب من توجيه ضربات قاسية لجيش الأتراك في شرق الأردن، كما تمكنوا من حرمانه من القيام بأي هجوم من هدفه إفشال حملة الجنرال اللنبي، فسهلوا مهمته وبذلك تمكن من الوصول إلى القدس واحتلال فلسطين وطرد الأتراك منها في ١١ كانون الأول ١٩١٧م[1].

---

(١) جاسر العناني، دراسات قانونية، ٢٠٠١م، ص٨٧، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ٢٥٤.

وبالرغم من ذلك فقد غدر الإنجليز بالعرب وعقدوا معاهدة سايكس بيكو سنة ١٩١٦م مع فرنسا لاقتسام البلاد العربية وحضرها كل من (مارك سايكس عن بريطانيا وجورج بيكو عن فرنسا) وحسب الترتيب التالي[١]:

١. تقسيم سوريا إلى منطقتين منطقة نفوذ فرنسية على الساحل، والمنطقة الداخلية وتقام فيها إدارة عربية تحت إشراف فرنسا.

٢. تقسيم الأردن والعراق إلى منطقتين تحت الانتداب البريطاني وباقي المنطقة تقام فيها إدارة عربية تحت إشراف بريطانيا.

٣. فلسطين وتقام فيها منطقة دولية.

كما طعن الإنجليز العرب عندما أقدموا على منح اليهود وعد بلفور الذي يتضمن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وجاء نص الوعد الذي قدمه وزير خارجية بريطانيا جيمس بلفورإلى اللورد روتشيلد أحد أثرياء اليهودك كما يلي: إنّ حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين"[٢].

واتخذ اليهود هذا التصريح أساساً للمطالبة بإقامة الدولة اليهودية، رغم أن هذا الوعد باطل من الوجهة القانونية للأسباب التالية:

١- أن التصريح يتعارض مع الاتفاق الدولي الذي عقد بين بريطانيا وممثل العرب الحسين بن علي بإقامة الدولة العربية المستقلة في آسيا.

---

(١) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص٢٥٥.

(٢) أسماء فاعور، فلسطين والمزاعم اليهودية، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٥م، ص١٤٩-١٥٠.

(•) الدباغ، بلادنا فلسطين ج١قسم١، ص١٧٤-١٧٥، عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، دار المعارف، مصر ١٩٥١م، ٣٨٤.

٢- لم تكن فلسطين والقدس من أملاك بريطانيا عندما صدر التصريح ولم تكن احتلتها أصلاً، فوعد بلفور كان في ٢ تشرين ثاني سنة ١٩١٧م، بينما لم تتمكن بريطانيا من احتلال فلسطين إلاّ في ١١ كانون الأول سنة ١٩١٧م[١].

٣- نص الوعد وصف اليهود بأنهم شعب ووصف العرب بالطوائف رغم أن اليهود ليست لهم مقومات الشعب والعرب كانوا هم أهل فلسطين الأصليين.

٤- أن اتفاقات الحسين بن علي مع بريطانيا كانت سابقة على تصريح بريطانيا بالوعد.

مقاومة الاستعمار البريطاني:

لم يكن العرب يظنون أن تنتقل بلادهم من السيطرة التركية إلى استعمار بريطاني أو فرنسي، فبعد وقوفهم إلى جانب الحلفاء توقعوا تحرير بلادهم وحصولهم على الاستقلال، إلا ان الذي حدث هو أن الدول المنتصرة فرضت إرادتها عليهم وسقطت بلادهم تحت الاستعمار، فوقعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

بدأت المقاومة العربية في مدينة القدس وفلسطين ضد الانتداب البريطاني وضد الصهيونية من اليوم الأول لدخول الاستعمار البريطاني الذي بدأ يكشف عن نواياه الخبيثة تجاه أهل فلسطين ويهيئ الجو لليهود لتحقيق أهدافهم وتنفيذ مخططاتهم العدوانية ضد أهل البلاد الشرعيين، وتمثلت الحركة الوطنية بقيام الثورات التالية:

١. ثورة سنة ١٩٢٠م: وسببها أن الحلفاء طالبوا بريطانيا باعتبارها الدولة المستعمرة لفلسطين أن تلتزم بتنفيذ وعد بلفور، فأدى ذلك إلى تعاون أهل فلسطين والقدس وحدثت مظاهرات كبيرة في مدينة القدس نتج عنها قيام أول صدام فعلي بين العرب واليهود حيث وقف الإنجليز (البوليس البريطاني) إلى جانب اليهود.

وأدت المصادمات إلى استشهاد أربعة رجال من العرب وجرح (٢١ شخصاً)، بينما

---

(١) (١) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ٢٥٥.

قتل تسعة يهود وجرح (٢٥٠ يهودياً)[١]، فأعلنت بريطانيا الأحكام العرفية في فلسطين.

وقف أحرار العرب في شرق الأردن إلى جانب إخوانهم في القدس وقاموا بتقديم الاحتجاج على موقف بريطاني المتحيز وسياستها الظالمة، وقدموا احتجاجهم إلى الحاكم العسكري في مدينة القدس.

٢. ثورة البراق ١٩٢٩م: البراق اسم يطلق على المكان الملاصق لجدار الحرم القدسي الغربي، وفيه الباب الذي دخل منه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وكان يدّعي اليهود أن هذا الحائط هو بقية من هيكل سليمان عليه السلام.

وفي سنة ١٩٢٥م ادَّعى اليهود أن لهم الحق في جلب الكراسي والمقاعد والستائر على هذا المكان لاستعمالها أثناء تعبدهم، فتصدى لهم المسلمون، وكان اليهود يقومون بالبكاء عند هذا الحائط لإيهام الناس مدى الروابط والصلة بينهم وبين المكان، ثم أطلقوا علية اسم حائط المبكى لبكائهم فيه[٢].

وقرر المسلمون إنشاء جمعية عرفت بـ (جمعية حراسة الأماكن الإسلامية المقدسة) واحتجوا لدى السلطات البريطانية على أعمال اليهود وادعاءاتهم في حائط البراق[٣] وطلبوا منع اليهود من الحضور إلى المكان وإحضار أي شيء إليه، فاستجاب وزير المستعمرات البريطاني لمطالب العرب، إلا أن اليهود رفضوا هذا القرار وراحوا يتحدون مشاعر العرب، فتجمع اليهود في ١٥ آب سنة ١٩٢٩م عند حائط البراق وهم يصيحون (الحائط حائطنا)[٤].

تصدى المسلمون لتجمعات اليهود وهاجموا اليهود فقامت الثورة التي شملت معظم ضواحي مدينة القدس[٥]، ثم امتدت لتعم فلسطين بأسرها، وكعادتها وقفت القوات

---

(١) انظر: غازي ربابعة، القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، دار الكرمل، عمان ١٩٨٧م، ص٩٥.

(٢) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ٢٦٢.

(٣) عيسى السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، بيروت ١٩٧٥م، ص ٩٨.

(٤) محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص ٢٥٩.

(٥) محمود العابدي، قدسنا، ص ١٥٠، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص٢٦٢.

البريطانية إلى جانب اليهود، وأسفرت الثورة عن استشهاد (١١٦ مسلماً) وجرح (٢٤٠) بينما قُتل (١٣٥ وجرح ٣٤٠ يهودياً)، وقبضت بريطانيا على شخصيات عربية من الثوار وقامت بإعدامهم، وكان بين من أعدم كل من (فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير) فقد نفذت فيهم حكم الإعدام شنقاً في ١٧ حزيران سنة ١٩٣٠م[١].

وأرسلت بريطانيا لجنة للتحقيق في الأحداث وموضوع حائط البراق برئاسة (والترشو)، فجاءت نتائج التحقيق تؤكد أحقية المسلمين بالملكية الشرعية لحائط البراق، ودعت إلى منع اليهود من الحضور إلى المكان.

٣ـ ثورة سنة ١٩٣٣م: وقامت الثورة ضد تسهيل بريطانيا هجرة اليهود إلى فلسطين، حيث وجه العرب جهودهم ضد السياسة البريطانية التي فتحت أبواب الهجرة أمام اليهود، فعقد العرب اجتماعا سنة ١٩٣٣م وقرروا ما يلي[٢]:

أ ـ إعلان سخط الأمة العربية على عبث الحكومة البريطانية.

ب ـ الدعوة إلى الإضراب في مدن فلسطين، على أن تبدأ بمظاهرات في القدس.

ج ـ الانتقال من مرحلة الاحتجاج والخطب إلى مرحلة عملية.

وحذرت بريطانيا من قيام المظاهرات إلا أن المظاهرات بدأت في مدينة القدس واشتبك المتظاهرون مع الشرطة البريطانية، وتحول الأمر إلى ثورة عربية ضد الإنجليز راح ضحيتها عدد من الشهداء والجرحى، كما قتل عدد من الشرطة البريطانية وجرح آخرون.

٤ ـ ثورة سنة ١٩٣٦م : وتعرف هذه الثورة بالثورة الفلسطينية الكبرى، وقامت هذه الثورة بعد استشهاد عز الدين القسام[٣] سنة ١٩٣٥م على يد القوات البريطانية في

---

(١) أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص٧٨-٨٢، الموسوعة الفلسطينية، ج١، ص٦١٤.

(٢) جاسر العناني، القدس، ص ٩٩، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص٢٦٣.

(٣) عزالدين القسام أحد ثوار فلسطين قاد الجهاد في فلسطين ضد الاستعمار واليهود واستشهد في معركة حملت اسمه هي معركة القسام سنة ١٩٣٥م (انظر: محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ٢٦٣).

أحراش يعبد، فكان ذلك من أهم العوامل التي أشعلت نار الثورة حيث أعلن الإضراب العام في جميع فلسطين في ٢٠ نيسان ١٩٣٦م، وتشكلت لجنة عربية برئاسة الحاج أمين الحسيني مفتي القدس وطالب بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين[١].

وتحدت بريطانيا مشاعر العرب فأعلنت عن السماح بدخول (٤٥٠٠) مهاجر يهودي إلى فلسطين، فأدى ذلك إلى انتقال الثورة من الإضراب إلى العمل المسلح وهاجم العرب المستعمرات اليهودية والمراكز الحساسة لليهود والإنجليز[٢].

ثم أعلنت بريطانيا تشكيل لجنة ملكية للتحقيق في الوضع وتقديم التوصية لحل الأزمة فتشكلت لجنة (بيل الملكية)، ولما تبينت أن أسباب الثورة تكمن في خوف العرب من إقامة الوطن القومي لليهود ومعارضتهم للهجرة اليهودية[٣]، أوصت بتقسيم فلسطين إلى دولتين : الأولى عربية والثانية يهودية، على أن تقيم بريطانيا انتداباً دائماً على منطقتي القدس وبيت لحم.

وعارض العرب مشروع التقسيم بينما اقترح اليهود اقتسام القدس مع الحكومة البريطانية، وبقي المشروع قائماً حتى تشكلت لجنة (وود هيد Wood Head) سنة ١٩٣٨م وقررت بان تقسيم فلسطين غير قابل للتطبيق، فصرف النظر عن التقسيم.

ووقف أهل شرق الأردن إلى جانب الثورة فأمدوا أهل فلسطين بالمال والرجال، ووصل المتطوعون العرب من الأردن وسوريا ولبنان والعراق بقيادة (فوزي القاوقجي)، واصطدم العرب باليهود والإنجليز في معارك عديدة منها معركة باب الواد.

واستمرت الثورة الفلسطينية حتى نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م حيث أصدرت بريطانيا كتاباً أطلق عليه اسم الكتاب الأبيض أعلنت فيه تراجعها عن قرار تقسيم فلسطين إلى ثلاثة مناطق لامتصاص غضب أهل فلسطين[٤].

---

(١) عيسى السفري، فلسطين العربية، ج٢، ص٢٧، وليد الخالدي وآخرون، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، جامعة الموصل ١٩٨٣م،ص ٤٦٢.

(٢) أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص ١٩٨-١٩٩.

(٣) هنري كتن، القدس الشريف، ترجمة نور الدين كتانة، مكتبة الأقصى، عمان، ص ٦٨.

(٤) وليد الخالدي وآخرون، القضية الفلسطينية، ص٤٦٩-٤٧١.

كان الهدف من إصدار الكتاب الأبيض امتصاص غضب أهل فلسطين ومحاولة استغفال العرب الذين كانوا يثقون بوعود ومواثيق الاستعمار الذي لم يلتزم بوعد ولم يُنفذ عهداً قطعة للعرب لا قبل الحرب ولا بعد الحرب، وبقيام الحرب توقفت الثورة وكانت الأسباب التي أدت إلى توقفها تشمل ما يلي:

١.استنزاف قدرات الثورة والثوار.

٢.تعرض قادة الثورة للملاحقة والتصفية.

٣.نقص السلاح والعتاد.

٤.مراقبة الحدود من قبل بريطانيا وفرنسا مراقبة دقيقة منعت من وصول الإمدادات للثائرين.

القدس خلال الحرب العالمية الثانية

بدأت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م بين دول الحلفاء ممثلة ببريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وحلفائهم ودول المحور المكونة من ألمانيا وإيطاليا واليابان وأعوانهم، فوقف العرب إلى جانب الحلفاء أملاً في الحصول على الاستقلال وحق تقرير المصير[١].

وكانت بريطانيا قد أصدرت مذكرة قدمها رئيس وزراء (ماكدونالد) وسميت مذكرة ماكدونالد ثم أطلق عليه اسم الكتاب الأبيض، وتتضمن وضع حد لاستملاك الأراضي في فلسطين من قبل اليهود، ووقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين بحيث تتوقف بعد السماح بهجرة (٧٥) ألف يهودي خلال خمس سنوات[٢].

وانقسم العرب حول هذا الكتاب فمنهم من رفضه واعتبره استمراراً للسياسة الاستعمارية، ومنهم من قبله على اعتبار أنه يضع حداً لتدفق اليهود الذين بدأوا يتدفقون على البلاد ويغيروا في الخريطة السكانية للمنطقة، بينما اعتبره اليهود

(١) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص٢٦٥.

(٢) رفيق النتشة وآخرون، تاريخ مدينة القدس، دار الكرمل، عمان ١٩٨٤م، ص١٥٠.

ضربة لهم فردوا على الإنجليز بالقيام بعمليات القتل والإرهاب للمتواجدين منهم في فلسطين هذا بالرغم من انه أبقى على تسرب الأراضي العربية لليهود ولم يوقف الهجرة اليهودية[١].

وعمل اليهود خلال الحرب على كسب عطف العالم بالترويج لقضيتهم مع الألمان حيث روجوا قيام عمليات قتل وحرق جماعي لليهود على يد النازية في ألمانيا، وتمكنوا من كسب وقوف الولايات المتحدة إلى جانبهم ممثلة برئيسها (روزفلت) كما وقف (تشرشل) رئيس وزراء بريطانيا إلى جانب اليهود، حيث تبادلت كل من بريطانيا والولايات المتحدة تبني قيادة اليهود لإقامة وطن لهم في فلسطين، ويعبر محمود العابدي عن تبادل هذه الأدوار أحسن تعبير عندما يقول:

وزاد الطين بله عندما ارتبطت الولايات المتحدة الأمريكية بقضية فلسطين وأصبحت الثور الذي يَجُرُّ عربة الصهيونية، بدلاً من الحصان البريطاني الذي استطاع الإفلات عن هذا النير وربط به غيره [٢].

وتمادى الرئيس (هاري ترومان) الذي تولى رئاسة الولايات المتحدة سنة ١٩٤٥م وأخذ يضغط على بريطانيا حتى قامت بإلغاء الكتاب الأبيض، وطلب من (إتلي) رئيس وزراء بريطانيا السماح بدخول مائة ألف يهودي إلى فلسطين[٣].

وقامت الدولتان بإرسال لجنة لتقصي الحقائق في فلسطين سنة ١٩٤٦م هي اللجنة الانجلو – أمريكية حيث قدمت توصياتها كما يلي:

١. الإبقاء على الانتداب البريطاني في فلسطين.

٢. ضمان حرية بيع الأراضي لليهود والإبقاء على هجرة اليهود إلى فلسطين.

٣. عدم إنشاء دولة عربية أو دولة يهودية.

---

(١) يوسف هيكل، فلسطين قبل وبعد، بيروت ١٩٧١م، ص ١٢٢-١٢٥.

(٢) محمود العابدي، قدسنا، ص١٥٣.

(٣) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ٢٦٦.

واعتبر العرب هذه التوصيات اعتداءً على حقوق الشعب العربي، وقاموا بعقد مؤتمر بلودان، فقرر إرسال مذكرة اعتراض على قرارات اللجنة الانجلو أمريكية[1].

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م أصدرت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، ووضع القدس تحت الوصاية الدولية بحيث تشمل المنطقة الممتدة من شعفاط شمالاً إلى بيت لحم جنوباً، ومن أبي ديس شرقاً إلى عين كارم غرباً[2].



المدينة القديمة/ سوق تراثي

وعلى ضوء قرار التقسيم قررت بريطانيا الانسحاب من فلسطين في آب سنة ١٩٤٨م، فوافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، غير أن الاستعمار البريطاني كان يهيئ لتسليم البلاد إلى اليهود، لهذا كانوا يقومون بتدريب الجيوش والعصابات القادرة على استلام البلاد من الإنجليز، وقدمت

(١) أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص١٤٩-١٥٠، جاسر العناني، القدس، ص١٠٦.
(٢) أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص١٧٩- ١٩٢.

بريطانيا موعد انسحابها من فلسطين إلى منتصف أيار سنة ١٩٤٨م.

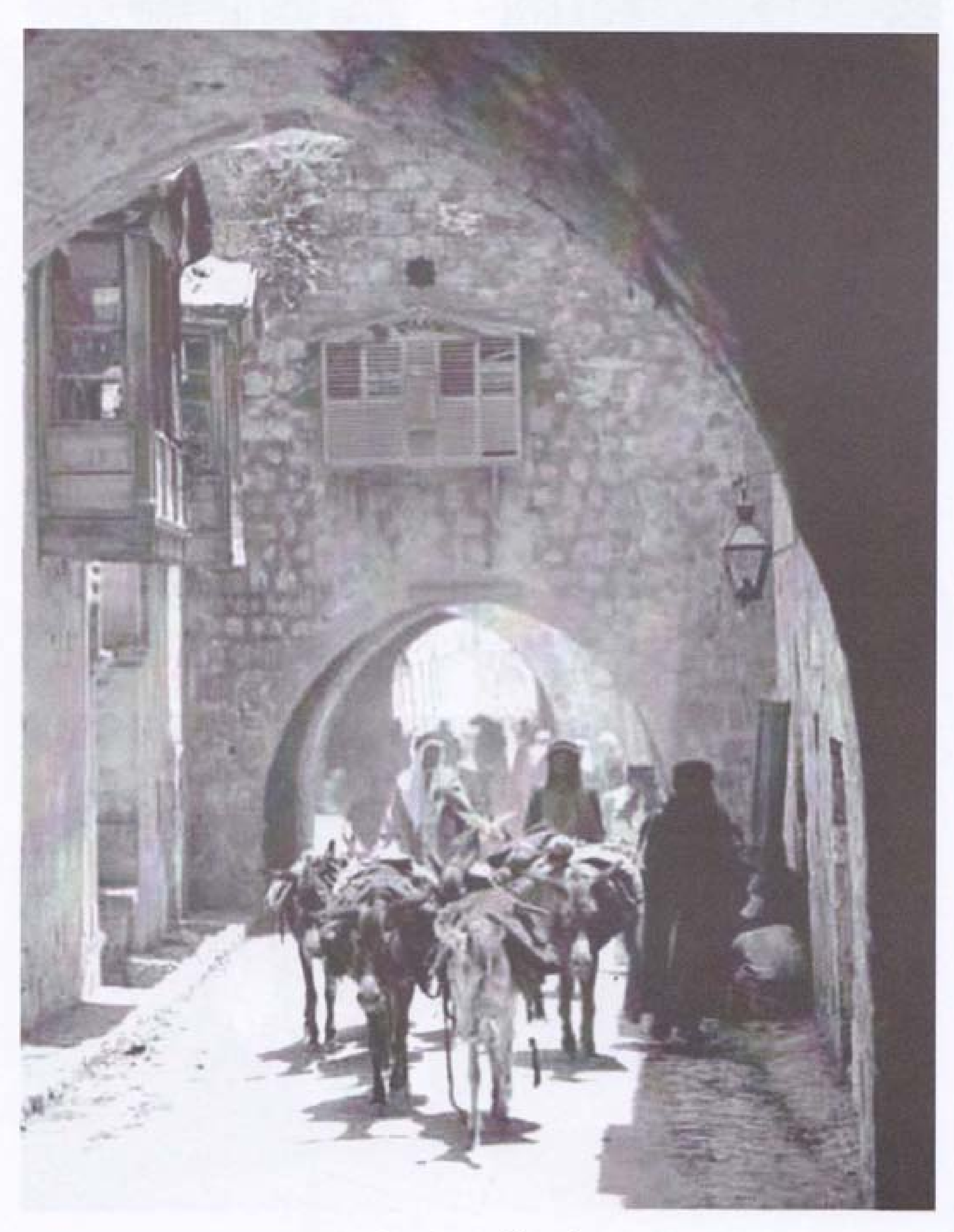
هذا الوضع جعل العرب يفكرون في طريقة لإنقاذ فلسطين من الخطر، فقرر مجلس الجامعة العربية تشكيل جيش للوقوف إلى جانب أهل فلسطين سمي بجيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي، وكان جيش الإنقاذ ثمانية أفواج وعدده خمسة آلاف جندي، أما أهل فلسطين فكانوا شعباً أعزل لا يملك السلاح[١].

وتشكل في فلسطين جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني الذي اصطدم بالقوات الإنجليزية واليهود، وشن عدداً من الهجمات على مواقع الأعداء، واستشهد عبدالقادر الحسيني خلال هجوم قام به المجاهدون لتحرير مدينة القسطل بالقرب من القدس في ٨ نيسان سنة ١٩٤٨م[٢].

---

(١) عارف العارف، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، مكتبة وهبة، ص ٣١.

(٢) جاسر العناني، القدس، ص ١١١.



أحد الأسواق القديمة

من أحياء القدس القديمة



مدينة القدس / سوق شعبي

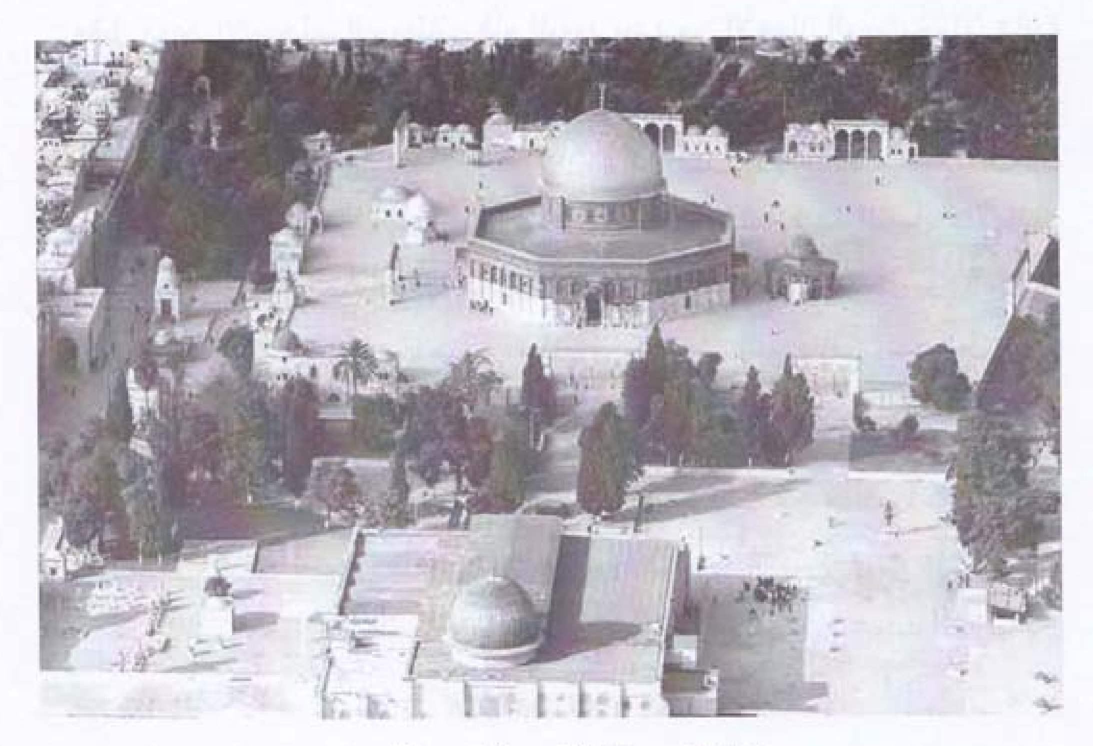
وقبل موعد الانسحاب البريطاني قام اليهود بعدد من الأعمال الوحشية والإرهابية ضد السكان الآمنين في المدن والقرى الفلسطينية، وذلك بهدف إجبارهم على الرحيل وترك أرضهم ومنازلهم، فقد نفذت عصابات (أرغون)[1] و(شتيرن)[2] الإرهابيتان بالتعاون مع (الهاجانا)[3] عدداً من المجازر المروعة قتلت فيها النساء والأطفال والشيوخ بلا رحمة، كان من أبشعها مجزرة دير ياسين بالقرب من القدس يوم ٩ نيسان سنة ١٩٤٨م، وتم تنفيذ هذه المجزرة بغطاءٍ من الجيش البريطاني الذي لم يحرك ساكناً، رغم أنه كان لا يزال يحتل البلاد ويعتبر مسؤولاً عن أمنها وحمايتها.

وفي يوم ١٤ يوم آيار ١٩٤٨م انسحبت القوات البريطانية من مواقعها في فلسطين بعد أن سلمت البلاد لليهود، فأعلن (بن غوريون) قيام دولة إسرائيل في ١٥ أيار سنة ١٩٤٨م، وكانت الأحوال في فلسطين قد وصلت على حد الانفجار، فأشعلت الحرب بين العرب واليهود.

(١) حركة صهيونية إرهابية تستند إلى حرب العصابات مؤسسها فلاديمير جابوتنسكي مؤسس العمل الإرهابي في فلسطين وحصلت على دعم بولندا مادياً ومعنوياً وأشهر زعمائها مناحيم بيغن(انظر: غازي ربابعة، القضية الفلسطينية، ص٤٥).

(٢) هي منظمه يهودية إرهابية قام بتأسيسها اليهودي الإرهابي شتيرن بعد انفصاله عن عصابة الأرغون سنة١٩٤٠م، وكانت ترى أنّ قيام الدولة اليهودية لايتم إلاّ بالإرهاب والعنف(انظر: غازي ربابعة، القضية الفلسطينية، ص٤٦).

(٣) الهجانا: فرقة عسكرية أنشأها اليهود في فلسطين للدفاع عن المستوطنات اليهودية في فلسطين، وكانت تحصل على الأسلحة عن طريق التهريب أو الشراء أو التصنيع أو السرقة من المستودعات البريطانية (انظر: غازي ربابعة، القضية الفلسطينية، ص٤٣-٤٤).



المباني الموجودة في الحرم القدسي الشريف

حرب ١٩٤٨م :

دخل العرب هذه الحرب ولم يكن لديهم أي استعداد أو تدريب يساعدهم، في الوقت الذي كان فيه اليهود قطعوا شوطاً بعيداً في التدريب والاستعداد والتسلح بأحدث أنواع الأسلحة المعروفة آنذاك، فقد استولوا على كميات كبيرة من الأسلحة من مخازن الجيش البريطاني قبل انسحابه من فلسطين.

وبدأت البلاد العربية بإرسال قواتها إلى فلسطين لإعادة النظام وحماية السكان العرب، وتم تشكيل قيادة عربية موحدة للجيوش التي ستدخل الحرب، وأسندت القيادة العليا للملك عبد الله بين الحسين على جميع الجيوش العربية، إلا أن ذلك كان اسمياً، فقد كانت الجيوش العربية تعمل منفردة ولا تخضع لقيادته[1]، فأثَّر ذلك سلبياً على نتائج الحرب بالنسبة للعرب.

---

(١) محمد محاسنة، صفحات من تاريخ الأردن، ص٢٢٤.

وأسندت إلى الجيش العربي الأردني مهمة الدفاع عن مناطق نابلس والقدس والخليل، وتحركت القوات الأردنية إلى المناطق المخصصة لها يوم ١٥ أيار سنة ١٩٤٨، وتقرر أن يتقدم الجيش المصري إلى مستعمرة (رحبوت) ليحتلها ثم يتقدم إلى اللد والرملة ويافا وتل أبيب، ويتقدم الجيش السوري إلى سمخ وطبرية بإسناد الجيوش العربية في المناطق الشمالية للحفاظ على شمال فلسطين، ويتقدم الجيش اللبناني من رأس الناقورة إلى عكا، ويتقدم الجيش العراقي من نهر الأردن قرب جسر المجامع باتجاه العفولة لاحتلالها ثم التقدم إلى حيفا، وتكون مهمة جيش الإنقاذ السيطرة على منطقتي صفد والناصرة[١].

وكان العدو الصهيوني يعقد آماله على كسب الجبهة التي سيخوضها مع الجيش العربي الأردني، لأنه يعلم صمود هذا الجيش وبسالة رجاله، وأهمية المنطقة التي يخوض فيها الحرب.

ويؤيد هذا ما قاله وعبّر عنه رئيس الكيان الصهيوني (بن غوريون) بقوله: (إن مصير الحرب يتوقف على نتيجة القتال بين الجيش الإسرائيلي والجيش العربي الأردني)[٢]، لذلك وضع العدو هدفاً أساسياً له ليتمكن من تحقيق أهدافه الكبرى وهو أن يعمل على تدمير الجيش الأردني من الشمال والجنوب، وذلك لمنع وصول التعزيزات أو النجدات العربية إليها عن طريق نابلس والخليل وباشروا تنفيذ هذه الخطة مُنذ خرجت القوات البريطانية من فلسطين، واحتلوا مواقع لهم في الشيخ جراح على الطريق الشمالي ما بين القدس ورام الله، واحتلوا مواقع في كفار عصيون ودير الشعار وحلحول على الطريق الجنوبي بين القدس والخليل، كما حاولوا السيطرة على منطقة (الطور - جبل الزيتون) المسيطرة على الطريق الشرقي ما بين القدس وأريحا، وذلك بهدف تطويق القدس قبل مهاجمتها من الغرب.

---

(١) وصفي التل، دور الخلق والعقل في معركة التحرير، دار الأبحاث للنشر، بيروت، ص٨٦-٨٧، قاسم محمد صالح، الجيش العربي ودوره في الحروب العربية الإسرائيلية، ط١، ١٩٨٨م، ص ٤٠-٤١.

(٢) محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص٢٦٦.

وعمل الجيش الأردني على إفشال هذه الخطة باحتلال (الطور- جبل الزيتون)، وهاجم القوات الصهيونية في كفار عصيون، ودير الشعار، وحلحول) وتمكن من احتلال مستعمرة (رامات راحيل) وطرد منها العدو، كما هاجم العدو في منطقة الشيخ جراح وتمكن من دخول القدس ودخلها من الشمال من باب العمود[1]، ثم انضمت إليها قوات أردنية أخرى قادمة من نابلس بعد قيام الجيش العراقي بدوره هناك.

وخاض الجيش العربي الأردني معارك بطولية في باب الواد واللطرون، وأوقعوا بالقوات الصهيونية هزائم قاسية رغم تفوق العدو بالأعداد والعتاد، أما الجيش المصري فقد فشل في أداء مهمته لقلة عدده وفساد أسلحته.

وفشل الجيش السوري في احتلال سمخ وطبريا وانكفأ إلى الحمّة، فاتخذ مكاناً دفاعياً حتى نهاية الحرب، كما عجز الجيش اللبناني عن اجتياز الحدود اللبنانية باتجاه الجنوب، وفشل الجيش العراقي هو الآخر في اختراق خط الدفاع الصهيوني إلى الغرب من جسر المجامع، لذلك تغير محور تقدمه وصار باتجاه نابلس وطولكرم وجنين، واستطاع الدفاع عن هذه المناطق ضد الهجمات الصهيونية، أما جيش الإنقاذ فقد أخلى مواقعه قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، وأخذ يعمل في القطاع الشمالي على محور (المالكية الرامة – الناصرة)[2].

هذه التطورات أدت إلى قيام تدخل دولي وإعلان الهدنة الأولى لمدة شهرين، ثم استؤنف القتال في ٩ تموز فتمكن الجيش الصهيوني من انتزاع زمام المبادرة من الجيوش العربية[3]، ومع ذلك فقد فشل العدو في احتلال باب الواد واللطرون بسبب صمود القوات الأردنية. وعقدت الهدنة الثانية في ١٨ تموز سنة ١٩٤٨م بتدبير من الدول الغربية، فوجدها العدو فرصة له فقام بهجوم كبير على القوات المصرية في الجنوب وقطع الطريق المؤدي إلى الخليل وبيت لحم، وحوصرت القوات المصرية المرابطة هناك

---

(١) علي أبو نوار، حين تلاشت العرب، ص٤٠-٤١، قاسم محمد صالح، الجيش العربي، ص ٣٦-٣٧.
(٢) وصفي التل، دور الخلق والعقل، ص ٨٦-٨٧، قاسم محمد صالح، الجيش العربي، ص٤٠-٤١.
(٣) علي أبو نوار، حين تلاشت العرب، ص ٦٥.

عندها أرسل الجيش الأردني قوة عسكرية باتجاه الخليل تمكنت من فك الحصار عن القوات المصرية وحافظت على مدينتي الخليل وبيت لحم من السقوط بأيدي اليهود.

ولم يتمكن العرب من تغيير مجريات الحرب لصالحهم، لذلك قبلوا بعقد معاهدات الهدنة الدائمة بعد مباحثات رودس في ٣ نيسان سنة١٩٤٩م بعد أن فقد العرب معظم الأراضي الفلسطينية التي استعادوها بعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين، وحافظ الجيش العربي الأردني على المناطق التي كان مكلفاً بها، وهي مناطق القدس والخليل وبيت لحم وأريحا، بالإضافة إلى مناطق نابلس وطولكرم وجنين، حيث اتفق الجيش الأردني مع الجيش العراقي فتسلم المناطق التي يسيطر عليها الجيش العراقي ودافع عنها في الوقت الذي تقدمت فيه القوات الأردنية إلى جبهة القدس لمواجهة العدو الصهيوني هناك.

حرب حزيران ١٩٦٧م واحتلال الضفة الغربية

وبعد نكبة فلسطين الأولى من قبل اليهود سنة ١٩٤٨م حافظ الجيش الأردني على القسم الشرقي من مدينة القدس وبقيت هي والمناطق التي يوجد فيها تحت سيطرته، وعين أحمد حلمي حاكماً عسكرياً على مدينة القدس حتى كانون الأول سنة ١٩٤٩م عندما رُبط متصرف القدس بوزارة الداخلية في عمان[١].

وظهر توجه من قبل أهل فلسطين للانضمام إلى الأردن بهدف الحفاظ على ما تبقى منها، لأن اليهود كانوا يتربصون لدخولها، فجرت انتخابات برلمانية في الضفتين، وعقد مجلس الأمة الأردني الذي أصبح يمثل الضفتين، وأعلن في نيسان سنة ١٩٥٠م في أول اجتماع له قيام الوحدة بين الضفتين تحت اسم المملكة الأردنية الهاشمية، وبارك جلالة الملك عبد الله المؤسس هذه الوحدة[٢].

---

(١) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ٧٢.

(٢) جاسر العناني، القدس، ص١٢٣.

وفي ٢٠ تموز سنة ١٩٥١م استشهد الملك عبد الله الأول بن الحسين وهو يهم بدخول المسجد الأقصى المبارك لأداء صلاة الجمعة، فانتقلت مسؤولية الدفاع عن القدس وفلسطين إلى نجله الملك طلال بن عبد الله، ثم إلى حفيده الحسين بن طلال طيب الله ثراهم جميعاً، وتعهد الحسين مدينة القدس بالعناية والرعاية ودافع عن حق العرب والمسلمين في المحافل الدولية والعالمية.

وفي ٥ حزيران سنة ١٩٦٧م فاجأت الدولة الصهيونية العرب بهجوم كبير عندما قصفت مطارات مصر وسوريا وتمكنت من تدميرها، فكانت حرب حزيران التي دخلها العرب وقد فقدوا قدراتهم الجوية، وكانت القوة المتوفرة لدى الجيش الأردني محدودة إذا قيست بما يمتلكة العدو الصهيوني من سلاح متطور فعال[١]، وكان الجيش الأردني هو المسؤول هذه المرة عن الدفاع عن الأراضي الفلسطينية.

وبدأ الهجوم على الجبهة الأردنية في مدينة القدس في الوقت الذي بدأ فيه الجيش المصري بالتراجع على الجبهة المصرية وهذا يؤثر سلباً على معنويات الجيش الأردني، ومع ذلك فإن الجيش العربي الأردني خاض معارك بطولية، وتمكن فيها من تحقيق بعض التقدم في الساعات الأولى من المعركة، إلاّ أنه لم يتمكن من المحافظة على هذا التقدم بسبب الفارق الكبير في ميزان القوة العسكرية، فقد كان اليهود يحاربون على الأرض بقوة يفوق تعدادها تعداد القوات الأردنية، وبسلاح متطور لا يتوفر لدى الجيش الأردني وتدعمة الطائرات التي كانت تلقي بقنابلها على الجيش الأردني الذي كان مكشوفاً من الجو[٢]، ومع ذلك فقد دافع دفاع الأبطال، إلا أن قدرتة في الحفاظ على مواقعة كانت تضعف بسبب شدة القصف من الجو والهجمات المتتالية على الأرض وفقدانه الكثير من رجاله وأسلحته، هذا علاوة على تناقض الأوامر التي كانت تصل إليه بالانسحاب مرَّة والعودة إلى المواقع مرَّة أخرى[٣]، والمعلومات الكاذبة عن الجبهة المصرية.

---

(١) سعد جمعة، المؤامرة ومعركة المصير، مكتبة المختار، القاهرة ، ص١٩١-١٩٢.

(٢) محمد محاسنة ، صفحات من تاريخ االأردن، ص ٢٣٧-٢٣٨، محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص٢٦٩.

(٣) سليمان الصمادي، الرعاية الهاشمية للمقدسات الإسلامية، عمان ١٩٩٧م، ص٣٠٣، محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ٢٧٣.

وقاتل الجيش الأردني قتالاً عنيفاً على جميع المحاور وكبَّد العد خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وفي مدينة القدس أبلى الأردنيون بلاءً حسناً،إلا أنه لم يكن بمقدورهم مواصلة القتال مع مرور الوقت، ومع ذلك فقد كانت أكثر وحدات الجيش الأردني مصممة على الدفاع حتى آخر طلقة حتى وجدوا أنفسهم في كثير من المواقع وجهاً لوجة أمام اليهود، فالتحم الفريقان بالقنابل اليدوية والحراب، وكانت النتيجة أن تمكن اليهود من الإجهاز على ما تبقى من فلسطين ودخلوا القسم الشرقي من مدينة القدس، فكانت الكارثة الثانية التي حلت بالعرب أمام العدو الصهيوني، أما على الجبهة المصرية فقد تقدم العدو في صحراء سيناء حتى قناة السويس، وعلى الجبهة السورية فتمكنوا من احتلال مرتفعات الجولان وجنوب لبنان.

وقابلت الدول الأوروبية والولايات المتحدة سقوط فلسطين تحت السيطرة الصهيونية بمظاهر الفرح والابتهاج، لا أدلّ على ذلك من أن كبير المراقبين الدوليين في الشرق الأوسط عبَّر عن مظاهر الارتياح والنشوة التي يشعر بها الغرب قائلاً: انتهت الحرب وحققت إسرائيل انتصاراً كبيراً، وكان هناك ابتهاج في الغرب، وجمعت ملايين الدولارات والجنيهات تقديراً للمنتصرين، وكانت قصة داود وجوليات على شفتي كل إنسان[1].

وكانت هذه هي المشاعر الحقيقية للغرب، بل كان دورهم الحقيقي هو دعم الصهيونية على حساب العرب ومهما كلفهم ذلك، كما كانوا ينفذون برامجها، ولذلك جاء تصريح كبير المراقبين معبّراً وفاضحاً للهمجية الغربية، وبهذا يكون الغرب هو الأب الروحي للصهيونية المغتصبة للقدس و جميع الحقوق العربية .

---

(١) أود بول، الحرب والسلام في الشرق الأوسط،عمان ١٩٨٤م، ١٢١.

إنتفاضة القدس المباركة

أ- إنتفاضة ١٩٨٧م :

كان العرب بعد الهزيمة العربية واحتلال اليهود الضفة الغربية ينتظرون الفرج لاستعادة الأرض المغتصبة والوصول إلى حل يرضي العرب، إلاّ أن كل محاولات الحل التي كانت تصدرها الأمم المتحدة لم تنجح في إخراج الصهيونية من فلسطين أو على الأقل الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ م، بموجب قراري ٢٤٢، ٣٣٨، الصادرين عن الأمم المتحدة، وذلك بسبب التعنت الصهيوني ومجاملة بل وقوف كل الدول الغربية إلى جانب اليهود.

وإضافة إلى ذلك فقد فشلت الحركات الجهادية ومحاولات التحرير التي كان يقودها الفلسطينيون من خارج فلسطين و أصبح الأمر يحتم عليهم الانطلاق من داخل أراضيهم ومن وطنهم، لعل ذلك يقدم لهم بصيص أمل في تحرير أرضهم أو جزء منها على الأقل.

و زاد الأمر تعقيداً ما كانت تقوم به الصهيونية من أعمال وحشية و مجازر مفجعه بين حين وآخر فتقتل وتشرّد وتطرد أهل البلاد وتعتقل بلا رحمة بسبب وبغير سبب[1]، مما جعل أهل فلسطين يشعرون بالقهر والظلم والجور، فتولدت عندهم حالة من الانفجار وعدم القدرة على الصبر أمام الأعمال الهمجية التي كانت تقوم بها الصهيونية، وبدأت أول المواجهات في مدينة القدس في كانون الأول سنة ١٩٨٦م[2]، ثم تلتها انتفاضة أخرى في شباط سنة ١٩٨٧م، حتى كانت الانتفاضة الكبرى التي بدأت في ٨ كانون الاول سنة ١٩٨٧م، وكانت بدايتها انتفاض أهل قطاع غزة بشكل احتجاجات نظمها مجلس الطلبة في غزة في تشرين الأول سنة ١٩٨٧م، وانطلقت فعلياً كحركة في كانون الأول سنة ١٩٨٧م، وسرعان ما انتقلت إلى مناطق الضفة الغربية .

---

(١) تيسير جبارة، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة، دار الفرقان، إربد١٩٩٢م، ص٢٩، اللجنة الوطنية للدفاع عن القدس، وقائع فلسطينية (١)، عمان ٢٠٠٠م، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) خالد عايد، الانتفاضة الثورية في فلسطين، دار الشروق، عمان١٩٨٨م، ص ١٥-١٧.

بدأت الانتفاضة بشكل عفوي حيث اندفعت مئات الآلاف من الفلسطينين من المخيمات والأحياء الشعبية إلى الشوارع في تظاهرات عنيفة، وكان بين المتظاهرين كوادر منظمة ومتمرسة في مواجهة الاحتلال الصهوني(١).

اتخذت هذه الانتفاضة من الحجر سلاحاً فعالاً لأنها لا تملك السلاح، فكان لا بد من مواجهة التحدي وإيجاد وسيلة لمقاومة العدو الصهيوني الذي يمتلك أحدث وسائل القتال العالمية، ومع ذلك فقد وجدوا في الحجر سلاحاً قادراً على رفع شعار التحرير والموت دون الأرض والعرض(٢).

ثم ابتكر رجال الانتفاضة وسائل نضالية متعددة، وصنعوا محلياً بعض الأسلحة البسيطة التي كانت تساعدهم على مواجهة الصهيونية، فصنعوا قنابل المالتوف والزجاجات الحارقة إضافة إلى الحجر و استخدموا الحرائق في بعض الأحيان و قاموا بإحراق بعض الغابات والمزارع والمعامل الصهيونية، واستمرت هذه الانتفاضة قرابة الست سنوات(٣).

و كان للمرأة الفلسطينة دور كبير في هذه الانتفاضة؛ إذ شاركت النساء فيها مشاركة فاعلة، وكانت النساء تهيء الجو المناسب لرجال الانتفاضة، وكانت النساء تشجيع الأبناء على مواصلة النضال وهذه أقصى درجات التضحية والسمو، فهي تقوم بهذا وهي تعلم أن ابنها معرض لخطر الموت في أية لحظة.

ب- انتفاضة النفق سنة ١٩٩٦م:

ورغم أن الانتفاضة توقفت بعض الوقت على أمل نجاح مساعي السلام التي حاولت أمريكا إيهام العالم بأنها تسعى إلى تحقيقها مع الصهيونية، إلاّ أن ملّة الكفر واحدة ولا تختلف سياستها إلاّ بمقدار ما يحقق أهدافها ومصالحها، ولذلك تجددت الانتفاضة المباركة في مدينة القدس سنة ١٩٩٦م.

---

(١) خالد عايد، الانتفاضة الثورية، ص ٣٣.

(٢) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ٢٧٦.

(٣) علي سعود عطية، الانتفاضة(المسيرة وآفاق المستقبل)، دار الكرمل، عمان ١٩٩١م، ص٩.

وتعود أسباب تجدد الانتفاضة فيما عرف بانتفاضة النفق إلى الحفريات الأثرية التي كانت تقوم بها الصهيونية تحت الأماكن المقدسة. وبدأت هذه الحفريات سنة ١٩٧٠م، وتوقفت سنة ١٩٧٤م. ورغم القرارات الصادرة عن منظمة اليونسكو بوقف هذه الحفريات إلاّ أن العدو الصهيوني استمر في أعمال الحفر وعمل نفقاً كبيراً تحت الحرم القدسي، ومرَّ النفق أسفل خمسة أبواب من أبواب الحرم الشريف هي: باب السلسلة وباب المطهرة وباب القطانين وباب الحديد وباب علاء الدين البصري المسمى بباب قايتباي وسوق القطانين وعدد من المدارس والمساكن(١).

وأدى حفر النفق إلى تصدع عدد من الأبنية في مدينة القدس، منها الجامع العثماني ورباط كرد والمدرسة الجوهرية والمدرسة المنجكية والزاوية الوفائية وبيت الشهابي.

وفي تموز سنة ١٩٨٨م جدّد الصهاينة القيام بأعمال الحفر تحت حماية الجيش الصهيوني، وكانت الحفريات هذه المرَّة عند ملتقى طريق باب الغوانمة مع طريق المجاهدين (طريق الآلام)، فتصدى المسلمون من أهل فلسطين للصهاينة ومنعوهم من القيام بأعمال الحفر، فاضطرت سلطات الاحتلال إلى وقف العمل(٢).

وفي ٢٤ ايلول سنة ١٩٩٦م قام الصهاينة بفتح باب ثانٍ للنفق لإعادة الحفريات في المنطقة، مما أدى إلى قيام الانتفاضة التي عرفت بانتفاضة النفق، وامتدت هذه الانتفاضة إلى مدن فلسطين وقراها، ولم تتوقف حتى أوقفت الحكومة الصهيونية المدخل الثاني للنفق(٣).

ج- انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠م:

وهي من أكبر المواجهات ضد الكيان الصهيوني في فلسطين ومن أعنف وأقوى حركات المواجهة مع العدو، وتعتبر هذه الانتفاضة امتداداً للحركات الجهادية والعمل من أجل تحرير فلسطين، ولا تزال هذه الحركة قائمة إلى اليوم، حيث ضرب رجالها

---

(١) رائف نجم، انتفاضة النفق/ وقائع فلسطينية، عمان ٢٠٠٠م، ص١٦٩.
(٢) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ٢٧٧.
(٣) رائف نجم، انتفاضة النفق، ص١٧١- ١٧٤.

أروع أمثلة البطولة والتضحية في مواجهة العدو الصهيوني.

قامت هذه الانتفاضة في ٢٨ أيلول سنة ٢٠٠٠م، بسبب استمرار إسرائيل في رفض تطبيق القرارات الشرعية، والتحايل على مشروع السلام وعدم قدرة السلطة الفلسطينية على عمل شيء أمام التعنت الصهيوني.

ومن أسباب هذه الانتفاضة الاستمرار في الاعتداء على المقدسات الإسلامية، وسياسة الاستيطان المستمرة والاعتداء على الأرض العربية ومصادرتها بالقوة، ومن العوامل المباشرة للانتفاضة هو قيام زعيم حزب الليكود المتطرف الملعون أرئيل شارون بزيارة إلى الحرم القدسي الشريف محاطاً بالجنود المسلحين (ثلاثة آلاف جندي صهيوني)مدعياً أن هدف زيارتة هو رفض أي تشكيك بسيادة الصهيونية على هذا المكان المقدس[١].

وانتفاضة الأقصى أقوى من الانتفاضة الكبرى التي حدثت عام ١٩٨٧م، وذلك نتيجة الخبرة التي اكتسبتها الجماهير العربية والقوى السياسة والشعبية من خلال كفاحها الطويل ضد الصهيونية، وتكوُّن وعي جديد ومعرفة كاملة بمجريات الأحداث وبالمصالح الحيوية التي يجب المحافظة عليها[٢].

واستخدم أهل فلسطين الحجارة في هذه الانتفاضة، كما استخدموا القنابل التي كانوا يصنعونها لهذه الغاية وعرفت بـ : (قنابل الملوتوف)، كما استخدموا عمليات الهجوم الليلي المفاجئ ونصب الكمائن على الطرق[٣]، فحققت نجاحاً كبيراً أرعبت المحتل الصهيوني.

واجه الصهاينة الانتفاضة العربية المباركة بكل وسائل القوة والعنف المتاحة عند الدول المسلحة، واستخدموا طائرت الأباتشي والدبابات والمجنزرات و المدافع الرشاشة و الصواريخ، ومع هذا فقد كان الأهل في فلسطين صامدين أمام كل هذه القوة

(١) انتفاضة الأقصى، مركز دراسات الشرق الأوسطن عمان ٢٠٠١م، ص ٤٣.

(٢) ماجد أبو دياك، انتفاضة الأقصى بين جبلين واستراتيجيتين، فلسطين المسلمة/عدد ١١. ٢٠٠٠م،ص ٢٦.

(٣) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص٢٧٨- ٢٧٩.

الغادرة والآلة الصهيونية المتطورة؛ فواجهوا الدبابات بصدورهم ليبثوا الرعب في قلوب العدو ويدفعوا المقاتلين إلى الصبر والثبات في أرضهم وأوطانهم. واشترك الأطفال والنساء في هذه الأعمال الجهادية على نطاق واسع، فكان لمشاركتهم آثار إيجابية تجلت في ردهم وتحملهم ما استطاع الصهاينة من جمعه لآلة الحرب الغاشمة التي كانت دول أوروبا الاستعمارية خلفها بما تملك من سلاح وعتاد.

الفصل السابع

الرعاية الهاشمية وإعادة إعمار مدينة القدس

- العلاقة بين الهاشميين والقدس
- الإعمار الهاشمي الأول
- الإعمار الهاشمي الثاني
- حريق المسجد الأقصى
- الإعمار الهاشمي الثالث
- عمليات الترميم في مدينة القدس

العلاقة بين الهاشميين و القدس

توجد بين مدينة القدس و فلسطين من جهة وبين الهاشميين من جهة ثانية علاقة قوية جداً منذ زمن بعيد، فكثيراً ماكان هاشم بن عبد مناف يتجه بأسفاره إلى فلسطين، حتى انتهى به الأمر إلى مدينة غزة التي كان يتردد عليها كثيراً فنسبت إليه وسميت بغزة هاشم.

وتعود أعظم علاقة تربط بين المدينتين إلى رحلة الإسراء والمعراج عندما أسري بالنبي العربي الهاشمي محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أي من مكة المكرمة إلى البيت المقدس، فجاءت هذه الرحلة لتزيد من قوة العلاقة بين البلدين، فأصبحت القدس مسرى محمد عليه الصلاة والسلام وقبلته الأولى هو وأصحابه يتوجه إليها مع أصحابه في صلاتهم. وتوثقت هذه العلاقة مع مرور الوقت حتى العصر الحديث، فصارت مدينة القدس محل عناية بني هاشم و رعايتهم.

وتجدد الاهتمام بمدينة القدس عندما تولى الحسين بن علي طيب الله ثراه ملك العرب في الحجاز في أوائل القرن العشرين، و بعد وقوف العرب إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية بهدف تحقيق استقلال العرب، فعندما أصدرت بريطانيا وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧م، أرسل الحسين إلى بريطانيا يؤكد أن فلسطين ودرتها مدينة القدس عربية منذ نشوئها، وعلى مدى تاريخها ولا يجوز لأحد أياً كان أن يتصرف بها غير أهلها الشرعيين من العرب[١].

(١) محمد محاسنة وآخرون، تاريخ القدس، ص ٢٧٥.

وفي سنة ١٩٢١م ، عرضت بريطانيا على الحسين بن علي مشروع معاهدة حملها لورنس ، فلما رأى الحسين أنها لا تحقق أهداف العرب في استقلال فلسطين رفضها من أساسها، ورد على بريطانيا بأن استقلال فلسطين هو جزء من وحدة الأمة العربية[١].

وحدثت محاولات لتطويع الحسين بن علي ودفعه إلى قبول المعاهدة التي تستثني فلسطين من الدول العربية، إلا أنه كان صارماً في ردّه ورفض كل المحاولات التي من شأنها الانتقاص من الحقوق العربية في فلسطين، وقال لهم: "كونوا على ثقة أننا نحافظ على أصغر قرية في فلسطين محافظتنا على بيت الله الحرام، ونُريق في سبيل ذلك آخر قطرة من دمائنا"[٢]، ولشدة تعلق الحسين بن علي بمدينة، فقد أوصى أن يدفن في جوار المسجد الأقصى المبارك[٣] وتم تنفيذ الوصية.

وفي حرب سنة ١٩٤٨م أُسندت قيادة الجيوش العربية التي دخلت لمواجهة اليهود إلى الملك عبد الله الأول بن الحسين، وتمكن الجيش الأردني من الحفاظ على الجزء الموكل إليه من مدينة القدس، ودافع عنها دفاعاً مستميتاً، وفي سنة ١٩٥١م قضى الملك عبد الله الأول بن الحسين شهيداً في قلب مدينة القدس على باب المسجد الأقصى، وكان يرافقة آنذاك حفيده الحسين بن طلال الذي كانت القدس عينه التي ينظر فيها وقلبه النابض بالحياة، فأولاها جُلَّ عنايته، وكانت قضيتها بالنسبة له الحياة التي يعيشها. وكانت القدس بالنسبة للحسين بن طلال تمثل ما يلي:

١. أنها مسرى جدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها معراجه إلى السماء.

٢. أنها تضم المسجد الأقصى وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين.

٣. إلى هذه المدينة تُشدُّ الرحال لوجود المسجد الأقصى المبارك.

٤. عاصمة الأردن الروحية.

---

(١) محمد محاسنة، حقيقة القدس، ص ٢٨٠.

(٢) جريدة القبلة، العدد ٤٣٢/ ١٠ذي الحجة ١٣٤٢هـ/٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٣م.

(٣) سليمان الصمادي، الرعاية الهاشمية، ص١٧٦.

٥. مهوى أفئدة المسلمين والنصارى وفيها القبر المقدس.

٦. أنها رمز الإسلام والسلام منذ فتحها المسلمون على يد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٧. أنها رمز الكرامة العربية والإسلامية والتفريط فيها تفريط بكل شيء.

٨. أن أرض القدس جبلت بدم الشهداء على مدى التاريخ.



صلاة التراويح في الحرم القدسي

وكان الحسين بن طلال يتحدث ويدافع عن القدس في كل المحافل والمناسبات، ففي افتتاح مجلس الأمة الأردني سنة ١٩٥٦م قال: " إنّ قضية فلسطين هي قضيتنا الأولى وشغلنا الشاغل"[١]، وبعد نكبة فلسطين سنة ١٩٦٧م، تحدث عنها والألم يعتصر قلبه على فقد فلسطين والقدس فقال:

(١) محمد محاسنة، صفحات من تاريخ الأردن ص ٢٤٢.

(لقد كنّا سدنة القدس وحماتها عبر قرون ولن نبخل ببذل أرواحنا رخيصة من أجل الحفاظ عليها، ولن يخبو أملنا في أن يستيقظ في العالم ضميرة الذي مات، فتعود لنا ولأمتنا أولاً وقبل كل شيء أرضنا العربية والقدس دُرَّتها)[1].

وتعتبر فترة الاستعمار البريطاني والاستعمار الصهيوني للأراضي المقدسة في فلسطين أصعب الفترات التي تعرضت لها هذه البلاد المباركة، وأقسى النكبات التي حلت بها بعد الاحتلال الصليبي، إلا أنه وبالرغم من هذا الزمن العصيب وويلاتة فإن بني هاشم لم يتركوا القدس وفلسطين ولم يبخلوا عليها بشيء حتى وهي تحت نير الاستعمار، فكانت رعايتهم لها دائمة، وقيامهم بترميم المقدسات أو تجديد بنائها مستمراً كلما لزم الأمر.

الإعمار الهاشمي الأول:

بدأ الإعمار الهاشمي في مدينة القدس سنة ١٩٢٣م أيام الانتداب البريطاني على فلسطين، وتولى تنفيذ هذا الإعمار ورعايته والإنفاق عليه الشريف الهاشمي الحسين بن علي طيب الله ثراه، فقد تعهد الحسين ملك العرب والحجاز برعاية المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبه الصخرة المشرفة.

كانت البلاد العربية في هذه الآونة تتعرض لهجمة استعمارية غاشمة، فجعل الحسين اهتمامة بالقدس في المقام الأول، لأنه يعلم بسياسته الحكيمة ما يراد بهذه المقدسات، فرغم الضائقة والظروف التي كانت تعيشها البلاد، تبرع بمبلغ (٢٠,٠٠٠) دينار من الذهب من مالة الخاص ليتم إنفاقها على إصلاح المقدسات في مدينة القدس، وإعمار الحرم القدسي، فزاد هذا من قوة العلاقة التي تربط الهاشميين بالبلاد الطاهرة المقدسة في فلسطين.

وأرسل الحسين بن علي المبلغ الذي تبرّع به إلى ولده الأمير عبد الله أمير شرقي الأردن ليحمله إلى الحاج أمين الحسيني مفتي القدس الشريف ورئيس المجلس الأعلى

---

(١) عدنان الزبن، القدس في عيون الهاشميين، عمان ١٩٩٣م، ص١١٥.

ولجنة إعمار الحرم القدسي، وتم صرف المبلغ على تجديد عمارة مسجد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، حيث أشرف الأمير عبد الله على عملية الإعمار[١].

واستمر العمل بهذا الإعمار حوالي ست سنوات على يد المهندس المعماري كمال التركي، واستهدف المشروع بالدرجة الأساسية تغيير الأركان التي كانت تحمل القبة بأركان جديدة من الاسمنت المسلح، وبعد الانتهاء من عملية الإعمار تم الاحتفال بإنهاء المشروع في مهرجان إسلامي كبير في مدينة القدس حضرته وفود كثيرة من الدول العربية والإسلامية[٢].

الإعمار الهاشمي الثاني:

كان الإعمار الهاشمي الثاني لمدينة القدس في عهد المغفور له الحسين بن طلال، حيث أمر سنة ١٩٥٤م بتشكيل لجنة تكون مهمتها القيام بأعمال الإصلاح والترميم وإعمار المقدسات الإسلامية في الحرم القدسي تحت الرعاية الهاشمية[٣]، وتكونت هذه اللجنة من قاضي القضاة وسبعة من الأعضاء[٤].

رتب الحسين بن طلال لهذا الإعمار بالاتصال مع ملوك ورؤساء الدول العربية، فتبرع الرئيس المصري جمال عبد الناصر بأن يتولى المهندسون المصريون وضع التصاميم اللازمة لعملية الإعمار.

كانت قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة في حالة سيئة وأخذت في التآكل بسبب عوامل الزمن، فقرَّر المكتب المعماري الهندسي إزالة صفائح الرصاص المهترئة، وتركيب صفائح جديدة من الألمنيوم الفضّي لقبة المسجد الأقصى المبارك، والألمنيوم المذهب لقبة الصخرة المشرفة.

---

(١) رائف نجم، الإعمار الهاشمي في القدس، دار البيرق، عمان ١٩٩٤م، ص٧٣.

(٢) عبدالسلام العبادي، الرعاية الأردنية الهاشمية للقدس والمقدسات الإسلامية في القدس الشريف، عمان ١٩٩٥م، ص ٧٥.

(٣) رائف نجم، الإعمار الهاشمي في القدس، ص٧٤.

(٤) عبدالسلام العبادي، الرعاية الأردنية الهاشمية، ص٧٨-٧٩.

وتولى تنفيذ المشروع المقاول السعودي (ابن لادن)، وتمَّ إنجاز المشروع سنة ١٩٦٤م، وتضمن المشروع القيام بما يلي[1]:

أ. في المسجد الأقصى:

١- ترميم الجدران الخارجية والداخلية.

٢- تركيب النوافذ من الزجاج الملون والجبس.

٣- تركيب أعمدة الرخام لأربعة من أروقة المسجد في الجهة الشرقية.

٤- تركيب السقوف الخشبية المزخرفة والقبة الداخلية.

ج- زخرفة جدران البناء الداخلية وكتابة الآيات القرآنية الكريمة.

ب. مسجد قبة الصخرة المشرفة:

١-تركيب القبة الخارجية من الألمنيوم المذهب والداخلية من الخشب.

٢-ترميم الجدران الخارجية ورقبة القبة بالقاشاني.

٣-تركيب رخام الجدران الخارجية.

٤-تركيب الأعمدةالرخامية من الداخل.

٥-زخرفة البناء بالآيات القرآنية والأشكال النباتية والهندسية.

٦-عمل تمديدات كهربائية للإنارة.

وفي ٢٨ربيع الأول ١٣٨٤هـ/٦ تموز سنة ١٩٦٤م أقيم احتفال كبير في الحرم القدسي الشريف برعاية الحسين بن طلال بمناسبة الانتهاء من عملية الإعمار للأماكن المقدسة، وحضر الاحتفال الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية، ومندوبون عن ملوك ورؤساء الدول العربية[2].

---

(١) رائف نجم، الإعمار الهاشمي في القدس، ص٧٥-٧٦.

(٢) كامل العسلي، مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، عمان ١٩٨٨م، ص ٥٩.

حريق المسجد الأقصى

وفي يوم ٢١ آب سنة ١٩٦٩م امتدت يد الإثم والعدوان البغيض إلى المسجد الأقصى المبارك، فأعلنت الدولة الصهيونية عن حريق المسجد الأقصى وزعمت كعادتها في التضليل أن شخصاً مختل العقل قام بذلك هو (دنس روهان)، والحقيقة أن عملية الإحراق تمت بتدبير محكم وتخطيط مسبق قامت به الدولة الصهيونية وكلّفت (دنس روهان) ومجموعته الحاقدة بتنفيذ عملية الإحراق، لأن الحريق اشتعل في المسجد في ثلاث مناطق متباعدة في وقت واحد، ولا يستطيع رجل واحد بمفرده ولا حتى اثنان القيام بذلك وإنما بحاجة إلى مجموعة لتنفيذ المهمة[١].

ومما يدل على أن الحريق كان مدَّبراً وخُطِّط له مسبقاً أن بلدية القدس اليهودية قطعت الماء عن الحرم الشريف في نفس اليوم الذي حدث فيه الحريق، حتى لا يستعمل في إطفاء الحريق، ولم تحضر سيارات الإطفاء الصهيونية إلا بعد الانتهاء من إخماد النيران بهمم السكان العرب الذين يقيمون حول الحرم الشريف، وبمساعدة سيارات الإطفاء العربية التي قدمت من المدن المجاورة، ودمّر الحريق حوالي ثلث المسجد؛ أي ما يقارب (١٥٠٠م٢) من مساحة المسجد البالغة ٤٤٠٠م٢ تقريباً.

الإعمار الهاشمي الثالث:

وبدأت المرحلة الثالثة من الإعمار الهاشمي بعد حريق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م، حيث تم تشكيل جهاز من العلماء والمهندسين والفنانين المختصين لوضع التصاميم اللازمة لإعادة إعمار المسجد الأقصى والمعالم الدينية والتاريخية الموجودة في ساحة الحرم القدسي الشريف، وتمَّ ذلك بأمر من جلالة المغفور له الحسين بن طلال طيب الله ثراه[٢].

(١) رائف نجم، الإعمار الهاشمي، ص٩.

(٢) كامل العسلي، مكانة القدس، ص ٦١.

وشمل الإعمار بالدرجة الأساسية المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة، وتضمن القيام بعدد من الأعمال الرئيسية، أهمها[١].

١- إعادة بناء الجزء المتهدم من المسجد الأقصى وتلبيس الأعمدة والجدران بالرخام.

٢- إعادة بناء منبر صلاح الدين الذي أتى عليه الحريق[٢].

٣- تركيب جهاز الإنذار والإطفاء بالمواصفات الحديثة .

٤- ترميم القبة الداخلية المزخرفة بالجبص .

٥- إعادة بناء مسجد عمر ومحراب زكريا وزخارفها.

٦- كتابة جميع الآيات القرنية كما كانت قبل الحريق .

٧- ترميم قبة الصخرة المشرفة، وكان أعظم ترميم حدث لهذه القبة بعد تسرب مياه المطرمن فواصل الألمنيوم إلى الداخل.

وجاءت عملية الإعمار بتبرع من جلالة المغفور له الحسين بن طلال بمبلغ (٨،٢٥) مليون دولار في ١١ شباط سنة ١٩٩٢ م[٣]، وتم إنجاز المشروع سنة ١٩٩٤ م ، حيث افتتح المسجد، و تم فرشه بالسجاد على نفقة المغفور له الحسين بن طلال أيضاً، فجاءت هذه الأعمال لتضيف مأثرة من المآثر العظيمة في سجل المغفور له الحسين بن طلال .

عمليات الترميم في مدينة القدس

لم تتوقف عمليات الترميم في مدينة القدس على المسجد الأقصى المبارك و مسجد قبة الصخرة المشرفة، و إنما تعدى ذلك إلى عدد من المباني الأخرى، نذكر منها :

١- ترميم قبة السلسة إلى الشرق قليلاً من مسجد قبة الصخرة المشرفة .

(١) رائف نجم، الإعمار الهاشمي، ص ٨٥.

(٢) عبدالسلام العبادي، الرعاية الأردنية الهاشمية، ص ١٠٦ ، سليمان الصمادي، الرعاية الهاشمية، ص ١٩٣.

(٣) رائف نجم، الإعمار الهاشمي، ص ٩٥، ١٠١-١٠٢.

٢- ترميم سبيل قايتباي الذي أنشئ في عهد المماليك سنة ٨٨٧ هـ/١٤٨٢م[١].

٣- ترميم باب الرحمة وهو من أبواب الحرم المغلقة على السور من جهة الشرق[٢].

٤- ترميم سوق القطانين و هي سوق تاريخية مشهورة .

٥- ترميم جامع المدرسة الأرغونية في الجهة الشمالية من الحرم القدسي الشريف.

٦- ترميم مكتبة المسجد و كانت تشكل جزءاً من مدرسة الحرم القدسي الشريف.

٧- ترميم بعض المآذن مثل مئذنة باب الغوانمة و مئذنة باب السلسلة.

٨- ترميم البوابات الرئيسية للحرم الشريف.

(١) كامل العسلي، مكانة القدس، ص٦٥.

(٢) رائف نجم، الإعمار الهاشمي، ص١٠٣.

الخاتمة

جاء بناء مدينة القدس مبكراً جداً، وارتبط اسمها وبناؤها بأشخاص متدينين، وبقيت هذه الميزة وهي صفتها الدينية وارتباطها بالله وبالعبادة على مرّ العصور.

صار اهتمام الناس بها منطلقاً من هذا الأمر، خاصة بعد أن جاءت رحلة الإسراء والمعراج لتربط بينها وبين أقدس بلاد الأرض وهي مكة المكرمة، فأكد ذلك صفتها الدينية وارتباطها بالأنبياء والمرسلين، فهي مدينة ملكي صادق ومدينة داود عليه السلام وابنه سليمان من بعده، ثم فيها كنيسة القيامة وهي مسرى نبي الهدى محمد صلى الله عليه وسلم.

وكان مسجدها المسجد الأقصى المبارك أول قبلة للمسلمين، إليه تشد الرحال كما تشد إلى البيت الحرام والمسجد النبوي، والصلاة فيها تعدل خمسمائة صلاة في غيرها من المساجد سوى البيت الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وورد ذكرها في القرآن الكريم عند حديثه عن الإسراء بمحمد صلى الله عليه وسلم، لذلك اهتم المسلمون بإيصال دعوة الإسلام لأهلها، فكان الفتح العمري للمدينة الذي غيَّر وجهها لتكون بحق مدينة عظيمة من مدن السلام والإسلام، وببركتها وقداستها بارك الله بما حولها من الأرض لقوله تعالى " سبحان الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير" .

ولكن يهود وغيرهم من غير المسلمين أفسدوا فيها وغيروا الوجه العربي لها، إلى أن تنادى رجال يحبهم الله ويحبونه فأرادوا تحريرها وتطهيرها من مظاهر الشرك والتخريب، ثم جاء اليهود في العصر الحديث ليعودوا للإفساد فيها ومحاولة تدمير

مظاهر التدين الإسلامي فيها ويحاولون إلى اليوم التدمير والتخريب فيها لمحو المعالم العربية والإسلامية منها .

نسأل الله تعالى كما قيّض لعمر بن الخطاب فتحها ونشر الإسلام فيها، وكما وفق صلاح الدين لتطهيرها وبنا منبرها لنشر عبادة الله، أن يقيض لها في هذا الزمان من يطرد منها يهود ويعيد لها مجدها العربي الإسلامي، إنه نعم المولى ونعم النصير.

أ.د. محمد حسين محاسنة

جرش في ٦ ذي الحجة ١٤٣٧هـ

المصادر والمراجع

أ- المصادر

١- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م..

٢- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأسفار وعجائب الأمصار (رحلة ابن بطوطة)، دار صادر، بيروت ١٩٩٢م .

٣- ابن الجوزي، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، دار الفكر، بيروت١٩٩٥م.

٤- ابن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.

٥- ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.

٦- ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، باريس١٩٠٣م.

٧- ابن عبدربّه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م.

٨- ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٤م.

٩- ابن الفقيه؛ أحمد بن محمد الهمذاني (ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م)، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م .

١٠- ابن القلانسي، تاريخ دمشق،ترجمة سهيل زكار، دار حسان ١٩٨٣م.

١١- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة ١٩٩٨م .

١٢- ابن هشام، السيرة النبوية، دار الجليل، بيروت .

١٣- ابن واصل، مفرج الكروب عن أخبار دولة بني ايوب، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٧م، ج٢ص١٢٧، ابو شامة ، الروضتين ،ج٢ص٣٧.

١٤- أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين ، دار الجليل، بيروت، ج٢ص٣٥.

١٥- أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

١٦- أبو يوسف، الخراج، دار المعرفة، بيروت ١٣٤٧هـ.

١٧- الإدريسي؛ الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٩م .

١٨- جريدة القبلة، العدد ٤٣٢/ ١٠ذي الحجة ١٣٤٢هـ/٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٣م.

١٩- سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد ١٩٥١م .

٢٠- السيوطي؛ شمس الدين(ت ٨٨٠هـ/١٤٧٦م)، إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م.

٢١- الطبري؛ محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م .

٢٢- العُليمي؛ مجير الدين الحنبلي(ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان أبو تبانه، مكتبة دنديس، عمان ١٩٩٩م.

٢٣-العماد الكاتب، الفتح القسي في الفتح القدسي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.

٢٤- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٧١م.

٢٥- مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ/٨٤٩م)، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٠م.

٢٦- المقدسي، أحمد بن محمد، مثير الغرام بفضائل القدس والشام، المطبعة العصرية، يافا ١٩٤٦م.

٢٧- المقدسي، شمس الدين محمد (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩١م.

٢٨- المقريزي، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٩٦م.

٢٩- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٦م.

٣٠- . ناصر خسرو، سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، مطبوعات البنك الدولي للمعلومات

٣١- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٧٦م.

٣٢- وليم الصوري،الأعمال المنجزة فيماوراء البحار، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق ١٩٩٠م.

٣٣- . يحيى بن سعيد الأنطاكي، صلة تاريخ أوتيخا، جروس برس، طرابلس ١٩٩٠م.

٣٤- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م

٣٥- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان.

٣٦- الكتاب المقدس/ التوراة، جمعية الكتاب المقدس في لبنان، بيروت ١٩٩٣م.

ب ـ المـراجـع :

٣٧- إبراهيم الشريقي، إبراهيم وأرض كنعان، الشرق الأوسط للطباعة، عمان ١٩٨٥م.

٣٨- أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨١م.

٣٩- أحمد عبد الله الحسو، تاريخ الكرك في العصور الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة، عمان – الأردن ٢٠٠٤م.

٤٠- أسماء فاعور، فلسين والمزاعم اليهودية، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٥م.

٤١- أكرم زعيتر، القضية الفاسطينية، ص٧٨-٨٢، الموسوعة الفلسطينية.

٤٢- أمينه بيطار، تاريخ العصر الأيوبي، دار الطباعة الحديثة، دمشق ١٩٨٢م.

٤٣- أوليا جلبي، سياحتنامة/ضمن كتاب بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب، ترجمة كامل العسلي، عمان ١٩٩٢م.

٤٤- انتفاضة الأقصى، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان ٢٠٠١م.

٤٥- أود بول، الحرب والسلام في الشرق الأوسط،عمان ١٩٨٤م.

٤٦- تيسير جبارة، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة، دار الفرقان، إربد١٩٩٢م .

٤٧- جمال عبد الهادي، الطريق إلى بيت المقدس، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ٢٠٠١م.

٤٨- حسان علي الحلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، الدار الجامعية ١٩٨٦م.

٤٩- حسين حمادة، آثار فلسطين حرب الهياكل التوراتية اليهودية ووثائق الاستكشافات الأثرية العلمية، دار قتيبة، دمشق١٩٨٣م.

٥٠- حسين مؤنس، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨١م.

٥١- خالد عايد، الانتفاضة الثورية في فلسطين، دار الشروق، عمان ١٩٨٨م .

٥٢- خالد عبدالرحمن العك، تاريخ القدس العربي القديم، مؤسسة النوري، دمشق ١٩٨٦م .

٥٣- خالد محمد غازي، القدس/ سيرة مدينة، دار الهدى ١٩٩٨م.

٥٤- خليل عثامنة، فلسطين في خمسة قرون، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ٢٠٠٠م.

٥٥- خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي، مركز الأبحاث، بيروت ١٩٧٣م.

٥٦- رائف نجم، الإعمار الهاشمي في القدس، دار البيرق، عمان ١٩٩٤م .

٥٧- رائف نجم، انتفاضة النفق/ وقائع فلسطينية، عمان ٢٠٠٠م.

٥٨- رائف نجم وآخرون، كنوز القدس، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

٥٩- رشاد الإمام، مدينة القدس في العصر الوسيط، تونس ١٩٧٦م.

٦٠- رفيق شاكر النتشة، تاريخ مدينة القدس، دار الكرمل، عمان ١٩٨٤م.

٦١- رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م .

٦٢- زهير غنايم ومحمود عواد، القدس، الموقع، السكان والمساحة، اللجنة الملكية لشؤون القدس، عمان ٢٠٠٢م .

٦٣- زيدان كفافي وآخرون، القدس عبر العصور، جامعة اليرموك ٢٠٠١م.

٦٤- سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد ١٩٧٩م.

٦٥- سعد جمعة، المؤامرة ومعركة المصير، مكتبة المختار، القاهرة

٦٦- سعيد عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت.

٦٧- سليمان الصمادي، الرعاية الهاشمية للمقدسات الإسلامية، المطابع العسكرية، عمان ١٩٩٧م.

٦٨- سيدو فرج راشد، القدس عربية إسلامية، دار المريخ للنشر.

٦٩- عارف العارف، بيت المقدس والفردوس المفقود، مكتبة وهبة.

٧٠- عارف العارف، تاريخ الحرم القدسي، دار الأيتام الإسلامية ١٩٤٧م.

٧١- عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، دار المعارف، مصر ١٩٥١م .

٧٢- عبد الجليل حسن عبدالمهدي، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية،وزارة الثقافة، عمان ٢٠١٣م.

٧٣- عبد الحميد السائح، أهمية القدس في الإسلام، عمان ١٩٨٠م.

٧٤- عبد الرحمن حبنكه، مكائد يهودية عبر التاريخ .

٧٥- عبد السلام العبادي، الرعاية الأردنية الهاشمية للمقدسات الإسلامية في القدس الشريف، عمان ١٩٩٥م.

٧٦- عبد الكريم رافق، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، دمشق ١٩٦٨م.

٧٧- عبد اللطيف الطيباوي، القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام، وزارة الأوقاف، عمان ١٩٨١م.

٧٨- عبد الله سلوم السامرائي، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية.

٧٩- عبلة المهتدي، القدس تاريخ وحضارة، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان.

٨٠- عدنان الزبن، القدس في عيون الهاشميين، عمان ١٩٩٣م.

٨١- عزمي أبو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة، مؤسسة باكير للدراسات الثقافية، الزرقاء- الأردن ١٩٩٣م .

٨٢- عفيف البهنسي، الشام الحضارة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

٨٣- علي أبو نوار، حين تلاشت العرب.

٨٤- علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م.

٨٥- علي سعود عطية، الانتفاضة (المسيرة وآفاق المستقبل)، دار الكرمل، عمان ١٩٩١م.

٨٦- عيسى السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، بيروت ١٩٧٥م .

٨٧- غازي ربابعة، القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، دار الكرمل، عمان ١٩٨٧م .

٨٨- فاروق عمر فوزي ومحسن محمد حسين، الوسيط في تاريخ فلسطين، دار الشروق، عمان ١٩٩٩م.

٨٩- فرانكن، القدس في العصر البرونزي/ ضمن كتاب القدس في التاريخ/ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية عمان ١٩٩٢م .

٩٠- فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، لجنة التأليف والترجة، القاهرة ١٩٦٨م.

٩١- فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت .

٩٢- فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، عمان.

٩٣- قاسم محمد صالح، الجيش العربي ودوره في الحروب العربية الإسرائيلية، ط١، ١٩٨٨م.

٩٤- كارمن أرمسترنج، القدس/مترجم، سطور ١٩٩٩م.

٩٥- كامل العسلي، مكانة القدس في تاريخ العرب، وزارة الشباب، عمان ١٩٨٨م.

٩٦- الكتاب المقدس، الإنجيل والتوراة .

٩٧- اللجنة الوطنية للدفاع عن القدس، وقائع فلسطينية (١)، عمان ٢٠٠٠م.

٩٨- ماجد أبو دياك، انتفاضة الأقصى بين جيلين واستراتيجيتين، فلسطين المسلمة/ عدد ١١. ٢٠٠٠م.

٩٩- مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، دار الفكر، مصر ١٩٥٨م.

١٠٠- محسن محمد صالح ،الطريق إلى القدس ، طبعة ١٩٩٥م.

١٠١- محمد أديب العامري، عروبة فلسطين في التاريخ، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٧٢م.

١٠٢- محمد حسين محاسنة وآخرون، تاريخ مدينة القدس، دار حنين للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٣م.

١٠٣- محمد حسين محاسنة، حقيقة القدس، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان ٢٠٠٤م .

١٠٤- محمد حسين محاسنه، معركة حطين /المجلة العربية للتربية والثقافة ،تونس، العدد ٢٦/١٩٩٤م.

١٠٥- محمد حسين محاسنة، مقامات الصحابة الأطهار في أرض مؤتة والمزار، عمان ٢٠١٠م.

١٠٦- محمد حسين محاسنة وحاتم الصرايرة، فنون التاريخ العسكري في أرض الحشد والرباط، وزارة الثقافة – عمان ٢٠٠٥م.

١٠٧- محمد عبدالقادر أبو فارس، في ظلال السيرة النبوية/ الإسراء والمعراج، ط١/ ١٩٨٦م.

١٠٨-

١٠٩- محمد عبدالقادر خريسات، تاريخ الأردن منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان ١٩٩٢م.

١١٠- محمد العمروسي، الحروب الصليبية، الحروب الصليبية في المشرق، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٢م.

١١١- محمد هاشم غوشة، بوابات القدس، مؤسسة عبد الحميد شومان،عمان ١٩٩٢م.

١١٢- محمود الرويضي، قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام ومصر، حولية كلية الآداب/ جامعة المنيا ٢٠٠١م.

١١٣- محمود العابدي، قدسنا، ، القاهرة ١٩٧٢م.

١١٤- مصطفى،الحياري، صلاح الدين القائد وعصره، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م.

١١٥- مصطفى مراد الدبّاغ، بلادنا فلسطين، رابطة الجامعيين، الخليل ١٩٧٥م.

١١٦- الموسوعة الفلسطينية/ط١، ١٩٨٤م .

١١٧- هاري في بورتر، موسوعة التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩١م .

١١٨- هنري كتن، القدس الشريف، ترجمة نور الدين كتانة، مكتبة الأقصى، عمان.

١١٩- وصفي التل، دور الخلق والعقل في معركة التحرير، دار الأبحاث للنشر، بيروت.

١٢٠- وليد الخالدي وآخرون، القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، جامعة الموصل ١٩٨٣م.

١٢١- وليم أولبرايت، آثار فلسطين، ترجمة زكي إسكندر ومحمد عبد القادر، القاهرة ١٩٧١م.

١٢٢- ياسين الغادي، مكانةالقدس والمسجد الأقصى الدينية، عمان ١٩٩٦م.

١٢٣- يوسف هيكل، فلسطين قبل وبعد، بيروت ١٩٧١م.

١٢٤- يوسيفوس، التاريخ، المكتبة العمومية، بيروت.

ج- المراجع الأجنبية :

125- Assali, K.J, Jerusalem in History, Bukhurst 1989

126- Bakhit, The Ottoman Province of Damascus.

127- Cohen and Lewes, Population and Revenue.

128- Drapper;The Intellectual Development of Europe.

129- Encyclopaedia of Britanica, London 1963.

130- Evliya Tschelebi, Travels in Palestine.

128- Gibb.H.A.R and Bowen.H, Islamic socity and the West, 1957.

129- Lane-poole, saladinend the fall of the king dome of Jerusalem, Beirut 1964 .

130- Kathleen Kenyon, Jerusalem Excavating 3000 years Of History, London 1967.

المحتويات

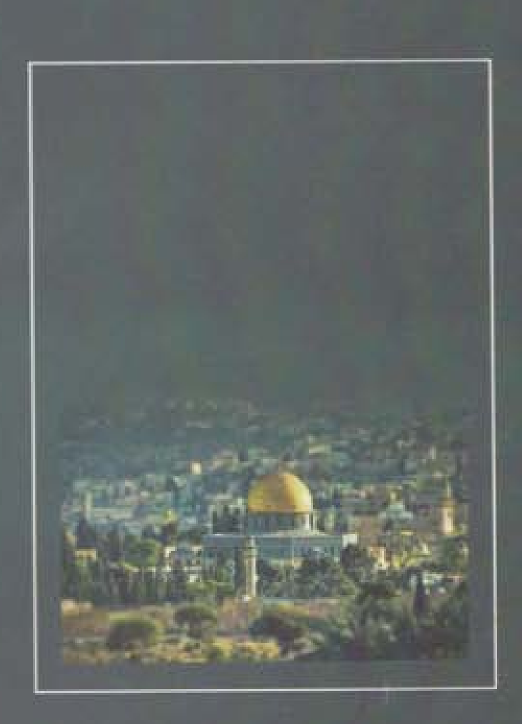


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أ.د محمد محاسنة ◆ د. فايز عتوم

دراسات

المدخل إلى تاريخ مدينة السلام



SARARA